منبر الإسلام

السنة (٦١) العدد (١) المحرم ١٤٢٣ هـ
مارس - إبريل ٢٠٠٢ م - الثمن ١٠٠ قرش

مع العدد هدية الفردوس «مجلة الطفل المسلم»

إلا تنصروه فقد نصره الله

العمق التاريخي للهجرة

الأكل المحرمة بين الطب والقرآن الكريم

من محتويات العدد

❖ تفسير سورة الجمعة
أ. د. محمد سيد طنطاوى
❖ الوضع فى السنة ومقاومة العلماء له
أ. د. أحمد عمر هاشم
❖ من معالم التذكير فى هجرة النبى ﷺ
أ. د. طه أبو كريشة
❖ العمق التاريخى للهجرة
أ. د. محمد المسير
❖ الأبعاد الإيمانية للأحكام الشرعية للذبح
أ. د. عبدالحليم عويس
❖ الأكُل المحرمة بين الطب والقرآن الكريم
أ. د. عبدالمعبود عمارة
❖ فى الكون سر يحير العلماء
أ. رجب البنا
❖ نحن والحضارة الغربية تشخيص المرض وسبل العلاج
أ. د. محمد جلاء إدريس

غلاف الشهر

• مع غلاف هذا العدد نتذكر حادث الهجرة العظيم وعناية الله للرسول ﷺ وصحبه. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾.

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ١٣ ثلاثة عشر جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٢٠ عشرون دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الأفريقى - «بريد جوى»
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ - ٧٩٤١٦٢٧ - ٧٩٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام - القاهرة

منبر الإسلام
تصدرها وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور: صوفى أبو طالب

الدكتور: أحمد كمال أبو المجد

الدكتور: أحمد هيكل

كلمة التحرير

كانت هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة بعد ثلاثة عشر عاما من المعاناة من طواغيت قريش وزعمائها الذين تفننوا فى كل صور الإيذاء والتشويه للدعوة الإسلامية. وتطلع الرسول ﷺ إلى السماء وأخذ يناجى ربه راجيا عفوه ورحمته، حيث كان ﷺ فى القمة العليا من الإيمان يستمد أصحابه ذلك منه وهو ويبشرهم بنصر الله، وقد حقق الله دعوة نبيه وصدق أمل رسوله ﷺ فكانت بيعتا العقبة الأولى والثانية التى جعلت للمسلمين دارا وإخوة فى يثرب (المدينة) التى علمت الدنيا كلها كيف يكون الحب والإيثار تجمعهم عقيدة التوحيد والإيمان بالله ورسوله ﷺ.

فى هذا العدد نقرأ معا أحداث الهجرة النبوية الشريفة وتفاصيلها وكيف أنها كانت من أخطر الأحداث فى تاريخ الدعوة وتاريخ الدولة والأمة على السواء، وكيف كانت فارقاً كبيرا بين الحق والباطل خرج به المهاجرون من وضع الاستضعاف إلى وضع التحرر والتحدى فامتلكوا إرادتهم وأسسوا دولتهم وأصبحوا قوة مواجهة لقوى الشرك والوثنية، هذا إلى جانب القضايا المثارة على الساحة العالمية والرد على الافتراءات الموجهة ضد الإسلام، وكذلك ما يقال عن الإسلام وحضارة العرب لبعض المفكرين الغربيين، بالإضافة إلى موضوعات التفسير والحضارة والعلوم والدعوة، إلى جانب الموضوعات التى تشترك معنا عزيزى القارئ فى تحريرها.

حديث الشهر

هكذا يُحارَب الإسلام فى أمريكا

أ.د. عبد الصبور مرزوق

مرشح رئاسى سابق يدعو للعنف ضد المسلمين

يحتج على قول الرئيس بوش «إن الإسلام دين سلام»

يزعم أن الإسلام يدعو لقتل الكفار أينما وجدوا

فى برنامجه التليفزيونى (نادى الـ٧٠٠) هاجم الأمريكيين الذين اعتنقوا الإسلام فثار الرأى العام ضده

والسؤال: أين نحن مما يجرى هناك؟

ثمن طائرة يمكن أن يقلب الموازين

اسمه بات روبرتسون، الذى أسس فى عام ١٩٨٩م منظمة سياسية تحمل اسم «التحالف المسيحى لجمع أصوات اليمين المتشدد فى الولايات المتحدة» لتكون قوة ضغط على صانع القرار فى أمريكا نحو الاتجاه المعادى للإسلام.

برنامجه التليفزيونى الشهير والمسمى نادى الـ٧٠٠ هو برنامج تبشيرى هدفه تشويه الإسلام، ويطالب فيه المسلمين أن يكونوا واقعيين، وأن يعترفوا بأن ديانتهم «الإسلام» ليست ديانة، وإنما هى هرطقة وأباطيل.

اتخذت منظمة العلاقات الأمريكية الإسلامية «كير» مواقف مسئولة فى مواجهة هذا المبشر المتشدد، ونشرت فى أكثر من صحيفة أمريكية.

❖❖❖

لم يتقبل المجتمع الأمريكى تصريحات هذا الرجل ولا هجومه الوقح على الإسلام بعد أحداث سبتمبر، ونشرت صحيفة (الواشنطن بوست) فى افتتاحية أواخر فبراير ٢٠٠١م تفنيدا لما يقول واعتبرته دعوة إلى العنف ضد المسلمين فى المجتمع الأمريكى خاصة.

ثم تساءلت عن نواياه، فما الذى يريد أن يصل إليهم من خلال ما يقول وما يكتب!!

وقد تقدم بعض الأعضاء المسلمين فى منظمة العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» بتوضيحات وردود على هذا الهجوم الوقح من روبرتسون، واستضافت شبكة C.N.N الأمريكية إبراهيم

هوبر مدير مجلس العلاقات الإسلامية «كير» الذى قال إن انتقادات وهجوم هذا المبشر على الإسلام كشفت عن جانب إيجابى فى الرأى العام الأمريكى متعاطف مع الإسلام ورافض لهجوم روبرتسون.

❖❖❖

من هنا تكون البداية الأساسية لموضوع هذه الافتتاحية:

ذلك أنه ليس غريبا - وخاصة بعد أحداث سبتمبر - أن تكون هناك ردود فعل غاضبة فى المجتمع الأمريكى الذى صحا يوم الثلاثاء الأسود ليرى الدمار والخراب فى أهم وأكبر الرموز المعمارية والمالية العملاقة تتصدع وتهوى على من فيها، ويضيع تحت أنقاضها الآلاف من البشر.

من الطبيعى أن يشعر المجتمع الأمريكى بالصدمة ويبحث عن صانع هذا الدمار؟

فلما قيل له فجأة ودون أى معلومات دقيقة: إن صانع هذا الدمار هو رجل مسلم (بن لادن)، كان طبيعيا أن يثور على الإسلام وعلى المسلمين فى كل مكان من العالم، وفى المجتمع الأمريكى.. بوصف خاص: يطالب بالانتقام ليس من المسلمين فقط، بل من الإسلام نفسه.

❖❖❖

كان رد الفعل الغاضب طبيعيا ومتوقعا لكنه رد فعل الصدمة لا يلبث أن يزول حتى بمرور الوقت ويغير صور ومناخ الأحداث.

هنا تخرج من جحورها الثعابين السامة والكامنة من أمثال «روبرتسون» وغيره من جماعة اللوبى المعادى للإسلام، ومن المبشرين من أمثال روبرتسون وغيره من قوى التحالف اليمينى المتشدد ليمارسوا دورهم الخطير فى استعمار وتوظيف أحداث سبتمبر ومتابعة أثرها حتى لا تهدأ المشاعر المعادية للإسلام وتظل مشاعر العداء ضد المسلمين حية تطالب بالثأر والانتقام.

أعداء الإسلام اتخذوا من أحداث سبتمبر ذريعة لإثارة مشاعر الكراهية ضد المسلمين

ولم يكن بات روبرتسون وحده، بل كان غيره كثيرون.

❖❖❖

لكن السؤال الذى أراه محور هذه الافتتاحية هو:

أين نحن المسلمين من هذا التشويه المتعمد لحقيقة الإسلام فى الغرب عامة وفى الولايات المتحدة بوصف خاص؟

❖❖❖

لنا فى الغرب عامة وفى الولايات المتحدة بوصف خاص جالية عربية وإسلامية تعد بالملايين

أين نحن المسلمين من هذا التشويه المتعمد لحقيقة الإسلام فى الغرب

وأصبح لوجودها صوت مهم فى الانتخابات الأمريكية.

ولنا فى الغرب عامة وفى الولايات المتحدة بوصف خاص سفارات ومراكز ومؤسسات ثقافية ومنظمات إسلامية ذات شأن.

ولنا فى الولايات المتحدة خاصة مستشارون وملحقون ثقافيون وملحقون صحفيون يتبعون وزارة التعليم وهيئة الاستعلامات.

والسؤال هو:

أين هؤلاء جميعا وماهو دورهم وما طبيعة عملهم؟

ولماذا لم يحس بهم أحد فى مواجهة رد الفعل الأمريكى الغاضب بعد أحداث سبتمبر؟!

❖❖❖

فى تقرير صحفى عن دور ومؤسسات الإعلام الصهيونى فى أمريكا ما يثير الدهشة والإعجاب أيضا.. الإعجاب بهذه المقدرة الشريرة والبارعة لليهود فى توظيف إمكاناتهم المالية فى امتلاك أخطر سلاح يسيطرون به على العقل الأمريكى، متوصلين إلى المشاركة فى صناعة القرار السياسى وغير السياسى الذى نراه دائما فى صالحهم.

بينما ترانا نحن العرب والمسلمين نعيش فى حالة **رد الفعل** الذى غالبا ما يكون قد فات أوانه.

أفراد من اليهود - ولا يحضرنى الآن ما قرأته عنهم فى التقرير المشار إليه - أفراد يمتلك الواحد منهم عددا من المؤسسات الإعلامية بين صحيفة ومجلة وقناة أو قنوات تليفزيون أو محطات إذاعة.. إلى جوار الأفراد..

نرى مؤسسات يهودية تكاد تسيطر على صناعة السينما فى الولايات المتحدة لتصنع وتصوغ من خلال الأفلام السينمائية عقل وفكر ووجدان ومزاج المواطن الأمريكى على النحو الذى تراه والذى يتمشى ويخدم مصالحها هناك فى إسرائيل.. هكذا يتحركون.

ومن ثم لا نعجب إذا وجدنا العقل والوجدان الأمريكى يتعاطف معهم منذ أن اعترف رئيسهم الأسبق ترومان بدولة إسرائيل فور الإعلان عن قيامها، بل بعده بدقائق، وكانت أمريكا أول دولة فى العالم تعترف بإسرائيل.

❖❖❖

مرة أخرى هكذا يتحركون، فأين نحن العرب والمسلمين؟

إن الخبرة الإعلامية ليست حكرا على اليهود، بل هى اليوم سلعة عالمية معروضة لمن يشترى.

وفى عالمنا العربى والإسلامى كفاءات وخبرات متميزة فى هذا المجال.

لكن المشكلة هى التمويل، وهنا نصل كما تعلمنا إلى مربط الفرس!!

التمويل:

والتمويل فى عالمنا العربى والإسلامى موفور ومَيسور، والاستثمار فيه مربح وعظيم العائد حتى ولو اكتفينا بنشر الإعلانات، ومن ثم فالدخول فيه ليس مخاطرة ولا مغامرة.

بل إنه فوق كونه رسالة وواجبا عقديا ووطنيا و نية الجهاد فيه تحقق الثواب بقدر ما تحقق البركة، ومن ثم فلا خوف!!

❖❖❖

تلك هى الحقيقة لكن المفقود فعلا انكسار الإرادة والتردد فى خوض منافسة مع قتلة الأنبياء ومحرفى كلمات الله، ثم الاستكانة إلى ما يفرضه علينا الواقع.. هذا الواقع الذى يتكفل به الآخرون واليهود الصهاينة فى صدارتهم.

فهل آن الأوان ليعمل أهل لَمِّ الشمل فى عالمنا العربى والإسلامى شيئا فى هذا المجال، مجال الصناعة وصياغة العقل والوجدان الغربى والأمريكى خاصة ليكون متعاطفا مع العرب والمسلمين، أو على الأقل فى أن يتخذ بينهم وبين عدوهم فى أرضهم إسرائيل موقف الحياد؟؟

❖❖❖

حدثنى أحد الأصدقاء المسلمين المقيم فى الأرجنتين أن الأمر لا يحتاج إلى أرقام فلكية لتحقيق هذا الأمل.. أمل المشاركة فى صياغة وصناعة العقل والوجدان الغربى وتكوينه على إنصاف الإسلام والمسلمين، أو على الأقل تحييده حتى لا يناصر عدونا علينا؟!

حدثنى الصديق المسلم المقيم فى الأرجنتين أن الأمر مهما عظم لا يساوى ثمن طائرة من هذه الطائرات التى تتخم بها الأرض فى عالم الإسلام!!

ما يوازى ثمن طائرة يمكن به إنقاذ عالم الإسلام الذى يمر اليوم بأحرج وأصعب الفترات فى تاريخه.

وإذا كانت الأنظمة لا تستريح إلى ذلك وربما رغبت عن المشاركة فى الترحيب به.

فبوسع الشعوب العربية والإسلامية أن تتقدم لتوفيره من خلال تبرع زهيد وبسيط لا يزيد على جنيه واحد من كل مواطن فى أرض الإسلام.

جنيه واحد أو ما يعادله من عملات الديار الإسلامية يمكن توظيفه فى إعلان الصورة الصحيحة للإسلام فى العالم الغربى: الأمريكى والأوروبى.

فهل هذا مستحيل؟؟

لقد كتبت منذ شهور فى افتتاحية «منبر الإسلام» تحت عنوان: «أمريكا يحكمها اليهود.. فهل من مدكر»؟!

وأهم وسائل اليهود فى التسلط على صناعة القرار هناك هى الإعلام.

فهل من فاعل خير يتقدم ويقتحم؟!

مازلت أرجو..

وصدق الرسول ﷺ **«الخير فىّ وفى أمتى إلى يوم القيامة».**

عَزْمُ الأنْبياءِ مَثَلُنا الأعْلى

شعر: محمد التهامى

أَيُّهـا السَّائِرُ فى دَرْبِ اليَقـين ... وعِنادُ الشَّوْكِ يُدْمِى السَّائِرين

وبَصيصُ النُّورِ يَبْدو تارةً ... ثم يَخْفى عن عيونِ النَّاظِرين

ودُعاءُ الحَقِّ فى جَوْفِ الدُّجى ... تَتَحاشاه جُموعُ السَّامِعين

خَيَّمَ الشَّرُّ على دُنْياهُم ... وطَغَى فيها شَمالاً ويَمين

صَيَّرَ الدُّنْيا سُجونًا كلَّها ... تُغْلَقُ الآذانُ فيها والعُيون

أيُّها السَّائرُ لا تُلْقِ العَصا ... كلُّ ما تَلْقاهُ مِنْ صَعْبٍ يَهون

ودُجَى الشَّرِّ وإنْ طالَ المَدَى ... مُنْتَهاهُ طَلْعَةُ الفَجْرِ المُبين

كلُّ شَرٍّ لَجَّ فى طُغْيانِه ... فى ظِلالِ الخَيْرِ يومًا يَسْتكين

سُنَّةُ الدُّنْيا وقد عَلَّمَنا ... سِرَّها المكنونَ خَيْرُ المُرْسَلين

جاءَ بالأنْوارِ يَسْعى وَحْدَهُ ... وجَميعُ الكَوْنِ مَطْوِىُّ الجُفُون

يَقْرَعُ الصَّخْرَ فَتَدْمَى كَفُّهُ ... وعَصِىُّ الصَّخْرِ صُلْبٌ لا يَلين

إنَّما بالعَزْمِ فى إيمانِه ... كان أَقْوَى من عُتاةِ الكافرين

ما تَمادَى الكيدُ لم يَعْبأْ بِهِ ... حَسْبُهُ مَولاهُ رَبُّ العالَمين

مَنْ ثَوَى الإيمانُ فى أعْماقِه ... طَوَّعَ الدُّنْيا بعَزْمِ المؤمنين

صَحْوَةُ الإيمانِ فى أعْماقِنا ... مَرْفَأُ السَّارِى ونُورُ المُهْتَدين

إنْ بَدا النُّورُ ضَئيلاً خافِتاً ... فوراءَ الأُفْقِ أنْوارُ اليَقين

أَوْ تَمادَتْ قَسْوَةُ الدُّنْيا بنا ... فَلَدَى إيمانِنَا الحِصْنُ الحَصين

نَحْفَظُ الإيمانَ فى أعْماقِنا ... ونُغَذِّيه بِصَبْرِ الصَّابِرين

ونُنَمِّيهِ على طاقاتِنا ... ولَدَيْنا مُنْجزاتُ القادِرين

وغَداً تَسْعَى لنا أقْدارُنا ... فى كِفاحٍ من أُولِى العَزْمِ المَتين

القرآن الكريم وعلومه

- نظرات فى كتاب الله تعالى
  تفسير سورة الجمعة

نظرات فى كتاب الله تعالى

تفسير سورة «الجمعة»

لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال الله تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ
لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ
اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
(٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا
مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)
وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ
قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ
التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١) ﴾

الجمعة : الآيات من ٩ ـ ١١

١ ـ بعد أن وبخ القرآن المغرورين من اليهود، وأمر الله ـ تعالى ـ رسوله أن يتحداهم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين فى دعواهم أنهم أولياء الله.

بعد كل ذلك وجه القرآن الكريم نداءه إلى المؤمنين، أمرهم فيه بالمسارعة إلى أداء فرائضه، ونهاهم عن أن تشغلهم دنياهم عن طاعته ـ عز وجل ـ فقال: **﴿ياأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾**.

وناداهم ـ سبحانه ـ بصفة الإيمان، لتحريك حرارة الإيمان فى قلوبهم، ولتحريضهم على المسارعة إليها، إذ من شأن المؤمن القوى، أن يكون مطيعا لما يأمره خالقه به.

والمراد بالنداء: الأذان والإعلام بوقت حلولها، والمقصود بالصلاة المنادى لها: صلاة الجمعة بدليل قوله تعالى: **﴿من يوم الجمعة﴾**.

والمراد بالسعى فى قوله ـ سبحانه ـ : **﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾**: المشى المتوسط بوقار وسكينة، وحسن تهيؤ لصلاة الجمعة.

قال الآلوسى ـ رحمه الله ـ ما ملخصه قوله تعالى: **﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾**، أى: فامشوا إلى المساجد دون إفراط فى السرعة، ففى الحديث الشريف عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا»**.

٢ ـ **والمراد بذكر الله:** خطبة الجمعة وصلاتها، لاشتمالهما عليه، إذ خطبة الجمعة فيها التسبيح والتحميد والتكبير وقراءة القرآن، والدعوة إلى كل طاعة لله ـ تعالى ـ وكذلك الصلاة، وكل ذلك مشتمل على أفضل ألوان ذكر الله ـ تعالى ـ.

والمعنى: يامن آمنتم بالله ـ تعالى ـ حق الإيمان، إذا نودى لأجل الصلاة فى يوم الجمعة، فامضوا إليها بجد وإخلاص نية، وحرص على الانتفاع بماتسمعونه من خطبة الجمعة، التى هى لون من ألوان ذكر الله تعالى ـ وطاعته.

والأمر فى قوله ـ تعالى ـ: **﴿فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع..﴾**: الظاهر أنه للوجوب، لأن الأمر يقتضى الوجوب، مالم يوجد صارف له عن ذلك، ولا صارف له هنا.

والمراد من البيع هنا: المعاملة بجميع أنواعها، فهو يعم البيع والشراء وسائر أنواع المعاملات.

أى: إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة، فاخرجوا إليها بحرص وسكينة ووقار، واتركوا المعاملات الدنيوية من بيع وشراء وإجارة وغيرها.

وإنما قال ـ سبحانه ـ : **﴿وذروا البيع﴾**: لأنه أهم أنواع المعاملات، فهو من باب التعبير عن الشىء بأهم أجزائه، وقوله ـ تعالى ـ: **﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾** أى: ذلكم الذى أمرتكم به من السعى إلى ذكر الله ـ تعالى ـ عند النداء للصلاة من يوم الجمعة، ومن ترك أعمالكم الدنيوية، خير لكم مما يحصل لكم من رزق فى هذه الأوقات، عن طريق البيع أو الشراء أو غيرهما.

٣ ـ ثم بين ـ سبحانه ـ جانبا من مظاهر تيسيره عليهم فى تشريعاته فقال: **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله﴾**.

أى: فإذا فرغتم من أداء الصلاة، وأقمتموها على أكمل وجه، فانتشروا فى الأرض، وامشوا فى مناكبها، لأداء أعمالكم التى كنتم قد تركتموها عند النداء للصلاة، واطلبوا الربح واكتساب المال والرزق، من فضل الله ـ تعالى ـ ومن فيض إنعامه.

والأمر هنا للإباحة، لأنه وارد بعد حظر، فهو كقوله تعالى: **﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾**.

أى: أن الانتشار فى الأرض بعد الصلاة لطلب الرزق، ليس واجبا عليهم، إذ طلب الرزق قد يكون فى هذا الوقت، وقد يكون فى غيره.

والمقصود من الآية إنما هو تنبيه الناس، إلى أن

لهم فى غير وقت الصلاة، سعة من الزمن فى طلب الرزق، وفى الاشتغال بالأمور الدنيوية، فعليهم أن يسعوا إلى ذكر الله، إذا ما نودى للصلاة من يوم الجمعة، وأن يحرصوا على ذلك حرصا تاما، مصحوبا بالنية الطيبة، وبالهيئة الحسنة، وبالمضى المبكر إلى المسجد.

وقوله - سبحانه -: ﴿**واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**﴾: تحذير لهم من الانتشار فى الأرض لمصالحهم الدنيوية، دون أن يعطوا طاعة الله - تعالى - وعبادته ما تستحقه من عناية ومواظبة.

أى: فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض لتحصيل معاشكم، دون أن يشغلكم ذلك عن الإكثار من ذكر الله - تعالى - فى كل أحوالكم، فإن الفلاح كل الفلاح فى تقديم ما يتعلق بأمور الدين، على ما يتعلق بأمور الدنيا، وفى تفضيل ما يبقى على مايفنى.

والمتأمل فى هذه الآية الكريمة، يراها ترسم للمسلم التوازن السامى، بين ما يقتضيه دينه، وما تقتضيه دنياه، إنها تأمره بالسعى فى الأرض، ولكن فى غير وقت النداء للصلاة من يوم الجمعة، ودون أن يشغله هذا السعى عن الإكثار من ذكر الله، فإن الفلاح فى الإقبال على الطاعات التى ترضيه - سبحانه - ومن بين هذه الطاعات، أن يكثر الإنسان من ذكر الله - تعالى - حتى فى حالة سعيه لتحصيل رزقه.

٤ - ثم ختم - سبحانه - السورة الكريمة بعتاب يحمل فى طياته ثوب التأديب والإرشاد والتأنيب لمن آثر مطالب الدنيا على مطالب الآخرة، فقال - تعالى -: ﴿**وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما..**﴾.

قال الإمام ابن كثير ما ملخصه: «أخرج الشيخان - البخارى ومسلم - وغيرهما عن جابر ابن عبدالله، - رضى الله عنهما - **قال: قدمت تجارة المدينة، ورسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة فخرج الناس، وبقى مع الرسول ﷺ عدد من الناس، فنزلت هذه الآية**»(١).

ولفظ «**انفضوا**» من الانفضاض بمعنى التفرق، يقال: انفض فلان عن فلان، إذا انصرف عنه وتركه، وهو من الفض بمعنى كسر الشىء والتفريق بين أجزائه.

والضمير فى «**إليها**» يعود للتجارة، وكانت عودته إليها دون اللهو، لأن الانفضاض كان لها بالأصالة.

والمراد باللهو هنا: فرحهم بمجىء التجارة واستقبالهم لها بالدفوف، لأنهم كانوا فى حالة شديدة من الفقر وغلاء الأسعار.

والتعبير بأو يشير إلى أن بعض المنفضين قد انفضوا من أجل التجارة، وأن البعض الآخر قد انفض من أجل اللهو.

قال بعض العلماء: «والذى سوغ لهم الخروج وترك الرسول ﷺ يخطب، أنهم ظنوا أن الخروج بعد تمام الصلاة جائز لانقضاء المقصود وهو الصلاة، لأنه كان ﷺ فى أول الإسلام يصلى الجمعة كالعيدين، فلما وقعت هذه الواقعة، ونزلت الآية، قدم الخطبة وأخر الصلاة»(٢).

وقوله - سبحانه -: ﴿**وتركوك قائما**﴾ جملة حالية من فاعل «**انفضوا**» والمقصود بها توبيخهم على هذا التصرف، حيث تركوا رسول الله ﷺ واقفا يخطب على المنبر وانصرفوا إلى التجارة واللهو.

٥ - وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين**﴾ إرشاد لهؤلاء المنصرفين إلى ماهو الأنفع والأبقى والأكرم لهم.

أى: قل - أيها الرسول الكريم - لهؤلاء الذين انفضوا عنك وأنت تخطب، قل لهم: ما عند الله - تعالى - من ثواب وعطاء، خير من اللهو الذى شغلكم عن طاعة الله، ومن التجارة التى تريدون

من ورائها الربح المادى، والمنفعة العاجلة.

والله - تعالى - هو خير الرازقين، لأنه - سبحانه - هو وحده الذى يقسم الأرزاق، وهو الذى يعطى ويمنع، كما قال سبحانه وتعالى: **﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾** فاطر: آية ٢.

وقدمت التجارة على اللهو فى صدر الآية، لأن رؤيتها كانت الباعث الأعظم على الانفضاض إليها، وترك الرسول ﷺ قائما يخطب على المنبر، ولم يبق معه سوى عدد محدود من صفوة أصحابه.

وأخرت فى آخر الآية وقدم اللهو عليها، ليكون ذمهم على انصرافهم أشد وأوجع، حتى لا يعودوا إلى مثل ذلك.

٦ - هذا، ومن الأحكام والآداب التى أخذها العلماء من هذه الآيات ما يأتى:

أ - فضل يوم الجمعة، وفضل صلاة يوم الجمعة، والتحذير من ترك أدائها:

ومن الأحاديث التى وردت فى هذا المعنى، ما جاء فى صحيح مسلم وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة».**

وروى الشيخان - أيضا - عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول: **«نحن الآخرون - أى: زمانا، السابقون يوم القيامة قبل غيرهم، بيد أنهم** - أى: أهل الكتاب - **أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا يومهم الذى فرض عليهم - أى: تعظيمه - فاختلفوا فيه فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع..».**

وفى صحيح مسلم عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أنه سمع النبى ﷺ يقول على أعواد منبره: **«لينتهين أقوام من وَدْعِهم الجمعات** - أى: تركهم صلاة الجمعة - **أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين».**

ب - الآية الكريمة وإن كانت قد أمرت المؤمنين بالسعى إلى صلاة الجمعة عند النداء لها، إلا أن هناك أحاديث متعددة تحض على التبكير بالحضور لها، وبالغسل، وبمس الطيب، وبالتهيؤ لها فى أجمل حالة.

ومن تلك الأحاديث ما جاء فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **«من اغتسل يوم الجمعة، ثم راح إلى المسجد فكأنما قرب بدنه - أى: ناقة ضخمة - ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر».**

جـ - أخذ العلماء من قوله سبحانه: **﴿ياأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع..﴾** الآية.

أخذوا من هذه الآية أن صلاة الجمعة فريضة محكمة، وأن السعى لأدائها لازم، وأن ترك ذلك محرم شرعا، إذ من المعروف عند علماء الأصول، أن الأمر يقتضى الوجوب، مالم يوجد له صارف، ولا صارف له هنا.

وهذا القول هو القول الصحيح الذى أخذ به المحققون من الفقهاء، ولا التفات إلى قول من قال إن صلاة الجمعة فرض كفاية، أو سنة لأن الآية الكريمة التى معنا، وأحاديث النبى ﷺ وأفعاله، كل ذلك يشهد بأن صلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل، نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا جميعا من المحافظين على أداء ما كلفنا به، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الهوامش:

١ - تفسير ابن كثير جـ٨ ص١٤٩.

٢ - حاشية الجمل على الجلالين جـ٤ ص ٣٤٥.

الأمانة

شعر: عمر موسى البرعى

إنّ الأمانَةَ للإنْسان إعْلاء ... وللمَبادئ والأخْلاقِ إرْساءُ

والله عظّمَها شرْعاً وأوْجبها ... حيثُ الأمانةُ للتّشْريع إحْياء

أمّا الرسُولُ فأطْراها وأكبَرها ... وعنه كَم جاء تَشْريعٌ وإيماء

بها تَجملَ طه فى عشيرته ... بِشيمة هي بَينَ القومِ غرّاء

ولَقّبوه أمينًا فهو مؤْتَمَنٌ ... إنّ الأمانَةَ للأخلاقِ سيماء

نادى بها رُسُلُ التّوحيد كُلّهم ... وهُمْ علي الله أحبابٌ أعِزّاء

إن الأمانَةَ تكْليفٌ يقوم به ... عَبْدٌ تقيٌ لحقّ الله مِعطاء

فهى الدّواءُ لداءٍ عمّ مجتمعًا ... شَاعَتْ خيانَتُه واستفحَلَ الداء

مَنْ خانها خَسِرَ الدّنيا وآخرةً ... وأرْهَقَتْهُ من الخُسْرانِ بأْساء

حيث الجبالُ أبَتْ تكليفها فَرَقًا ... مِنْ أنْ تخونَ فتشْقي وهي صمّاء

كذلك الأرضُ والسبعُ العلى رغبتْ ... عنْ حملها فأتاه منه إعْفاء

لكنّما قَبِلَ الإنسانُ شرْعَتَها ... مِنْ ظُلْمه فهي أثْقال وأعْباء

والمؤمنون بها نالوا كَرامتهُمْ ... وسوف تَغْمُرُهم في الحشْرِ نَعْماء

والناس من دونها ضلّوا وقد خسِروا ... وبالمذلّة والخُسْرانِ قد باءوا

للعاملين بها حورٌ مُطَهّرةٌ ... نُعمي من الله ذي الأفْضالِ حَسْناء

تلك الحسانُ يَشعُّ النور مُنْبَلِجًا ... مِنْهنّ حتي تعُمَّ القلبَ أضْواءُ

فمن تحمّلها طابتْ مكارِمُه ... فى النّاس طرًا وسَرّتْ منه أنْباء

أمانَةُ المرءِ فى دُنْياه عاصمةٌ ... لكن خِيانَتُهُ للدّينِ عوراء

إنَّ الأمين لدى الرحمن مُقتَرِبٌ ... وبالأمانة لا تَغْشاهُ ضرّاء

يُثيبُهُ الله فَضلاً يَسْتَظلُّ به ... فإنه دائمًا للخيْرِ مَشّاء

لا دينَ إلاّ لمَنْ أدى أمانَتَه ... ولمْ تُصَرِّفْهُ في دُنْياهُ أهواء

قد فاز مَنْ صانها فالحافظون لها ... لهُم بِجنّةِ عَدْنٍ كلّ ما شاءوا

فى رحاب الهجرة النبوية الشريفة

﴿ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه
لا تحزن إن الله معنا﴾

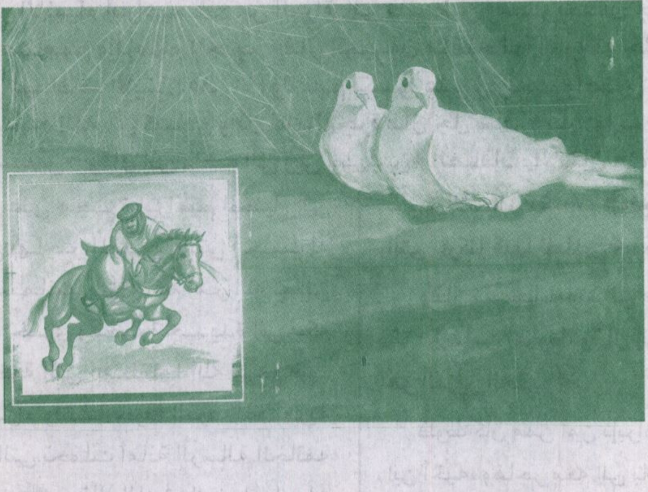

- العمق التاريخى للهجرة
- من معالم التذكير فى هجرة النبى ﷺ
- هجرة السلام والعدل والأمان
- فى ظلال الهجرة النبوية المباركة
- الهجرة عيد المبدأ والعقيدة

العمق التاريخى للهجرة

أ.د. محمد المسير

أـ هجرة الأنبياء:

الهجرة والمهاجرة هى الانتقال من أرض إلى أرض، فهجرة رسول الله ﷺ تعنى الانتقال من مكة إلى المدينة، وليست الهجرة بهذا المعنى بدعا من الأمر، فهى سنة الأنبياء، التماسا للموقع الحصين، وتنويعا لأسلوب المقاومة، وتمكينا للدين الصحيح، وتأمينا لأهل الحق..

لقد هاجر أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام من العراق إلى فلسطين ومصر بعد أن جاهد قومه وحطم أصنامهم وألزمهم الحجة ﴿قال أتعبدون ما تنحتون﴾ والله خلقكم وما تعملون﴾ الصافات: الآيتان ٩٥، ٩٦، ولكنهم نكسوا على رءوسهم وأصروا على الانتقام منه فنجاه الله من كيدهم وأذن له بالهجرة قال جل شأنه ﴿فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين﴾ وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين﴾ الصافات: الآيتان ٩٨، ٩٩.

وقد ترتب على هجرة إبراهيم الخليل إلى مصر أن تزوج بهاجر المصرية التى أنجبت له الغلام الحليم اسماعيل عليه السلام، ثم أمر الله تعالى إبراهيم برحلة أخرى وهجرة جديدة إلى مكة المكرمة، تلك البقعة التى اصطفاها الله لتُرفع فيها قواعد بيته الحرام ولتنشأ حوله العرب المستعربة والأمة المسلمة التى تحملت أمانة الرسالة الخاتمة لسيدنا محمد ﷺ.. قال الله تعالى على لسان إبراهيم الخليل **﴿ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾** إبراهيم: آية ٣٧.

وهاجر أيضا سيدنا لوط عليه السلام من قومه الذين يأتون الفاحشة ما سبقهم بها أحد من العالمين.. قال ـ سبحانه ـ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا **﴿أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾** النمل: آية ٥٦.

وقد كان إبراهيم ولوط متعاصرين ويربطهما نسب، ولكل منهما مجال دعوته، وقد جمع بينهما القرآن فى أكثر من موضع فقال جل شأنه فى سورة الأنبياء آية ٧١: **﴿ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين﴾** وهى أرض فلسطين.

وقال سبحانه وتعالى فى سورة العنكبوت آية ٢٦: **﴿فآمن له لوط وقال إنى مهاجر إلى ربى إنه هو العزيز الحكيم﴾**.

فلوط كان ممن آمن بإبراهيم من قومه، ويقال إنه ابن أخيه، وهاجر معه إلى بلاد الشام، ثم أرسل لوط فى حياة إبراهيم إلى قرية سدوم من أرض الشام.

كذلك هاجر سيدنا شعيب من أهل مدين بعد أن نهاهم عن الظلم الاجتماعى بقوله: **﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾** الشعراء: الآيات ١٨١ ـ ١٨٣.

حينئذ تحركت الفئة الباغية ورفضت إقامة أهل الحق فى موطنهم.. وعبر عن ذلك القرآن المجيد بقوله: **﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا﴾** الأعراف: آية ٨٨.

وهاجر موسى عليه السلام ببنى إسرائيل من مصر،

وعبر بهم البحر إلى سيناء، قال الله تعالى: ﴿**فأسر بعبادى ليلا إنكم متبعون﴾ ﴿واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون**﴾ الدخان: الآيتان ٢٣، ٢٤.

وهاجر عيسى عليه السلام مع أمه مريم إلى أرض مصر بعد أن ضاقت بهم أرض فلسطين.. قال جل شأنه: ﴿**وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين**﴾ المؤمنون: آية ٥٠، أى يستقر أهلها فيها لما تحويه من الرخاء بفضل خصب أرضها وعذوبة مائها.

كل هؤلاء الأنبياء وغيرهم جاءهم الإذن الإلهى بالهجرة بعد عناد قومهم وإصرارهم على الباطل.. إلا أن هناك نبيا هاجر قبل أن يتلقى الإذن هو سيدنا يونس عليه السلام، فقد دعا قومه إلى عبادة الله وحده، وظل يصبر على أذاهم وعنادهم، فلما يئس من إيمانهم ظن أنه قد قام بواجبه ولن يؤاخذه الله على تركهم وهجرتهم، فركب السفينة هاجرا لقومه، مغاضبا من أجل الله، وشاء الله أن يكون يونس زائدا على حمولة السفينة، وبعد إبحارها أوشكت على الغرق فاستهم القوم لكى يلقوا بالحمولة الزائدة فى البحر انقاذا لباقى الركاب فوقعت القرعة على يونس، ولم يكن بُدٌّ من إلقائه فى البحر ﴿**فالتقمه الحوت**﴾ الصافات: آية ١٤٢، دون أن ينهش له لحما أو يكسر له عظما، وأصبح يونس عليه السلام فى ظلمات الماء وقاع البحر وبطن الحوت، فأدرك سر الموقف فابتهل إلى الله عز وجل فأنجاه من غمه ولفظه الحوت، وأنبت له شجرة تقيه وأرسله إلى قوم آخرين.

قال الله تعالى: ﴿**وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾ ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين**﴾ الأنبياء: الآيتان ٨٧، ٨٨.

ب ـ سنة الله فى الأمم التى يهاجر أنبياؤها

إن هجرة أى نبى من قومه، وتركه أرضهم إلى أرض أخرى ـ يُعد مرحلة خاتمة لجهاد طويل وشاق، ولا يكون إلا بعد يأس من إيمانهم بدعوة الحق، فى الوقت الذى استنفدت فيه كافة وسائل الإقناع.

ولهذا عندما يأذن الله تعالى لنبى من أنبيائه بالهجرة تكون قد حقت كلمة العذاب على الكافرين، لأن الله قد كتب الغلبة والنصرة والتمكين للرسل ومن آمن معهم.

قال جل شأنه: ﴿**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ ﴿إنهم لهم المنصورون﴾ ﴿وإن جندنا لهم الغالبون**﴾ الصافات: الآيات ١٧١ ـ ١٧٣.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز**﴾ المجادلة: آية ٢١، وقد حفل البيان القرآنى بصور شتى لتلك السنة مع الأمم التى كذبت الرسل وأخرجتهم من ديارهم وظاهروا على إخراجهم.

فقوم لوط لما قالوا: ﴿**أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون**﴾ النمل: آية ٥٦، عاجلهم الله بعذاب استئصال ﴿**فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ ﴿فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل**﴾ الحجر: الآيتان ٧٣، ٧٤.

وقوم شعيب لما قالوا: ﴿**لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا**﴾ الأعراف: آية ٨٨، بعث الله عليهم الرجفة والصيحة وعذاب يوم الظلة.

وقد جاء البيان القرآنى بهذه التعبيرات لتناسب مواضعها فى الكتاب العزيز، ففى سورة الأعراف جاء التعبير بالرجفة ليناسب تهديدهم لشعيب بالإخراج من الأرض.. قال تعالى: ﴿**فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين**﴾ الأعراف: آية ٧٨، أى رجفت بهم الأرض التى ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيهم منها.. وفى سورة هود جاء

التعبير بالصيحة لأنهم أساءوا الأدب فى مقالتهم **﴿قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز﴾** هود: آية ٩١.

هنا بعث الله عليهم صيحة شديدة أصمت الآذان وقطعت الكلام وجعلتهم جثثا هامدة لا حراك فيها.. قال تعالى: **﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين﴾** هود: آية ٩٤.

وفى سورة الشعراء لما قالوا **﴿فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين﴾** الشعراء: آية ١٨٧، ناسب أن يقال عنهم **﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾** الشعراء: آية ١٨٩.

وتعقب العدل الإلهى فرعون وقومه لما بطشوا جبارين بموسى ومن آمن معه قال تعالى: **﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾** الأعراف: آية ١٣٦.

وفى حق سيدنا محمد ﷺ كانت الهجرة بداية الدولة الإسلامية، ودخل الناس فى دين الله أفواجا، وعاد الرسول الكريم منتصرا مظفرا وفتح مكة، وطهر الكعبة من الأصنام، وزالت دولة الشرك، وقتل أئمة الكفر، وظهر الدين الحق على الدين كله.

وفى سياق جامع لتلك الحقيقة وهذه السنة الإلهية، قص القرآن فى سورة إبراهيم ملخص هذا التاريخ الطويل فقال جل شأنه: **﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب﴾** إبراهيم: آية ٩.

فهذا إخبار من الله تعالى عن الأمم المكذبة للرسل مما لا يحصى عددهم إلا الله، جاءتهم الرسل بالحجج الواضحة والدلائل القاطعة فرفضوا دعوة الحق استكبارا وعنادا، وعضوا أنامل الغيظ حقدا وحسدا.

ودار حوار بين الرسل وأممهم حول أصول الدين فى الألوهية والنبوة والبعث، ووجهت الأنبياء الأمم إلى قضية وجود الله عز وجل، وآيات الأنفس والآفاق **﴿قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾** إبراهيم: آية ١٠.

وبيَّن الرسل أن النبوة لا تكون إلا بشرا مصطفى، وهى فضل الله يمنحه من يشاء من عباده، لا تنال كسبا ولا تخضع لأهواء البشر ولكنها أمانة وتكليف.

والعجب من هؤلاء المكذبين كيف عبدوا الحجر والشجر ورفضوا النبوة لبشر، **﴿قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ❁ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾** إبراهيم: الآيتان ١٠، ١١.

هنا اشتعل الحقد فى قلوب المكذبين وبلغ منتهى العنف وسوء النية **﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا﴾** إبراهيم: آية ١٣.

فكانت الكلمة الفاصلة وسنة الله التى لا تتخلف **﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ❁ ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ❁ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾** إبراهيم: الآيات ١٣ـ ١٥.

وخزى الدنيا للمكذبين موصول بعذاب أخزى وأكبر فى الآخرة **﴿من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد ❁ يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت ومن ورائه عذاب غليظ﴾** إبراهيم: الآيتان ١٦، ١٧.

ج ـ إرهاصات الهجرة المحمدية

الهجرة النبوية قدر إلهى أعلى له حكمة بالغة، ولكن هناك إرهاصات سبقته ومقدمات هيأت له.. منها ما بشرت به الأنبياء، ومنها ما ألهم الله به الحكماء، ومنها ما أوحى به مناما.

وعلى سبيل المثال، فإن سلمان الفارسى بحث عن الحق فترك ثروة أبيه وجاهه وأخذ يتنقل من مكان إلى مكان، ومن سيد إلى سيد حتى وصل إلى راهب قال له: أى بنى والله ما أعلم أصبح أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبى مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل، به علامات لا تخفى يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة.. فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

وأخذ سلمان يبحث عمن ينقله إلى أرض العرب فمر به نفر من تجار العرب فقال لهم احملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتى وغنمى، فحمله التجار حتى إذا بلغوا وادى القرى ـ مكان قريب من المدينة ـ ظلموه فباعوه عبدا لرجل يهودى، ويشاء الله أن يأتى ابن عم لذلك اليهودى من بنى قريظة فيبتاع سلمان منه ويحمله إلى يثرب.

يقول سلمان: فوالله ماهو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبى لها فأقمت بها، وبعث رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق.

وتمضى الأيام ويهاجر المصطفى الكريم ﷺ إلى المدينة ويشيع الخبر ويأتى سلمان يتحقق من علامات النبوة ويعلنها شهادة حق ويقين لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومن الإرهاصات أيضا ما ثبت أن ورقة بن نوفل أحد حنفاء الجاهلية قرأ كثيرا من كتب اليهود والنصارى وتعلم العبرانية، وعندما فاجأ الوحى سيدنا محمدا ﷺ فى غار حراء، ورجع إلى زوجه خديجة قائلا: زملونى.. زملونى.. وقص عليها ما حدث، انطلقت به ﷺ إلى ابن عمها ورقة.. فلما استمع ورقة إلى حديث رسول الله واستعاد فكره عن الوحى وبشائر النبوة وما قرأ فى الكتب المقدسة لدى أهل الكتاب. قال فى يقين وصدق: هذا الناموس الذى كان ينزل على موسى، ياليتنى فيها جذَعًا، ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك.

فقال الرسول الكريم: أومخرجى هم؟

قال ورقة: نعم لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا.

ومن الإرهاصات ما جاء فى صحيح البخارى أن النبى ﷺ قال: **«رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وَهَلى إلى أنها اليمامة أو هَجَر، فإذا هى المدينة يثرب».**

فهذه رؤيا منامية ـ ورؤيا الأنبياء حق ووحى ـ رأى فيها المصطفى الكريم أنه خرج مهاجرا من مكة إلى أرض يكثر فيها النخل فعبرها النبى ﷺ وظنها اليمامة أو بلدة هجر فى البحرين، ولم يتوقع أنها المدينة، ولكن فى مرحلة أخرى تأكد النبى ﷺ أنها المدينة فحدث المصطفى الكريم المسلمين وقال: **«إنى أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان».**

والحرة: أرض حجارتها سود، ولذا لما تأكد للمسلمين أن المدينة دار هجرة نبيهم، هاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة حتى إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه تجهز قبل المدينة وهمَّ بالهجرة لولا أن رسول الله ﷺ قال له: على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى فحبس أبو بكر نفسه ليصحب سيد الأنبياء والمرسلين وليكون ثانى اثنين إذ هما فى الغار.

من معالم التذكير فى هجرة النبى صلى الله عليه وسلم

أ.د. طه أبو كريشة

لم تكن الهجرة النبوية المشرفة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة إيثاراً للسلامة، أو إخلاداً إلى الراحة، أو طلبا للنجاة من الأذى، أو إسدالا لستار الدعوة بعد أن وصل الأمر إلى مداه، حين مكر المشركون مكرهم، وعزموا على قتل النبى ﷺ.. لم تكن الهجرة لشىء من هذا، وإنما كانت انطلاقا لمرحلة جديدة من مراحل الدعو، هى مرحلة الجهاد على طريق الفتح المبين، حتى تعلو كلمة الله تعالى، ويظهر دينه على الدين كله، ولو كره المشركون..

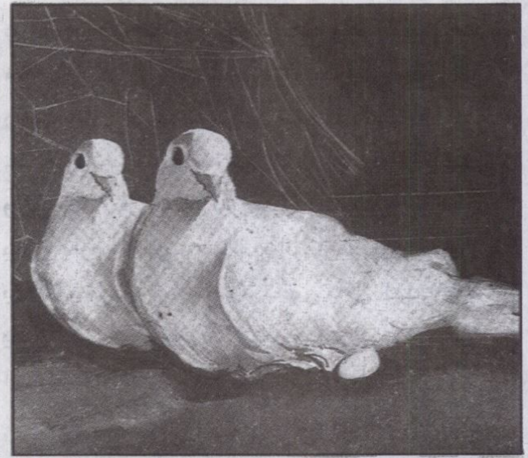

تصدى أعداء الحق للدعوة بكل قواهم وآذوا الرسول صلى الله عليه وسلم ومن آمن بدعوته

ومع بداية كل عام هجرى جديد، تتوارد إلى الخواطر ذكريات هذا الحدث العظيم الجليل، من خلال حديث القرآن الكريم، وهى ذكريات ينبغى ألا نقف عندها وقوف الذاكر لها فحسب، وإنما يجب أن نقف عندها وقوف من يذكر ويتذكر وينتفع بالذكرى على النحو الذى تشير إليه الآية الكريمة **﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾** الذاريات: آية ٥٥، ذلك لأنها ذكريات توضح لنا كيف تحولت الدعوة الإسلامية بالهجرة النبوية من حال إلى حال، حال تحققت معها حرية الوصول إلى القلوب دون قيود، وحرية العمل من أجل إعلاء كلمة التوحيد دون سدود، حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا وكان النصر هو النتيجة الحتمية للذين صبروا وصابروا ورابطوا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله عز وجل، وما أحوجنا اليوم إلى استلهام دروس الهجرة ليتحول حالنا نحن إلى خير حال.

١ ـ فمن معالم التذكير فى هجرة النبى ﷺ ما تذكرنا به الآية الكريمة **﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾** الأنفال: آية ٢٦.

إن الله تعالى يأمرنا بأن نذكر أمرين: أولهما ما كان من حال المسلمين قبل الهجرة، لقد كانوا قليلين، وكانوا مع القلة العددية مستضعفين يفرض عليهم أعداؤهم قوتهم وجبروتهم وتسلطهم

وإيذاءهم وحصارهم ومقاطعتهم، ومع هذا الاستضعاف فقدوا الشعور بالأمن والاطمئنان ففقدوا من وراء ذلك حرية التنقل من مكان إلى مكان، وحرية الجهر بعبادتهم لله رب العالمين.. وثانى الأمرين ما كان بعد الهجرة من تبدل الحال من النقيض إلى النقيض، لقد كثر المسلمون بعد قلة، وأمنوا بعد خوف، ورزقوا كثيرا من الطيبات بعد فقر، وتوالى النصر فى مواجهة الشرك المنهزم فى كل مواجهة بين الإيمان والكفر... فلماذا جاء الأمر الإلهى بذكر هذين الأمرين؟ هل كان ذلك حفظا لتاريخ مضى؟ أو كان منعا من نسيان عارض؟ لا. إن الأمر بالذكر هنا كان لهدف سام، وغاية كبرى.. إننا إذا رجعنا إلى الآيات السابقة على آية التذكير فإننا نجد منها هذا النداء الإلهى لجموع المؤمنين فى قوله تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾**، إن الله عز وجل يأمر الذين اتصفوا بصفة الإيمان أن يستجيبوا لله وللرسول، ففى أى شىء تكون هذه الاستجابة ؟ إنها الاستجابة لما جاء فى كتاب الله تعالى فى كل أمر يتبع وفى كل نهى يجتنب، وكذلك الأمر بالنسبة لما جاء فى سنة النبى ﷺ.. فما الغاية من وراء هذه الاستجابة؟ إن الغاية واضحة فى **﴿إذا دعاكم لما يحييكم﴾**، أى أن الاستجابة هى الطريق الوحيد لاكتساب الحياة، فما هذه الحياة التى يشير إليها القول الكريم؟ إن المخاطبين أحياء يغدون ويروحون، ويأكلون ويشربون ويتحركون ويتحدثون، ويشعرون ويفكرون، فما معنى أنهم سوف يمنحون الحياة من وراء الاستجابة؟ لابد أن يكون المقصود بهذه الحياة حياة أخرى غير تلك الحياة الحسية التى نعرفها فى عالم الأحياء. نعم إن الحياة المرادة فى الآية هى حياة أخرى، إنها حياة الكرامة والعزة والشرف التى تمنح لأولئك العاملين بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله ﷺ، ومع البعد عنهما يكون الناس موتى حقيقة وإن كانوا حسيا يغدون ويروحون فى ميادين الحياة، وهذا المعنى هو ما تعنيه الآية الكريمة فى قول الله عز وجل: **﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها﴾** الأنعام: آية ١٢٢.

إن الأمر الربانى فى **﴿ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾** هو الذى استدعى التذكير الذى جاء فى **﴿واذكروا إذ أنتم قليل..﴾** الآية ، كأن الحياة الحقة وهى حياة الكرامة والعزة والشرف سوف تتحقق لمن يطلبها ويحرص على الوصول إليها إذا سار على المنهج نفسه الذى سارت عليه الأمة فى فجر الدعوة الإسلامية، ومن خلاله تمت الكرامة والعزة والشرف والنصر والغلبة.. ومن هنا فإننا نفهم سر **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾** إن الله تعالى ينهى عن خيانة الله والرسول والأمانات، فكيف تكون الخيانة، إنها تكون بعدم العمل بما فى كتاب الله تعالى وبما فى سنة رسوله ﷺ، ومعنى ذلك أن الوعد بالحياة الكريمة التى تترتب على الاستجابة لله وللرسول لن يكون من نصيب الخائنين، وفى ذلك من الوعيد الضمنى ما فيه.. إننا حين نقف مع آية التذكير يجب علينا فى الوقت نفسه أن نذكر الوعد السابق عليها، والوعيد اللاحق بعدها، حتى نراجع أنفسنا مراجعة أمينة نعرف من ورائها أين نحن من الاستجابة لله وللرسول لعل فى هذه المراجعة ما يأسو الجراح، وما يداوى العلل، وما يحقق معنى الحياة.

٢ ـ ومن معالم التذكير فى ذكرى هجرة النبى ﷺ ما تذكرنا به الآية الكريمة فى قوله تعالى: **﴿وإذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾** الأنفال: آية ٣٠.

والآية تذكرنا بما كان من أمر النبى ﷺ حين تآمر به المتآمرون ومكر به الماكرون، فلقد نجاه ربه بقدرته وتدبيره، وأخرجه من بين ظهرانيهم، وقد عميت أبصارهم وبصائرهم، ثم اتجه ﷺ حيث يريد، وإلى المكان الذى سوف تنطلق منه الدعوة الإسلامية آمنة مطمئنة حتى تعود يوما ما إلى المكان الذى بدأت منه لتحطم الأصنام، وتقهر الباطل، ولا يبقى إلا من يجهر بكلمة التوحيد، معلنا وشاهدا **«لا إله إلا الله محمد رسول الله»**.

إن التذكير فى الآية الكريمة يذكرنا كيف يتآمر أهل الباطل ضد أهل الحق، وكيف يزين لهم الشيطان أعمالهم، ويريهم أنهم غالبون لا محالة، وأنهم منتصرون لا ريب، ثم تأتى النتيجة على غير ما يظنون ويعتقدون، وعلى غير ما يدبرون ويمكرون، وعلى خلاف ما يأملون ويتوقعون، ذلك لأن الله تعالى مع أهل الحق ومع الذين جاهدوا فى الله حق جهاده، وهو سبحانه ولى الذين آمنوا وهو ناصرهم ومؤيدهم، وهو الذى يجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا، ويجعل لهم من أمرهم يسرا، وهو الذى يكشف البأساء، ويزيل الضراء، ويبطل كيد الكائدين، ويحبط عمل الطغاة والجبارين.. وإننا اليوم فى حاضرنا يجب ألا يغيب عنا هذا الدرس الإلهى، وهذا التذكير الربانى، فما أحوجنا إلى التوكل على الله تعالى حق التوكل، وإلى التشبث بديننا وعقيدتنا على النحو الذى أمرنا به رب العالمين، وليس على النحو الذى تزينه الأمانى والآمال، فالله تعالى لا يؤيد بجنوده من تواكل وتقاعس، واتخذ كتابه وراءه ظهريا، وإنما يؤيد وينصر من نصر دينه وكتابه وسنة رسوله ﷺ **﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾** الحج: آية ٤٠.

٢ ـ ومن معالم التذكير فى ذكرى هجرة النبى ﷺ ما تذكرنا به الآية الكريمة فى قوله عز وجل: **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم﴾** التوبة: آية ٤٠، وهو تذكير يذكرنا بما كان من أمر النبى ﷺ وصاحبه أبى بكر رضي الله عنه، وهما فى طريقهما إلى المدينة المنورة حين لجآ إلى الغار، وقد أخذت قوى الشرك تبحث عنهما، إلى أن وصلوا إلى مكانهما، ومع ذلك، فإن الله عز وجل أعمى أبصارهم وبصائرهم وردهم على أعقابهم خاسئين خاسرين، ذلك لأن الله تعالى كان معهم، ومن كان الله معه فهو ناصره، ينصره بقدرته، ويؤيده بجنود من عنده، وما يعلم جنود ربك إلا هو، وهو تذكير يجب أن يتعلم منه الدعاة، وأن يأخذوا منه العبرة، حتى لا يصيبهم اليأس وهم يدعون إلى ربهم، وإلى صراطه المستقيم، مهما اشتدت حرب أهل الباطل لهم، ومهما وضعوا فى طريقهم من الأشواك والعراقيل، وما عليهم إلا أن يعتصموا بحبل الله عز وجل، وأن يستشعروا فى يقين صحبته ومعيته لهم، وألا يغيب عنهم هدف إعلاء كلمة الحق، وإبطال كلمة الباطل.

إننا حين نذكر هذه الآية ونتذكر مراميها وأهدافها، فإننا يجب علينا أن نتذكر السياق الذى جاءت فيه، وهو السياق الذى يربطها بما قبلها وبما بعدها، فقد جاء قبلها قول الله عز وجل: **﴿ياأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل﴾ ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولاتضروه شيئا والله على كل شئ قدير﴾** التوبة: الآيتان ٣٨، ٣٩، وفى الآيتين تأنيب ووعيد على التثاقل عن الجهاد فى سبيل الله تعالى

خلودا إلى زينة الحياة الدنيا، وإيثارا لمتاعها القليل، الذى ليس هو بشىء إلى جانب متاع الآخرة الذى أعد للمجاهدين الصادقين، إن التثاقل عن واجب الدفاع عن دين الله تعالى سوف تعود عاقبته على هؤلاء المتثاقلين وحدهم، أما دين الله فهو منصور به سبحانه، وإذا كان هناك من فائدة يرجوها من يحيون فى هذه الدنيا، فإنها لن تكون إلا من وراء الاستجابة لأمر الله عز وجل، ولن تكون إلا من وراء الذود عن حوزة الدين الحنيف، وهذا هو سر ما جاء بعد آية التذكير فى قول الله تعالى **﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾** التوبة: آية ٤١، نعم ذلكم خير للأمة، خير لها فى أمنها واستقرارها وعزتها وكرامتها، وفى هيبة الأعداء لها، وفى أن تكون لها كلمة يحسب حسابها، ويعمل بمقتضاها.. وما أحوجنا اليوم إلى أن تتدارك أمتنا أمر نفسها، وأن تنهض وتحث الخطى فى كل اتجاه لتلحق بالركب إن لم تكن تسبق، ففى ذلك الخير كله، إن كنا جادين فى البحث عن الخير الحقيقى فى كل ميدان من ميادين الحياة، وإلا فإن البديل هو الرضا بما يجود به ويتنازل عنه الآخرون، مما هم ليسوا فى حاجة إليه، أو مما لا يمثل شيئا بالنسبة للجديد الذى وصلوا إلى تحقيقه وامتلاكه.

٤ ـ ومن معالم التذكير فى ذكرى هجرة النبى ﷺ ما يذكرنا به قول الله عز وجل عن المهاجرين والأنصار **﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون◆ والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾** الحشر: الآيتان ٨، ٩، وهو تذكير يذكرنا بما كان من شأن المهاجرين، الذين تركوا ديارهم وأموالهم فى مكة، مضحين بذلك كله فى سبيل نصرة دين الله عز وجل، ومتحملين البعد عن الوطن الذى نشأوا فيه، وعن البيت الحرام الذى كانت تتعبد عيونهم بالنظر إليه، إنهم هم الصادقون الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

وكذلك فإنه تذكير يذكرنا بما كان من شأن الأنصار، أولئك الذين آمنوا بالله تعالى وبرسوله ﷺ وأحبوا إخوانهم من المهاجرين وآثروهم على أنفسهم، وبذلوا لهم الغالى والنفيس، وهم فى رضا نفسى، وفى سرور قلبى، وفى انشراح صدرى.. إن ذلك كله تذكير نذكره فنتذكر واجبنا نحن ـ المسلمين ـ نحو إخوان لنا، هم فى حاجة ماسة إلى من يقف بجوارهم معينا مواسيا ومغيثا مساعدا، هم فى حاجة إلى من يشبعهم من جوع، وإلى من يكسوهم من عرى، وإلى من يرويهم من ظمأ، وإلى من يغنيهم من فقر، وإلى من يؤويهم من تشرد، وإلى من يقويهم من ضعف، وإلى من يؤمنهم من خوف، إنهم فى حاجة فى ظل درس المهاجرين والأنصار إلى من يحقق فيهم ومعهم قول النبى ﷺ **«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**، وقوله: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»**.

وبعد.. فتلك بعض معالم التذكير فى ذكرى هجرة النبى ﷺ ينبغى ألا تغيب عنا فى حاضرنا إذا أردنا أن نكون أعزة، وإذا أردنا أن نكون فى أمن وفى رزق وفير، وإذا أردنا أن يكون الله تعالى معنا.. وما علينا فى أول الأمر وآخره إلا أن نعود إلى ربنا سبحانه وتعالى، وأن نعمل بأوامره، وأن نهجر ما نهانا عنه، ذلك لأنه لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، ولأن المهاجر هو من هجر ما نهى الله عنه ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ التوبة: آية ٤١.

هجرة السلام والعدل والأمان

لكل أمة من الأمم أمجادها وتاريخها العريق الذى تشرف به وتعتز على مر الأيام والعصور، ومن أعظم هذه الأمجاد ولا نكون مبالغين، إذا قلنا إن أعظمها شأنا وأعلاها قدرا الهجرة النبوية الشريفة التى كانت درسا عمليا للعالم أجمع فى كل زمان ومكان لما ترتب عليه من آثار طيبة حققت السلام والعدل والأمان.

أ. د/صبرى عبدالرؤوف

وإذا كان العالم الإسلامى فى كل مكان يحتفل بهذه الذكرى العظيمة، فالواجب على جميع الشعوب أن تفخر بهذا الحدث الذى لم يسبق له مثيل فى تاريخ البشرية.

إنسان يدعو إلى الله عز وجل على بصيرة من الله، يرشد الناس إلى الحق والصواب، جدير بالاحترام والتقدير، لكنه يقابل بالعدوان رغم أنه يدعوهم إلى الأمن والأمان وهم يعلنون الحرب والعدوان، لكنه صبر وثابر ليؤكد للناس أن الدعوة الناجحة الصادقة طريقها ملىء بالأشواك، ولكن بالصبر والتحمل يستطيع الإنسان أن يعبر هذه الأشواك بسهولة ويسر مادام يسير بخطى هادئة متأنية يتخلق بخلق الصبر، ولم لا، وهو يدعو الناس إلى الخير والرشاد.

درس عملى لا مجرد شعارات وعبارات رنانة، أرسى قواعد هذا الدرس رسولنا الكريم فى قوله:

«أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا أدعوكم لنبذ عبادة الأصنام والأوثان وألا تشركوا بالله شيئا وألا تسرقوا ولا تزنوا ولا يقتل بعضكم بعضا»، هذه كلمات طيبة من سيدنا رسول الله ﷺ كان ينبغى لقومه أن يقبلوا نصحه وإرشاده، لكنهم اتهموه بالجنون تارة وبالسحر تارة أخرى رغم علمهم اليقينى بصدقه وأمانته، وما كان الرسول ﷺ يتوقع من قومه أنهم سيكذبونه مما جعل الرسول ﷺ يتأثر لموقف قومه منه، وبين الحين والحين كانت تأتيه البشارات من الله عز وجل ليطمئن قلبه لكى يزداد إيمانا على إيمانه وصبرا على صبره ليؤكد للأمة الإسلامية أن الصمود والصبر أساس الفلاح والنجاح.

وظل ثلاثة عشر عاما يجاهد قومه ويتحمل منهم الأذى حتى فكروا فى قتله والخلاص منه وكان الإذن من الله عز وجل بالهجرة النبوية من

مكة المكرمة خاصة بعد أن مهد لهذه الهجرة بما كان من بيعتى العقبة وانتقال بعض المسلمين من أهل مكة إلى المدينة المنورة مما جعله يطمئن إلى أن هذه الأرض هى الأرض التى ستنطلق منها الدعوة وتتفجر من خلالها ينابيع الخير.

ولهذا فإن الرسول ﷺ لم يتردد لحظة واحدة حينما جاءه الإذن من الله عز وجل بالهجرة إلى المدينة وخاصة وقد أكد الله تبارك وتعالى أنه معه ولن يخذله أبدا، قال تعالى: ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾ الأنفال: آية ٣٠،

وجاء الأمين جبريل إلى سيدنا رسول الله ﷺ ليخبره بأمر الله عز وجل بضرورة الخروج من مكة هذه الليلة، وخرج الرسول ﷺ ترعاه عناية الله فى كل حركة وفى كل خطوة يخطوها أثناء سيره إلى المدينة المنورة، قال الله تعالى: ﴿**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم**﴾ التوبة: آية ٤٠.

اتخذت الدعوة الإسلامية لتدعيم التضامن والتكافل بين المسلمين وسائل شتى، حتى آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار فى المدينة ذلك الإخاء الذى حل محل النسب والقربى.

ونشأت بالدعوة المحمدية جماعة متضامنة موحدة هى مصدر السلطات جميعا، رأيها شرع، وقولها فصل، وأصبحت هذه الجماعة تكفل أفرادها قوى حية مسئولة لا يتم إيمانها ولا يكمل دينها إلا بالإخلاص للجماعة والتفانى فيها، والفناء فى سبيلها. ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾ آل عمران: آية ١٦٩.

وبهذه المؤاخاة التى تمت بين المهاجرين والأنصار، استطاع الرسول ﷺ أن يجعل المسلمين صفا واحدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

لأن هذه المؤاخاة هى التى أدت إلى تكوين مجتمع مسلم يتحمل مسئوليته بنفسه ويشد كل منهم على يد أخيه، قال تعالى: ﴿**المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾ التوبة: آية ٧١.

وكان على سيدنا رسول الله ﷺ أن يؤمِّن حدود المدينة حتى يعيش المسلمون فى سلام وأمان.

ولهذا رأيناه قد عاهد اليهود وهو يعلم أن اليهود لا عهد لهم ولا ميثاق، ولكنه ﷺ أراد أن يؤكد للعالم أن الدين الإسلامى دين سلام وأمان لا دين حرب وعدوان.

لكن اليهود بطبيعتهم وكعهدهم فى جميع معاملاتهم قد نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ والتى ترتب عليها أن الرسول ﷺ عاقبهم على سوء صنيعهم لعدم احترامهم العهود والمواثيق.

ولو أنهم التزموا بالعهود والمواثيق ما عاقبهم الرسول ﷺ على شىء وذلك لأن هذه المعاهدات كانت من أجل تحقيق العدالة لجميع أبناء المجتمع لا فرق بين مسلم ويهودى مادام الكل يحترم العهود والمواثيق ويحافظ على أمن وأمان المجتمع.

واستطاع الرسول ﷺ أن ينشر دعوة الإسلام خارج الجزيرة العربية فأرسل الكتب والرسل إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام، فمنهم من أجاب دعوة الرسول ﷺ، ومنهم من امتنع عن الدخول فى الإسلام لكنه رد على الرسول ﷺ ردا حسنا، وبهذا يكون الرسول ﷺ قد استطاع أن يفرق بين العدو والصديق.

واتبع الرسول ﷺ منهجا حسنا فى بناء مجتمع السلام والأمان وذلك عن طريق الدعوة إلى الله عز وجل بالأسلوب الأمثل، قال الله تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ آل عمران: آية ١٠٤، وهذا معناه أن كل

إنسان يريد الأمن والأمان فعليه أن يتحمل المسئولية وذلك لأن تقدير المسئولية لا يكون إلا بالدعوة والإقناع، ومتى أدرك الكل الحقوق والواجبات إدراكا صحيحا، ظهر الرأى العام موحدا قويا فيقوم المعوج ويصلح الفاسد.

ومفتاح كل أمر من أمور الإصلاح هو الوصول إلى النفس أولا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ الرعد: آية ١١.

ولقد رأينا سيدنا رسول الله ﷺ حينما وجد الأمن والأمان قد ظهرت بشائره بعد الهجرة النبوية، استطاع أن يكوِّن أمة، وأن يؤسس دعوة قامت على الحق ودعت إليه.

ولقد بلغ من حكمة الرسول ﷺ أنه عالج آفات المجتمع بالدعوة قبل أن يعالجها بالتشريع لحماية مقاصد الدعوة الإسلامية، لأن كل تكليف وكل حق ينشأ فى المجتمع إنما هو بسبب واحد هو الإحسان للفرد والجماعة، لذلك نجد الإسلام قد تناول جميع نواحى الحياة وحدد فيها المسئولية لتحقيق قصده وهو الحياة السعيدة التى يريدها للناس فى هذه الدنيا والتى جعنها وسيلتهم لحياة أرقى وأسعد فى الآخرة.

فمثلا، يقول الرسول ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»، وهذا الحديث النبوى الشريف يدل على أنه لم يخل إنسان من مسئوليته عن الآخر، فكل راع مسئول عن رعيته فى موقعه لأن الجميع مكلف بالعمل من أجل إصلاح حال المجتمع وبالتواصى بالحق والتعاون على البر والتقوى.

وليس أنجح لمقاومة الشر وآفات المجتمع من التربية الإسلامية التى جعلت هذه المسئولية تهبط من الأسمى إلى الأدنى وتصعد من الأدنى إلى الأعلى، فهى التى تشد البناء الإسلامى وتمسكه من الخلل.

وبالتأمل فى منهج البناء للمجتمع بعد هجرة الرسول ﷺ يتبين لنا أن الرسول ﷺ كان حريصا كل الحرص على أن يعيش المجتمع آمنا مطمئنا مادام الكل يسعى إلى هدف واحد.

وإذا كان الرسول ﷺ خاض بعض المعارك بينه وبين أعداء الإسلام، فإن هذه المعارك لم تكن من باب التشفى والانتقام، وإنما كانت من باب رد العدوان عن الدولة الإسلامية لأن البشرية جمعاء لم تكن تعرف السلام والأمان إلا فى ظل الإسلام.

ولقد كان تحقيق السلام والأمان واضحا فى منهج الرسول ﷺ عندما يختار قائدا للجيش الإسلامى كان يقول للقائد وجنوده: «**لا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا مريضا ولا امرأة ولا من ألقى سلاحه ولا من أغلق عليه دارا ولا تهدموا دارا ولا تقطعوا شجرا..**» إلى غير ذلك من الوصايا التى كان الرسول ﷺ يحرص على تنبيه القادة والجند على الالتزام بها.

فلولا هجرة الرسول ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة لما قامت الدولة الإسلامية ولا حكمة الرسول وحسن سياسته ﷺ، لما كان لأمة الإسلام شأن بين سائر الأمم.

ولهذا عاش المسلمون فى سلام وأمان وتحقق العدل فى الداخل والخارج لأن هجرة الرسول ﷺ كانت للحق ومن أجل نشر الحق، وقد تمثلت فى عظمة التشريع الإسلامى الذى أمر بالعدل والإحسان مع العدو والصديق لا فرق بين إنسان وإنسان.

ولهذا وجب على أمة الإسلام أن تهجر الخلافات وأن تعمل على وحدة الصف والمصير.

ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد لأمة الإسلام والمسلمين، وأن تتخذ من ذكرى هجرة رسول الله ﷺ درسا منهجيا لتحقيق الأمن والأمان على المستوى المحلى والعالمى ليكون جميع الناس آمنين مطمئنين فى ظل تشريعات الإسلام الحكيمة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فى ظلال الهجرة النبوية المباركة

لقد كانت هجرة الرسول ﷺ من أعظم الأحداث فى تاريخ الإسلام تبقى وضاءة فى قلوب المسلمين لا تمل الأسماع حديثها، فهى تمثل بكل جوانبها عظمة الرسول ﷺ وقوة يقين صحابته الذين حملوا أمانة الدعوة فكانوا أعزة أقوياء، فلم ينل منهم ما نزل بهم من أذى من صناديد قريش، وظلت نفوسهم مرتبطة بالله، فلقد سبقت الهجرة مواقف تحمل الرسول فيها عنت قريش وضراوتها، ولم يجد فيهم بشير ولا نذير، ناداهم الرسول: أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتدين لكم العرب والعجم فيقول أبو لهب تباً لك ألهذا جمعتنا؟!

محمد عبدالسميع شبانة

استعصت مكة عن الاستجابة لنداء الحق وصمت آذانها حتى بلغ بهم الكيد للرسول ﷺ ولمن اتبعه؛ أن فرضوا عليهم حربا اقتصادية ظالمة فلا يبيعون إليهم ولا يبتاعون منهم، ولا يزوجونهم، ولا يتزوجون منهم، حتى بلغت بهم الشدة بسبب حصار قريش لهم مبلغا عظيما فنفد ما عندهم من الطعام، فأكلوا الشوك حتى تقرحت شفاههم، وجفت أثداء نسائهم، فانقطع الغذاء عن الأطفال الرضع، ومع ذلك ظل المسلمون المحاصرون أقوياء بدينهم، لم يفت ذلك فى عضدهم، كان رباط الإيمان يمسك بقلوبهم حتى هيأ الله من نقض صحيفة المقاطعة الظالمة.

لم يتوقف عدوان قريش على الرسول ﷺ وصحبه فأذن الرسول لمن لم يهاجر إلى الحبشة بالهجرة إلى يثرب، ولم يبق مع الرسول إلا أبو بكر وعلى بن أبى طالب وأصحاب الأعذار.

كان لابد أن تجد الدعوة أرضا خصبة بالإيمان لينبعث النور منها من خلال أصحابها الذين يتقبلون الحق بحكم فطرتهم الطيبة التى فطرهم الله عليها. فكان اختيار الرسول للمدينة المنورة طيبة المباركة.

فاجتمع الرسول ﷺ فى موسم الحج بنفر من أهلها وجد فيهم تقبلا لدعوته وقناعة بها، فتكرر اللقاء فى بيعة العقبة الأولى، وازداد عددهم من الرجال والنساء فى بيعة العقبة الثانية، وعاهدوا الرسول على أن ينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم، وأن يبشروا بدعوته فى ربوع يثرب حتى يصل المهاجر العظيم إليهم، فتهيأت يثرب لاستقبال الرسول ﷺ.

وأذن الله لرسوله بالهجرة بعد أن تآمرت قريش

على قتله، وأبرموا أمرهم أن يجمعوا من كل قبيلة شابا جلدا ويضربونه ضربة رجل واحد فيضيع دمه بين القبائل. أخبر الله نبيه بما ائتمروا عليه وحانت ساعة الهجرة، وأخبر الرسول صاحبه أبا بكر بما أذن الله له فقال: الصحبة يارسول الله. وجهز الصديق راحلتين لتنقلا الرسول وصاحبه إلى الأرض المباركة يثرب التى شرفها الله بمحمد ﷺ لينشر بين ربوعها العدل والمساواة والرحمة بين الناس ويخلص البشرية من الظلم والطغيان.

وفى اليوم الذى أذن الله فيه لرسوله بالتوجه إلى يثرب، أعمى الله أبصار الطغاة الذين تحلقوا بداره لينفذوا ما تواعدوا عليه وتآمروا به، فخرج من بينهم ذارا التراب فى وجوههم فأغشى الله أبصارهم، وسلب أحاسيسهم، وصدق الله العظيم:

﴿وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ يس: آية ٩، كانت معية الله مع رسوله، ومن يكن الله معه فلن يضيعه الله أبدا. والتقى أبو بكر مع حبيبه.. وأخذ الرسول بالأسباب البشرية للنجاة من قريش وهى ستتبعه حتما، وللنجاح فى سعيه ورحلته.

فتوقف الرسول ﷺ وصاحبه فى غار ثور ثلاثة أيام حتى ينقطع عنهما الطلب، واتخذا الدليل الأمين ليرشدهما على الطريق، وسلكا طريقا غير الذى تسلكه قريش فى طريقها، وكان عامر بن فُهيرة مولى أبى بكر يرعى الغنم حول الغار ليمحو آثار الأقدام والعرب خبيرون بذلك.

كما أمر الرسول على بن أبى طالب أن ينام على فراشه ليوهم المتربصين والمحيطين بالبيت أن الرسول ﷺ باق فى فراشه فكانوا ينظرون بين الفينة والفينة من كوة فى باب البيت ليطمئنوا على بقاء الرسول فى فراشه وما دروا أن المتدثر فى فراش الرسول هو على بن أبى طالب حتى أسقط فى أيديهم وبانت لهم الحقيقة بنجاة الرسول ﷺ.

وجدت الهجرة أرضا خصبة بالمدينة ينبعث منها نور الإيمان لينتشر فيها الإسلام

وليتأمل شباب الإسلام موقف على وقد رضى أن ينام فى فراش الرسول ويتدثر بغطائه وهو يعلم أن الخطر محدق به من كل جانب، وأن القوم قد يقتلونه، ولكنه الإيمان ملأ قلب الفتى أمنا وطمأنينة وحسبه أن ينال شرف المبيت فى فراش الرسول ﷺ. إنه الحب الكامل لرسول الله ﷺ.

معية الله لرسوله

وتصل قريش إلى الغار وهى تبحث عن أشرف الخلق محمد ﷺ، ولكن الله أعدّ لرسوله جندا يحرسونه وما يعلم جنود ربك إلا هو، فينسج العنكبوت نسيجه على باب الغار، وتعشش الحمائم الزغب على مدخله فيقول واحد من قريش وهم حول باب الغار، لو كان محمد فى الغار لتمزق نسيج العنكبوت وتكسر بيض الحمام، وينظر الصديق إلى وقع أقدامهم ويقول لصاحبه: والله لو

نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا فيقول الرسول ﷺ: ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم﴾ التوبة: آية ٤٠.

ويمضى الركب الميمون إلى يثرب.. طيبة الطيبة وقريش لا تهدأ فترصد مكافأة سخية لمن يأتى بالرسول حيا أو ميتا فتغرى المكافأة سراقة فيخرج متلهفا للظفر برسول الله ويحصل على الجائزة التى يسيل لها لعاب الطامعين، وكان سراقة أسبق المغامرين لنيل المكافأة ولنتأمل معية الله لرسوله وسراقة ينطلق بعدته وسلاحه وجواده الذى لا يكبو.. انطلق تحدوه آمال عراض لبلوغ ضالته حتى أصبح على مرمى البصر من محمد ومرافقيه.. هنا اشرأبت نفسه وأحس بالنشوة تدغدغ أحاسيسه ولنصغ السمع إلى حديث سراقة:

يقول سراقة بن مالك: إن فرسه عثرت به ثلاث مرات، وفى المرة الثالثة ساخت قوائمها فانتزعها من الأرض فتصاعد منها دخان كالإعصار فأصابه الفزع.

يقول سراقة: لقد أدركت أن سرا عجيبا وعناية خاصة تحيط بهؤلاء الناس فناداهم قائلا: أنا سراقة بن جعشم. انظرونى أكلمكم، فوالله لا يأتيكم منى شىء تكرهونه، فقال الرسول لأبى بكر: قل له وماذا تبتغى منا؟ فأجابه سراقة: أريد أن تكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينك، فكتب له أبوبكر كتابا بما طلب جاء به إلى الرسول يوم الفتح.

لقد أحاط الله رسوله بعنايته فأصاب الفارس المطارد لرسول الله بما أصاب فارتاعت نفسه وهو يرى فرسه التى لا تخطئ السير تسوخ أقدامها المرة بعد المرة فيتحول من مطارد إلى مدافع، ويعود يجر أذيال الخسران، وقد تحول من النقيض إلى النقيض. خرج فى أول النهار مطاردا وعاد فى آخره منافحا عن الرسول يدفع عنه غوائل قريش. إنها معية الله، فيلقاه أبو جهل فيدهش لما حل بسراقة.. يناديه: ماذا أصابك ياسراقة؟ وماذا دهاك وأنت المغوار؟ فينشد سراقة:

أباحكم والله لو كنت شاهدا
لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه
علمت، ولم تشكك بأن محمدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فإننى
أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم
بأن جميع الناس طرا تسالمه

حقا.. إن كان الله معه فلن يخذله الله أبدا قال الله تعالى: **﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾** غافر: آية ٥١.

حديث أم معبد الخزاعية

ويتوقف موكب المهاجر العظيم فى طريقه إلى يثرب عند خيمة أم معبد يستروحون من العناء ويلتمسون زادا عندها، وكانت أم معبد تسقى وتطعم المارين بها، فسألوها تمرا أو لحما يشترونه فلم يصيبوا عندها فى هذا الوقت شيئا، وقالت: والله لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القرى.

فنظر الرسول إلى شاة فى الخيمة فقال رسول الله ﷺ: ما هذه الشاة ياأم معبد؟ قالت: خلفها

الجهد عن الغنم، فقال: هل بها من لبن؟ قال: هى أجهد من ذلك، فقال الرسول ﷺ: أتأذنين أن أحلبها؟ فقالت: إن رأيت فيها حليبا فاحلُبها، فمسح الرسول بيده الشريفة ضرعها وسمى الله فدرّت اللبن، فدعا بإناء فحلب فيه حتى علته الرغوة، فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب هو وحلب ثانيا حتى ملأ الإناء لها. ثم انطلق الموكب الميمون إلى المدينة خير مقام للرسول ﷺ. فلما جاء زوجها ورأى اللبن قال لها: من أين هذا والشاة عاثرة ولا حلوبة فى البيت فقصت عليه ما رأت فأدرك أن الرجل المبارك الذى تحدثت عنه هو صاحب قريش الذى تطلبه، وقال: لقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدته.

وهكذا كانت معية الله لرسوله فى كل خطاه فى طريقه إلى المدينة المنورة التى شاء الله أن تكون نيرة بمحمد ودعوته تنير للبشرية طريقها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ❁ يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ المائدة: الآيتان ١٥، ١٦.

وتبقى النفوس فى كل زمان ومكان توّاقة إلى أن تعطر أنفاسها بعبير رسول الله ﷺ فينعكس عليها أمنا وسلاما، فما تنقطع القوافل والمواكب نحو المدينة النيّرة - المنورة، يدفعها الحب لرسول الله ﷺ والصلاة فى الروضة النبوية المباركة والتشرف بزيارة قبر الرسول ﷺ.

المعانى التى تؤخذ من الهجرة

كانت الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة السبيل إلى قوة المسلمين وانتشار دين الله وتحقيق كل معانى الخير فكانت آثارها إيجابية بكل المقاييس.

وتبقى الهجرة رمزا لعزيمة الإصرار على التغلب على الباطل ونصرة الحق، فينبغى على المسلمين فى كل مكان أن يهجروا الخلافات والتخاذل والتنابز إلى الألفة والأخوة والاعتصام بحبل الله، فهذا أعظم تحقيق لمعانى الهجرة التى نحتفل بذكراها، فما كان الاحتفال بأحداث الأمم الخالدة إلا للاقتداء بروادها ومعرفة أسباب نجاحها وانتصارها، إنه لا سبيل إلى تحقيق قوة المسلمين وعزتهم إلا بوحدتهم وتعاونهم ليكونوا كالجسد الواحد إذا تألم منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. كما بين الرسول ﷺ فى جوامع كلمه حتى يكونوا قادرين على مواجهة أعدائهم الذين يتربصون بهم الدوائر.

كان للهجرة النبوية آثارها الإيجابية فى دعم قوة المسلمين ونشر دين الله وتحقيق معانى الخير

إن هجر المسلمين للتخلف الذى استحوذ عليهم والهوان الذى تعانيه أكثر أممهم، واجب يقتضيه الإسلام الذى بشرهم بالعلو والرفعة قال الله تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ آل عمران: آية ١٣٩.

﴿ويومئذ يفرح المؤمنون ❁ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ الروم: الآيتان ٤، ٥.

«الهجرة» عيد المبدأ والعقيدة

من بين الذكريات العظيمة ذكرى الهجرة النبوية الكريمة، التى تتجدد كل عام أول شهر الله المحرم.. كما يتجدد الربيع.. وهذه الذكرى تحرك الهمم وتقوى العزائم، وتؤكد للمسلمين أن حقهم المقدس لا يمكن أن يتحقق إلا بالكفاح الدائم، وأن عدوهم لا يمكن أبدا أن يغلبهم على حقهم المقدس ماداموا يبذلون فى سبيل ذلك أرواحهم وأموالهم.. ويستمدون النصر من الله العزيز الحكيم.

الشيخ/ منصور الرفاعى عبيد

ويوم الهجرة يوم من أمجد أيام الله لأن الهجرة كانت من أجل تحرير أم القرى وما حولها ثم تحرير العالم كله.. لأننا عندما نستنطق التاريخ نعرف أن محمدا ﷺ يوم جهر بدعوته لم يكن له من أصحابه إلا قلة من الضعفاء الفقراء.. والعبيد، ولم يكن له من القوة والسلاح شىء يذكر، ولم تكن هجرة النبى ﷺ وأصحابه ضعفا أو استسلاما، بل كانت الهجرة قوة وبذلا وتجردا لله رب العالمين، وكانت تضحية مريرة فى سبيل المبدأ والعقيدة.. ذلك لأن النبى محمدا ﷺ عرف أن قومه سيخرجونه من بلده منذ أول لحظة نزل عليه وحى السماء، لأن الوحى عندما نزل عليه وأعلن تخوُّفه من ذلك حيث لم يكن له به علم ولا دراية وذهبت به السيدة خديجة - رضى الله عنها - إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان من (الحنفاء)، وعندما سمع من فم النبى العظيم ما حدث له فى غار حراء قال له: هذا هو الناموس الذى أنزله الله على موسى ليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا إذ يُخرجك قومك.. قال: أو مُخرجىَّ هم؟ قال نعم. لم يأت رجلٌ بمثل ما جئت به إلا عُودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا.. لذلك لم تكن الهجرة جديدة على سمع النبى ﷺ فكان يدرب أصحابه ويعدهم لذلك. كما أن الهجرة لم تكن جريا وراء ثروة أو جاه.. وإنما كانت هجرة قلوب وأرواح، ولو أن أى إنسان آخر فى مكان الرسول ﷺ لهاله الأمر وخاف من المستقبل ويئس من النجاح..!! لكن النبى العظيم - صلوات الله وسلامه عليه - وقف مع القلة المؤمنة.. يصابر الأذى، ويجاهد القوم بعقيدة قوية، وهو قوى كالقدر شامخ كالجبل.. يظهر معدنه الأصيل وهو ينضح من إيمانه الطهور وقوة يقينه وثقته بربه على من حوله من المسلمين الضعفاء الذين يعذبون ليل نهار.

لقد ثبت النبى ﷺ فى وجه التحديات وصمد صمودا باسلا، ولم تستطع أبدا قوى الشر أن تستنزله عن قمته أو تستدرجه إلى باطلها أو تصرفه عن دعوت، وإنما قاوم مقاومة عظيمة وتسامى بوجدانه الطاهر إلى مشارف الحق.. فأمده الله بعونه وربط على قلبه وثبت فؤاده حتى يكون قدوة للدنيا بأسرها، ولذلك لم يحاول أبدا هذا النبى

العظيم أن ينزل إلى درك الانتقام، وإنما كان يعفو ويصفح وينادى على أصحابه الذين يعذبون ويبتلون ولا يملك إلا أن يقول لهم: **«صبرا آل ياسر إن موعدكم الجنة»** لأن المسلمين عاشوا تحت وطأة الاضطهاد يسومهم المجرمون سوء العذاب.. لأن قريشا لم تدع وسيلة من وسائل التعذيب إلا ولجأت إليها. وكان المشركون كلما ازدادوا فى إيذاء المسلمين ازداد المؤمنون تمسكا بعقيدتهم، وحلاوة الإيمان المسيطر على نفوسهم تطغى على مرارة العذاب الوحشى.. وكان كل يوم تُشرق فيه الشمس يتشبث الجاهلون بجاهليتهم ويتفننون فى نفس الوقت بإلحاق الأذى بمن يخالفهم.. كيًا بالنار أو تغريقا فى الماء.. أو طرحا على الرمل الملتهب مع وهج الشمس المحرقة ووضع حجر ثقيل على الصدر، والطغاة المتمرسون بالغطرسة يخترعون ألوانا من التعذيب يفتنون بها لتعذيب الفئة المؤمنة **﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾** البروج: آية ٨. إن تاريخ الطغاة حافل بصنوف التعذيب الوحشى لكل من يخالفهم فى الرأى.. كأنما يريدون أن يتحول البشر إلى دُمى جامدة لا تفكر فى أمر ولا تناقش فى مبدأ، وتشقى الدنيا بأمثال هؤلا لأنهم وبالٌ على المجتمعات، بل هم ثِقَلٌ على الوجود بأسره.. لذلك سحقتهم مطارق الحق وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر **﴿وكذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾** هود: آية ١٠٢، ولقد بقيت آثار إجرامهم لعنة تطارد أرواحهم وهم فى الدار الآخرة، فى حين بقيت ذكرى المؤمنين المعذبين المضطهدين تقود مسيرة البشر إلى صراط الله العزيز الحميد.. لأن سيرة هؤلاء أصحاب العقائد القوية والقيم العالية والمبادئ النبيلة ستظل تلهم الحياة رشدها وتعطر أجواءها وتعلم الأجيال من بعدهم.. ونحن عندما نقرأ تاريخ هؤلاء الأمجاد، يدفعنا ذلك إلى التشبث بقيم الصمود والثبات على المبدأ وتحرير نفوسنا من الوهن والضعف وتطهيرها من الخداع لأن أمامنا قول الله **﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾** الأنعام: آية ٩٠، وما أحوج كل أمة مناضلة إلى الاقتداء بهذه النماذج البشرية التى ضربت مثلا رائعا وبطوليا على التمسك بالحق والصبر وعدم التفريط فى القيم مهما كانت الأسباب، إننا فى حاجة إلى أن نقرأ قصة الهجرة ونتمثل الفترة الزمنية التى سبقتها ونحلل أحداثها لنأخذ العبرة ونستفيد من التجربة.. وياللتعاجيب القدر.. !! محمدٌ وأصحابه الذين كانوا مطاردين بالأمس يسومونهم أهل مكة العذاب والذين هاجروا بالأمس من مكة تحت وابل من الإرهاب والتنكيل والبطش.. حتى إن النبى ﷺ يودع مكة قبل ارتحاله بنظرة حزينة وتنزل دموعه ممتزجة بالآلام النفسية واللوعة الوجدانية، وقد خفق قلب الوجود كله حيث انفطر تجاوبا مع رسول الله ﷺ وهو يقول: **«والله إنى لأعلم يا مكة أنك أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إلىّ ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت»**.. ولما كانت مشيئة الله أن ينتصر الحق دائما، فقد عاد محمد ﷺ إلى مكة تحت راية السلام وهو يعلن على الدنيا بأسرها **﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾** الإسراء: آية ٨١، وعاد الذين كانوا مطاردين بالأمس وأصبحوا فى مكة سادة عظماء.. وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا وتحقق قول الحق سبحانه: **﴿ونريد أن نَمُنَّ على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين* ونُمكن لهم فى الأرض﴾** القصص: الآيتان ٥، ٦. ووقف المجرمون الذين كانوا بالأمس يرفعون السياط ويتفننون فى أساليب ابتكارية لألوان من التعذيب، أصبحوا اليوم وهم متشبثون بالجاهلية. لكن أحيط بهم ولم يعد هناك مجال لتسويف أو تضليل أو خداع.. وضاقت عليهم الدنيا بما رحبت ووقفوا تحت أقدام المطاردين بالأمس والمعذبين بأيديهم ينتظرون كلمة الحياة أو الموت تصدر من فم النبى محمد العظيم ﷺ الذى اشتهر بينهم وعرفوه بالصدق والأمانة والوفاء والمروءة، ومع ذلك تطاولوا عليه وعذبوا أصحابه وساوموه بالمال وعرضوا عليه الجاه لكنه دائما كان يقول لهم ياقوم: **أدعوكم إلى الجنة وتدعوننى إلى النار**.. وكانوا دائما يعملون على

تصعيد المقاومة ضد الدعوة، ولقد عاش المسلمون فترة تزيد على السنوات العشر تحت وطأة العذاب وهم صابرون محتسبون يتساقطون من فرط العذاب والجوع، بل ومنع الماء عنهم وعدم البيع والشراء لهم.. ولقد كان الأسى هو وقود الإيمان لأنهم كانوا يلوذون بربهم، فكلما ازداد الأسى وتكاثرت الآلام عليهم وينتقلون من شدة إلى شدة أشد، كان ذلك يصهر معدنهم وينقيهم من الشوائب.. لأن المؤمنين بربهم لا تقهرهم الأحداث ولا تنال من إيمانهم لأنهم على ربهم يتوكلون ومن للمغلوب المستضام إلا ربه يفرج كربه وينتصر له.

بسمة الأمل

إن الله تبارك وتعالى لا يتخلى عن المؤمنين الصادقين، بل هو سبحانه وتعالى يدافع عن المؤمنين ويلهمهم رشدهم.. والنصر من عند الله دائما مع الصبر.. والحق لا ينتصر بنفسه وإنما ينتصر بأصحابه الذين يدافعون عنه ويحمون حماه ويبذلون أرواحهم ويضحون بكل شىء فى سبيله.. والرسول - عليه الصلاة والسلام - وهو فى غمرة الأسى ولوعة الحزن خاصة بعد حدثين خطيرين وقعا به.. لهما أعظم الأثر فى نفسه وهما: وفاة الزوجة البارة خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها - والتى كانت تدفئه بعاطفتها وتمسح عن جبينه المرهق وعثاء الكفاح، وكانت تواسيه بكلمات الحنان والرقة حين يتخلى عنه الأهل ويحاربه الأقارب والأباعد.. فى نفس الوقت تمده بمالها وتنفق بسخاء.. فخديجة إذاً كانت بسمة حنان ونسمة رحمة داخل بيت النبى العظيم.. كذلك مات أبو طالب العم الأصيل والواحة الظليلة لأنه طالما أمد الرسول ﷺ بالأمل، فى نفس الوقت كان قوة يستمد منه الرسول ﷺ عزما يعينه على مصاعب الدعوة ومدافعة الأعداء.. لقد كان بر أبى طالب بابن أخيه نموذجا صالحا فله وقفات صامدات يذود بها عن الحق بعزم ويدفع عن الوحى بحزم.. ولم ينحرف عن هذا السبيل، لقد سخر الرجل جاهه وسلطانه يناوش أعداء محمد ويلقى قريشا حينا بالملاينة والمرونة، وحينا بالشدة والخصومة، فهو يناصر الدعوة ولا يضنّ على ابن أخيه وأصحابه بجهد أو مال.. فى أيام معدودات توفى أبو طالب بعد خديجة، ولقد بلغت قريش بعد ذلك قمة الخسّة والفجور وأوغلت فى التحدى والعناد، وتفننت فى تعذيب المسلمين حتى ضاق صدر الرسول ﷺ بمكة وأهلها لأنهم لم يتركوا وسيلة للكيد إلا سلكوها، ولا فرصة للتعويق إلا انتهزوها.. لذلك ارتحل الرسول ﷺ من مكة إلى الطائف علّه يجد النصرة عند ثقيف.. وكان يأمل أن يصدقه الناس هناك.. لكنهم كانوا أسوأ حال من قريش.. وقد وصل إلى ثقيف سيرا على الأقدام مسافة خمسين ميلا وقطع المسافة على قدميه غير عابئ بوعثاء الطريق ولا بحرارة الشمس.. ومكث بين أهل ثقيف عشرة أيام، ولقد كان أهل ثقيف أخس من أهل مكة لأن قلوبهم غير مهيئة للهداية ومع ذلك دفعوا بسفهائهم وغلمانهم ونسائهم ليقذفوا النبى محمدا ﷺ بالحجارة، ومازالوا كذلك حتى شجّت رأسه ودميت قدماه وانتابه إعياء وضعف.. فجلس يلتقط أنفاسه وقلبه ملىء بالهموم، لذلك اتجه بحرارة إلى ربه.. ودموع الأسى تترقرق فى مقلتيه.. فرفع يديه فى دعاء ضارع ونداء صادق يصب فيه كل آلامه ويبلله بدمعات الحزن الممض والألم الدفين..

إن قلب الوجود يخفق إشفاقا وحنانا على نبى الهدى الذى جاء رحمة لمن لم يرحموا، ونورا لمن عميت بصائرهم وأعمتهم الشهوة وعاشوا فى رجس من شرب الخمر وعبادة الأوثان. إن أصحاب القلوب الكبيرة يجدون فى الدعاء راحة للنفس وسلوى القلب والنور الذى يشرق فى القلب، ويضىء الأمل فى النفس. لذلك دعا ربه فقال: **«اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى مَنْ تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى؟ أم إلى عدو ملّكته أمرى إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى غير أن عافيتك هى أوسع لى..».**

لقد سكب الرسول ﷺ فى هذا الدعاء الضارع

قلبه كله وشوقه كله وحبه لله.. شكا إليه الضعف ليمنحه القوة.. بثّه الهموم ليُسبغ عليه السكينة، بيّن الأعباء والمشاكل التى تصادفه ليُعينه على النهوض بالأداء، ويهبه العزم ويذلل أمامه الصعاب.. إن الرسول ﷺ فى حالة دعائه كان جوهرا لطيفا وروحا شفافة ونفسا تذوب شوقا إلى رحمة الله فجاء الدعاء رشفة علاج، لذلك وجد النبى ﷺ راحة يستظل بها وأملا يحنو عليه.. فى هذه اللحظات وقع حادث الإسراء والمعراج.. وقد أراد العليم الحكيم أن يرفع النبى العظيم محمدا ﷺ إلى السموات العُلا ليطلعه على حقائق الكون.. ويزجُ به فى آفاق النور ليرى من آيات ربه الكبرى.. ثم ليعقد لقاء كريما بينه وبين إخوانه من النبيين الذين سبقوه على مسار الدعوة.. وقد ناله ما أصابهم لذلك قال الله تعالى له: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم﴾ الأحقاف: آية ٣٥، وأن يكون هذا اللقاء بمثابة حفل تكريم لهذا الرسول المعذب فى الأرض ويكون بمثابة أمر يشدُّ به عزمه ويقوى به روحه.. ويؤكد له أنه من الله بمكانٍ.. إنها دفعة أمل على طريق الدعوة إلى الله لتُبين له أن الجفوة التى وجدها عند قومه وأهل مكة والطائف فإنها دفعة أمل على طريق الدعوة إلى الله، وهكذا الدعاة إلى الله لابد أن يتسلحوا بالإيمان.. وأصحاب الحق عليهم أن يروا فى حياة رسول الله ﷺ وحياة أصحابه فى المرحلة الأولى للدعوة أروع مثل يقتدون به ويتعلمون، وحملة الرسالة عليهم أن يبدأوا الإصلاح من أنفسهم ليكونوا روّادا حقيقيين.

إن أعداء الإصلاح حين لم ينجح أسلوب الإغراء والملاينة، عمدوا إلى التهديد والتعذيب وشن الحروب النفسية والاقتصادية، بل وحروب المقاطعة والتجويع.. ولما صمد المسلمون وقاوموا بهرت المشركون هذه المقاومة وهذا الصمود، فقرروا اغتيال النبى العظيم.. وهو قرار يائس يدل على أن القوم فقدوا أعصابهم وعجزوا عن محاصرة الدعوة الجديدة، وقد جاء الفرج من عند الله للمستضعفين فى الأرض وأصبحوا قادة إصلاح فى المجتمع الإنسانى، وإنه لجدير بنا أن نوثق الربط بين الهجرة والعقيدة فى وجدان المسلمين، وما أشبه اليوم بالبارحة، فالمسلمون اليوم يواجهون قوى الشر والطغيان، ولن ننتصر على أعدائنا إلا بما انتصر به المسلمون الأُول.

ثقة فى النفس.. وتوحد وإخاء، وصبر على المكاره، وتمسك بالقيم الأخلاقية لأنه بهذا وبالتخطيط المنظم وبالإعداد المادى والروحى تحقق النصر للمسلمين.. وما الهجرة إلا حلقة فى سلسلة الأحداث الإسلامية التى ظلت تتصاعد حتى وصلت إلى الهجرة التى كانت موصولة بما قبلها من أحداث مؤثرة فيما بعدها من النتائج، وعلى لوحة الهجرة ونحن نتدارسها تلمع أسماء كثيرة وتتألق زاهية لمجموعة من الشباب قاموا بأداء دور كبير، لذلك نقول لشبابنا: ادرسوا حياة هؤلاء الشباب الذين أدوا دورا عظيما ورائعا فى الهجرة.. كما أن المرأة أسهمت بدور فعال ليكون ذلك نموذجا فريدا على أن المرأة اعتنقت الإسلام بصدق ودافعت عنه بيقين وتحملت مسئوليتها بجدارة وأدت دورا على مسرح الحياة غير مسبوق بخلق نظيف وصدق يقين وإحساس بالمسئولية، فهل لشبابنا وفتياتنا الاقتداء بهذه النماذج التى تألقت فى سماء المجتمع نجوما مُضيئة يهتدى بها عشاق الكرامة والباحثون عن الحق والذين يعملون لسعادة أنفسهم وازدهار المجتمع.. هذا ما نتطلع إليه، ولنا فى الله أمل أن يحقق لنا الرجاء سائلين الله سبحانه قائلين متضرعين.. اللهم يارب الهجرة ويارب محمد.. ويارب المهاجرين.. امنحنا قلوبا مهاجرة إليك وازرع فى نفوسنا اليقين وفى قلوبنا الطُهر وعلى ألسنتنا الحكمة.. حتى نبصر طريق النصر ونسلك سبيله وامنحنا الصدق فى القول والصبر والصمود وقوة العزيمة وصحوة الإرادة حتى نكون من جندك الذين تحقق بهم النصر للأمة ويكونون عوامل بناء لدولة العلم والإيمان، ويسهمون فى إقامة المجتمع الربانى الذين يحررون موازين العدل ويرفعون صوت الضمير ويعملون على إعلاء قدر الإنسان وحماية صوت الحق.. اللهم آمين.. اللهم آمين.

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فى رحاب السنة النبوية المطهرة

- **الوضع فى السنة ومقاومة العلماء له**
- **من مدرسة النبوة للشباب**

الوضع فى السنة ومقاومة العلماء له

الوضع فى الحديث ومقاومته

لم يشع الكذب فى عهد الرسول ﷺ ولا عهد الخلفاء الراشدين من بعده، وما كان بينهم من خلاف فقهى، فلا يتعدى اختلاف وجهة النظر فى أمور الدين.

أخرج البيهقى أن أنسا حدث بحديث، فقال له رجل: «أسمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم أو حدثنى من لم يكذب، والله ما كنا نكذب ولا كنا ندرى ما الكذب».

وكان الكذب فى عهد كبار التابعين أقل منه فى عهد صغارهم، لوجود الصحابة وكبار التابعين، ولما كانوا عليه من الورع والتدين، ولأن الخلاف السياسى كان فى أول عهدهم بسيطا.. كل ذلك كان سببا فى تضييق بواعث الوضع والحد من الكذب.

أ.د/ أحمد عمر هاشم

ولما كان الشيعة هم أول من تجرأ على ذلك فيمكننا الحكم بأن أول بيئة نشأ الوضع فيها هى: العراق وكان الإمام مالك رضي الله عنه يسمى العراق «دار الضرب» أى تضرب فيها الأحاديث، كما تضرب الدراهم.

ويقول: نزلوا أحاديث أهل العراق منزلة أهل الكتاب، لا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقال له عبدالرحمن بن مهدى: ياأبا عبدالله، سمعنا فى بلدكم - المدينة - أربعمائة حديث فى أربعين يوما، ونحن بالعراق، نسمع هذا كله فى يوم واحد.

فقال له: ياعبدالرحمن، من أين لنا دار الضرب التى عندكم؟ تضربون بالليل، وتنفقون بالنهار.

وقال ابن شهاب: يخرج الحديث من عندنا شبرا، فيعود فى العراق ذراعا، وذلك لبُعد العراق عن الحجاز، ولوجود أخلاط المسلمين، من مختلف الأمم، وظهور المذاهب المختلفة فى العراق: من معتزلة، ومرجئة، وأصناف من المتكلمين.. وكل صنف من هؤلاء، يؤيد رأيه بتأويل آيات القرآن واختلاق الحديث.

أسباب الوضع فى الحديث

١ـ التعصب السياسى:

كان للأحداث السياسية أثرها فى انقسام المسلمين شيعا وأحزابا، وسبب هذا الانقسام قيام المذاهب الدينية التى حاول أصحابها تأييد موقفهم بالقرآن والسنة.

فتأول بعضهم القرآن على غير وجهه السليم، وحملوا السنة مالا تتحمله.

وقد عجزوا عن الوضع فى القرآن، لأنه ثبت بالتواتر المفيد لليقين والقطع، ولتوفر المسلمين على حفظه وتلاوته، فقد تكفل الله تعالى بحفظه.

فوجهوا عداوتهم إلى الوضع فى الحديث، لتأييد ما يدعون، فخلطوا الصحيح بغيره ووضعوا أحاديث فى فضائل أئمتهم ورؤساء أحزابهم.

وبهذا الوضع انغمست الفرق السياسية فى

حمأة الكذب والوضع.. وكانت الرافضة أكثر الفرق كذبا.

يقول ابن تيمية: «وكذب الرافضة مما يضرب به المثل» وسئل مالك عن الرافضة؟ فقال: «لا تكلمهم، ولاترو عنهم، فإنهم يكذبون(١)».

وقال حماد بن مسلم: حدثنى شيخ لهم قال: «كنا إذا اجتمعنا فاستحسنا شيئا جعلناه حديثا(٢)».

وقد أسرف الرافضة فى وضع الأحاديث فى فضائل على وآل بيته، بجرأة بالغة، وذلك: لأن أكثرهم من الفرس الذين تستروا بالتشيع لينقضوا عرى الإسلام.

وأما الشيعة: فقد كثر الوضع منهم، وصنعوا بعض الأخبار التى تنال من أبى بكر الصديق، وعمر، زاعمين أنهما أساءا إلى «على»، ومن الأخبار التى وضعوها: «وحبى وموضع سرى وخليفتى فى أهلى وخير من أخلف بعدى على(٣)».

وحين وجد أهل الأحزاب الأخرى أن ما وضعه الشيعة ينقص من أبى بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، هب بعض الوضاعين من أحزابهم بوضع ما يقابل هذا من أحاديث ترفع من شأنهم، من ذلك.

«ما فى الجنة شجرة إلا مكتوب على كل ورقة منها لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين».

كما وضع المتعصبون لمعاوية والأمويين أخبارا كثيرة كما فعل الذين أيدوا العباسيين.

ولما رأى بعض الذين حسنت نياتهم، من طعن وتجريح فى حق الصحابة، دفعهم حبهم للصحابة أن يضعوا أحاديث فى فضلهم، ليبينوا بها أنهم جميعا خيار، ولا فرق بينهم وظنوا أنهم بهذا العمل يقدمون خيرا.. وفاتهم أنهم قد ارتكبوا منكرا، بكذبهم على الرسول ﷺ.

وكان الشيعة منهم: المعتدلون، الذين يرون أفضلية على وألويته بالخلافة، وهم مسلمون مخلصون.. ومنهم: الغلاة، الذين تظاهروا بالمحبة لآل البيت وهم بعيدون عن الإسلام.

وكان هدفهم أن يدخلوا ما معهم من مبادئ اليهودية والنصرانية، والزرادشتية فى الإسلام، ليشوهوا معالمه وعقيدته.

وكان من هؤلاء طائفة تعتقد أن جبريل أخطأ فى النزول بالرسالة على محمد، وهى لعلى.

وطائفة تقول بألوهية على، وهم أصحاب عبدالله بن سبأ، ولقد أعلن على براءته منهم.. وأطلق المؤرخون على هؤلاء اسم «غلاة الشيعة».

ولما كانت آراؤهم الهدامة لا مجال لها فى النفوس، ألبسوها ثيابا مصطنعة، وتقنعوا بالدين.. فلجأ أهل الزيغ منهم - تأييدا لآرائهم الزائفة - إلى الوضع فى السنة فأساءوا إلى الحديث النبوى، وإلى الإسلام عامة.

٢ـ التعصب العنصرى:

ومن أسباب الوضع أيضا: التعصب العنصرى، وقد ظهر عندما ظهرت - قديما - على ألسنة بعض العامة فكرة تفضيل العجم على العرب، وهى التى تعرف بالشعوبية، وقد ساعد على انتشار هذه الفكرة أن الخلفاء العباسيين لم يتعصبوا للعربية فانتهز الشعوبيون الفرصة فى محاربة العرب، ووضعوا أحاديث فى فضل الفرس وبلدانهم وعلمائهم، والحط من قيمة العرب، ومن ذلك ما وضعوه فى فضل أبى حنيفة النعمان لأنه من أصل فارسى، وذم الشافعى لأنه عربى.

وقد بلغ بهم التعصب مبلغا كبيرا، أدى بهم إلى الإلحاد فى الدين، والتحلل من أحكامه.

وأما أحاديثهم الموضوعة: فلم تكن بخافية على العلماء وأئمة الحديث الذين تتبعوها، وكشفوا زيفها وميزوا بين الصحيح وغيره.

٣ـ الزندقة:

تطلق الزندقة: على أتباع دين المجوس مع التظاهر بالإسلام، وقد اتسع اطلاق الزندقة،

فصارت تطلق على الملحدين الذين لا دين لهم، كما أطلقت أيضا على الإباحيين الذين يتبجحون بالقول فيما يمس الدين.

وكان الطريق الذى سلكه الزنادقة لانتشار الزندقة، هو الكذب على رسول الله ﷺ، لإثارة الشبه والطعون رغبة منهم فى تنفير الناس منه والتحلل من أحكامه حتى تضعف قوة المسلمين، فيتمكن هؤلاء من فرض سلطانهم.

وقد نشروا كثيرا من المذاهب الضالة، وتقنعوا بأثواب نحل مختلفة، يستهدفون استدراج الناس، واجتذابهم من دينهم، كما شقوا طريق الوضع فى الحديث، متسترين بأسماء مختلفة، فوضعوا أحاديث فى العقائد، وأخرى فى الأخلاق، وغيرها فى الحلال والحرام.

وقد تعقب الخلفاء العباسيون الزنادقة، فشنقوهم وقاوموا تلك الحركة الخبيثة، كما لم يخف على رجال الحديث فسادهم فشمر الجهابذة والنقاد عن ساعد الجد وتتبعوا هؤلاء الكذابين والوضاعين، وهكذا: كانت يقظة الأمة الإسلامية فى حرصها على حراسة الدين، وحمايته من كل دخيل.

٤ ـ القصاصون:

وجد كثير من أدعياء العلم والمرتزقة الذين لا يهمهم إلا التفاف العامة حولهم، فيثيرون مشاعر الناس وعواطفهم بالقصص، ويستدرون ما عندهم، فوضعوا الأحاديث فى قصصهم رغبة منهم فى استمالة قلوب العامة إليهم، وأكثر هؤلاء القصاص من الجهال الذين تشبهوا بأهل العلم، فأفسدوا كثيرا من عقول العامة بما كانوا ينشرونه بين الناس حين يقومون بمهمة الوعظ وليس يهمهم إلا أن يستدروا المال، وبكاء العيون، وإعجاب الناس بهم، وفى سبيل ذلك وضعوا الأكاذيب على رسول الله ﷺ.

٥ ـ الخلافات الفقهية والكلامية:

اتجه أصحاب المذاهب الفقهية، والكلامية إلى تأييد مذاهبهم بأحاديث مكذوبة، وضعوها تأييدا لهم، ومن ذلك ما روى أنه قيل لمحمد بن عكاشة الكرمانى: إن قوما يرفعون أيديهم فى الركوع وفى الرفع منه، فقال: حدثنا المسيب بن واضح عن أنس مرفوعا: «من رفع يديه فى الركوع فلا صلاة له(٤)»، وحديث: «كل مافى السموات والأرض وما بينهم فهو مخلوق غير الله والقرآن، وذلك أنه كلامه منه بدأ، وإليه يعود، وسيجىء أقوام من أمتى يقولون القرآن مخلوق، فمن قاله منهم فقد كفر بالله العظيم، وطلقت امرأته من ساعته، لأنه لا ينبغى لمؤمنة أن تكون تحت كافر إلا أن تكون قد سبقته بالقول(٥)».

ويظهر فى هذا القول: ركاكة اللفظ، كما يكشف اتجاه مرماه عن الوضع فى وضوح.

٦ ـ الجهل بالدين مع الرغبة فى الخير:

قام بعض الجهلة بالدين ـ الذين كانوا على جانب من الصلاح والورع والزهد ـ بوضع أحاديث فى الترغيب والترهيب، حينما ساءهم وجود بعض الناس المتكالبين على الدنيا، والذين تركوا آخرتهم، فوضعوا بعض الأحاديث التى ترغبهم فى الآخرة، وتخوفهم من عذاب الله، ومن هؤلاء غلام خليل، وهو: أحمد بن محمد بن غالب الباهلى، كان معروفا بالزهد، وتوفى فى رجب سنة ٣٧٥هـ(٦)، قال عبدالله النهاوندى: ما هذه الرقائق التى تحدث بها؟ قال: وضعناها لنرقق بها قلوب العامة.

وهؤلاء هم أشد الوضاعين ضررا، وأفدح خطرا، لأن أحاديثهم المختلفة كانت تجد قبولا عند بعض الناس، لما كانوا عليه من الزهد والصلاح، ولهذا: قال يحيى القطان: «ما رأيت الكذب فى أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير».

كما رأى البعض منهم: انشغال الناس بالفقه، فخاف أن يعرضوا عن القرآن، فوضع أحاديث فى فضائل سور القرآن، وقد قيل لأبى عصمة نوح بن أبى مريم: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس

فى فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبى حنيفة، ومغازى ابن اسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة.

وروى ابن حبان فى الضعفاء عن ابن مهدى قال: قلت لميسرة بن عبدربه: من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعتها أرغب الناس فيها(٧).

وكان هؤلاء الوضاعون إذا قيل لهم فى ذلك قالوا: نحن ما كذبنا عليه أى على الرسول ﷺ، وإنما كذبنا له. وهذا من تمام جهلهم الفاضح، وفجورهم وافترائهم فإنه - عليه الصلاة والسلام - لا يحتاج فى كمال شريعته إلى غيره(٨).

مقاومة الوضع

قيض الله سبحانه لسنة نبيه ﷺ رجالا أمناء، صدقوا فى إخلاصهم لله ولرسوله، ونصبوا أنفسهم للذب عن السنة الشريفة، فأفنوا أعمارهم فى التمييز بين الصحيح والباطل صيانة للسنة النبوية الشريفة، وحفاظا على الإسلام من الدس والتحريف.

وفى سبيل تنقيح السنة وتنقيتها من الوضع: بذل علماء الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم جهودا مخلصة فوضعوا قواعد الجرح والتعديل، وكان من ثمرة أعمالهم: «علم مصطلح الحديث»، وهو: يشتمل على أدق الطرق العلمية فى التحقيق التاريخى، وأقومها فى التمحيص والنقد، وكانت القواعد التى اتبعوها فى جهودهم تتسم بالآتى:

١ - التزام إسناد الحديث

ظل الصحابة والتابعون بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى منعمين فى جو من الصدق، آمنين على تراث نبيهم، حيث كانت صدورهم الأمينة تفيض بالثقة والإخلاص، وقلوبهم الواعية تنبض بالإيمان والصدق، فكان البعض يسند الحديث مرة ولا يسنده أخرى، إلى أن حدثت الفتنة، وظهرت الأحزاب والفرق، وأخذ الكذب على رسول الله ﷺ يزداد شيئا فشيئا فانبرى الصحابة والتابعون يمحصون الأحاديث سندا ومتنا ويشددون فى معرفة الرواة والطرق، ويلتزمون الاسناد دائما.

وكان ابتداء مرحلة التحرى والتزام الاسناد منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة(٩)، فمنذ ذلك الحين وهم يتشددون فى التزام الاسناد دائما، عن ابن سيرين قال: «لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة، فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم(١٠)، فقد كانوا يتسارعون إلى أخذ الحديث وسماعه، فلما وقعت الفتنة وركب الناس الصعب والذلول، لم يأخذوا من الأحاديث إلا ما يعرفون والتزموا التثبت والاسناد.

٢ - التثبت من الأحاديث:

كان من فضل الله وعنايته بالسنة النبوية أن بارك فى أعمار عدد من الصحابة والفقهاء، يرجع الناس إليهم ويلجأون لهم حين يقع الاختلاف ليستوثقوا من الأحاديث. وقد كثرت الرحلات العلمية لبعض الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم من علماء الحديث من أجل التثبت، يقول سعيد بن المسيب: «إن كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد(١١)».

وفى سبيل التثبت: كانوا يتذاكرون الأحاديث فيما بينهم، لمعرفة ما يأخذون منها، وترك ما ينكرونه، كما كانوا على جانب كبير من الوعى والحيطة، بحيث يحفظون الأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة، خشية أن تختلط عليهم، وحتى يستطيعوا التمييز بين الصحيح وغيره بدقة فائقة، وحيطة بالغة، روى أبو بكر بن الأشرم: «أن أحمد بن حنبل رأى يحيى بن معين بصنعاء فى زاوية، وهو يكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس، فإذا اطلع عليه إنسان كتمه، فقال له أحمد بن

حنبل: تكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس وتعلم أنها موضوعة، فلو قال لك قائل: أنك تتكلم فى أبان ثم تكتب حديثه على الوجه ؟ فقال: رحمك الله يا أبا عبدالله، أكتب هذه الصحيفة عن عبدالرزاق عن معمر على الوجه، فأحفظها كلها، وأعلم أنها موضوعة، حتى لا يجىء بعده انسان فيجعل بدل أبان ثابتا، ويرويهما عن معمر عن ثابت عن أنس بن مالك، فأقول له كذب إنما هى عن معمر عن أبان لا عن ثابت(١٢).

ومن أجل التثبت كذلك: ناهض العلماء الكذابين، ومنعوهم من التحديث، واشتدوا عليهم، لدرجة أنهم كانوا يضربونهم أحيانا، ويهددونهم بالقتل أحيانا أخرى، عن حمزة الزيات قال: «سمع مرة الهمدانى من الحارث الأعور شيئا، فقال له: أقعد بالباب، قال: فدخل مرة وأخذ سيفه، قال: وأحس الحارث بالشر فذهب(١٣)».

٣ ـ نقد الرواة ودراسة حياتهم وتاريخهم وبيان أحوالهم من صدق أو كذب:

وقد وصلوا عن طريق هذه الدراسة إلى تميز الصحيح من المكذوب، وكانت لديهم قواعد اتبعوها وساروا عليها فى الأخذ عن الرواة أو عدم الأخذ منهم فحصروا المتروكين الذين يكذبون على الرسول ﷺ، وأصحاب البدع والأهواء والزنادقة، والذين لا يفهمون ما يحدثون، ومن لا تتوافر فيهم صفات الضبط والعدالة والفهم.

وقد عين أئمة النقاد أياما ليتكلموا فى الرجال، وكانوا يسألون عن الرواة لمعرفة أحوالهم، والتمكن من صدقهم أو كذبهم، فكانوا ينقدونهم نقدا صحيحا دقيقا. عن يحيى بن سعيد قال: «سألت سفيان الثورى وشعبة ومالكا وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثبتا فى الحديث، فيأتينى الرجل فيسألنى عنه، قالوا: أخبر عنه أنه ليس بثبت(١٤)».

وكانوا فى حكمهم لا يخافون فى الحق لومة لائم، ولا تأخذهم عاطفة، حتى ولو كان أخاه، يقول زيد بن أبى أنيسة: «لا تأخذوا عن أخى(١٥)»، ولم يحاب أحد من أهل الحديث أباه ولا أخاه، وهذا على بن المدينى المتوفى سنة ٢٣٤هـ، وهو إمام الحديث فى عصره، لا يروى عنه حرف فى تقوية أبيه، بل يروى عنه ضد ذلك(١٦)».

وهكذا: أخلصوا عملهم لله، وخدموا الشريعة السمحة بدفع ما يشوبها، وتخليص الغث من الثمين، وبهذا تكوِّن (علم الجرح والتعديل) الذى وضع قواعده كبار الصحابة والتابعين وأتباعهم.

وكان الضعفاء فى القرن الثانى أكثر منهم فى القرن الأول، وقد تناول الحديث فى العدالة والتجريح كثير من الأئمة وبينوا من تقبل روايته ومن لا تقبل روايته.

وتكامل علم الجرح والتعديل من العهد النبوى إلى عهد التدوين، وألفت المصنفات الكبيرة فى الرواة، وألفت كتب خاصة بالضعفاء، فصار من السهل التمييز بين المحق والمبطل، على أساس من القواعد الدقيقة، حتى اكتمل هذا العلم فى القرن الثالث الهجرى على أيدى الأئمة الأعلام، الذين أخذوا على عاتقهم حفظ السنة الشريفة، والذود عن حياضها فألفوا الكتب الكثيرة فى الجرح والتعديل.

الهوامش:

١ ـ منهاج السنة جـ١ ص١٣.
٢ ـ منهاج السنة جـ١ ص١٣.
٣ ـ اللالئ المصنوعة جـ١ ص١٨٥.
٤ ـ تدريب الراوى ص١٨ والباعث الحثيث.
٥ ـ اللالئ المصنوعة جـ١ ص٣.
٦ ـ ميزان الاعتدال جـ١ ص٦٧.
٧ ـ تدريب الراوى ص١٨٤.
٨ ـ الباعث الحثيث ص٧٩.
٩ ـ السنة ومكانتها فى التشريع ص١٠٧.
١٠ ـ مقدمة صحيح مسلم شرح النووى ص٧١ جـ١ الشعب.
١١ ـ جامع بيان العلم جـ١ ص٩٤.
١٢ ـ الجامع لأخلاق الراوى ص١٠٧.
١٣ ـ مسلم شرح النووى جـ١ ص٩٩.
١٤ ـ صحيح مسلم بشرح النووى جـ١ ص٩٢.
١٥ ـ المصدر السابق جـ١ ص١٢١.
١٦ ـ شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى ص٨٥ مخطوط بدار الكتب المصرية.

من مدرسة النبوة للشباب

الشيخ/ معوض عوض إبراهيم

"

١ ـ تربية نبوية:

كان النصح وصالح التوجيه من حظوظ فاطمة من أبيها رسول الله ﷺ، وكان أبناؤها الحسن والحسين يذهبان بأوفر سهم من عطف النبى ورفقه.. حتى لينزل من المنبر، وشأن المنبر فى الإسلام جليل، ليصلح ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من ثياب الحسن والحسين، فقد كانا يتعثران فيها بطولها وهو يرى ذلك من منبره فلا يطيقه. ولكن هذه الرحمة تغدو أدبا، وينقلب ذلك الرفق تربية فيها شىء من الشدة الضرورية عندما يأخذ الحسن والحسين تمرتين، أى وربى تمرتين اثنتين من تمر الصدقة ويرفع كل منهما تمرته إلى فمه، فينكر ذلك عليهما النبى ﷺ إنكارا لا هوادة فيه، ويمد يده الشريفة إلى فيهما فيخرج هاتين التمرتين قبل أن يذيبهما اللعاب، ويأخذا طريقهما إلى جوفيهما، وهو يقول: كخ كخ إنهما من تمر الصدقة التى لا تحل لمحمد ولا لآل محمد!!

"

.. وياويل الناس مما يفعل بعض الأبناء، ثم لا يكون توجيه ولا تربية يكون الأبناء بهما قرة عين الآباء فى الدنيا والآخرة.

.. وهل نتأمل تصرف الرجال من الحسن والحسين وهما فى سن الأشبال، لنعرف اشتغالهما بمعالى الأمور، وحرصهما على أن تكون أعمال الآخرين رائدة صحيحة؟! فما أكثر الذين لا يلفت أنظارهم من ناشئتنا العزيزة إلا ما يدعو إلى السخرية والتنديد بالآخرين.

.. لقد رأى الحسن والحسين رجلا يتوضأ فلا يحسن الوضوء فأزمعا أن ينصحا الرجل لتصلح عبادته، ويحسن مفتاح دخوله إلى الصلاة، ولكن كيف؟!

.. إن من النصح ما يغضب ويثير إذا لم تنطلق إليه بوصايا الإسلام بالحكمة والرفق والموعظة الحسنة والمداخلة الذكية، ولقد كان ذلك فى حساب ابنى بنت رسول الله ﷺ الحسن والحسين ـ رضى الله عنهما ـ وهما يتقدمان إلى الرجل فيقولان: إننا نتنازع أينا أحسن وضوءا، فهل لك أن تنظر إلى كل واحد منا وهو يتوضأ فتحكم أينا أصح وضوءا؟!

وأبدى الرجل استعداده لما طلبا فى فرح وغبطة بالنفوس الكبيرة وإن غلفتها أجسام ناشئة صغيرة!

وتوضأ الحسن فأحسن، وتوضأ الحسين فأصاب، ورأى الرجل ذلك فقال: بارك الله عليكما، والله إن وضوءكما لخير من وضوئى.

.. ولن أستطرد فى تقديم الأمثال للناشئة العزيزة من شباب الحسن والحسين، فذلك مراد لا ينفد، ولكنى أوثر مثالا يعرف منه الأبناء والآباء على السواء كيف تثنى الأخلاق الفاضلة عنان الأعداء وتردهم أصدقاء خلصاء!!

قال الجردانى: عن عاصم بن المصطفى قال:

دخلت المدينة فرأيت الحسين بن على - رضى عنهما - وأعجبنى سمته وهيأته وحسن رؤيته فأثار منى الحسد ما كان يجنه صدرى - يخفيه - من البغض لأبيه، فقلت: أنت ابن على بن أبى طالب؟ قال: نعم، فبالغت فى شتمه وشتم أبيه، فنظر إلىَّ نظر عاطف رؤوف. ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ الأعراف: الآيات ١٩٩ - ٢٠١.

ثم قال: خفض عليك الأمر، أستغفر الله لى ولك، إنك لو استعنتنا لأعناك، ولو استرشدتنا لأرشدناك!!

قال عاصم: فندمت على ما فرط منى.

فقال: لا تثريب عليك، يغفر الله لك وهو أرحم الراحمين.. أمِنْ أهل الشام أنت؟! قلت: نعم..

قال: حياك الله وعافاك، انبسط لنا فى حوائجك وما يعرض لك، تجد عندنا أفضل ظنك إن شاء الله تعالى.

قال عاصم: فضاقت علىَّ الأرض بما رحبت، ووجدت أنها قد ساخت بى - هبطت - ثم تسللت عنه لواذا، وما على الأرض أحد أحب إلىّ من أبيه ومنه!

٢ - شباب يقدمه فضله:

وإذا كان فى الناس من يتوسل إلى المآرب بجاه القريب والصاحب، ويطلبها بغير أسبابها المشروعة، فإن الإسلام «قرآنا وسنة» وسلوك أسوياء - يجعل العمل هو معراج السبق، والفضل سبيل التقدم على اللدات والنظراء.. وسنورد هنا النزر اليسير من شباب الإسلام لتكون تحت أنظار الذين يستوردون الأمثال من شرق وغرب، جاهلين روائع ذخائرنا فى هذا الجانب وفى شتى جوانب المفاخر والكمالات.

قدم الرسول ﷺ أسامة بن زيد، وقلده إمرة جيش كان من جنوده مشيخة المهاجرين والأنصار وذوى السابقة فى الإسلام، إعلاء لمعنوية الحب ابن الحِب، تربية عملية لأصحاب النبى - صلوات الله وسلامه عليه - على السمع والطاعة فى مرضاة الله تعالى.

وقدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عبدالله بن العباس - رضى الله عنهما - على كبار الصحابة، إشادة بالعلم، وعرفانا لأقدار الذين يرشحهم فضلهم من الشباب إلى التقديم والإعزاز والإيثار، بله الأكفاء الجديرين بكل تقدير وإكبار.. **﴿ولكل درجات مما عملوا﴾** الأحقاف: آية ١٩، فليرتفع شبابنا بأنفسهم إلى مستوى الفضل والعلم حتى تتصل قافلة الأبرار عبر الأعصار، وحتى يشهد لهم بصالح عملهم، ونافع علمهم، كما كان يشهد الكبار لأمثالهم من قبل، فلقد أخر رسول الله ﷺ رافع بن خديج عن غزوة بدر، وأذن له فى الخروج إلى أحد، وهو حريص على الخروج مشغوف به، أكثر من شغف اللاهين بالخروج مع أشباههم إلى أماكن لا يكرمون بالتردد عليها.

وأصاب رافعا رضي الله عنه جُرح يوم أحد من سهم أدركه فى المعركة، فقال له الحفى الوفى ﷺ: «أنا أشهد لك بها يوم القيامة».

وهى شهادة ما أعلاها وما أغلاها.

وعاش رافع بن خديج، فلم يلق الله إلا فى خلافة عبد الملك بن مروان الأموى، ما نقص جرحه عمره، ولا أدنى من أجله.

٣ - الشباب فى القرآن والسنة:

ولشباب الخير فى القرآن والسنة حديث جليل يدعو ناشئتنا العزيزة إلى التثبيت به والارتفاع

بالعلم والعمل، وبالعقيدة والعبادة والسلوك إلى مستواه.

فلقد نوه القرآن الكريم بإيمان الشباب فقال: **﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾** الكهف: آية ١٣.

وقال تعالى: **﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم﴾** يونس: آية ٨٣.

وخلد غضبة إبراهيم على الوثنية وضيقه بالشرك وهو غض الشباب رقيق الإهاب فقال على لسان قوم إبراهيم: **﴿سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾** الأنبياء: آية ٦٠، وحسب الشباب أن يسلكهم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - فى سمط السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله فقال: **«وشاب نشأ فى طاعة الله»**.

٤ - الشباب فى الفكر العربى:

والشباب فى الفكر العربى يشغل حيزا هو أحق به وأهله، ويرحم الله أبا العتاهية فهو يقول:

ياللشباب المرح التصابى

روائح الجنة فى الشباب

ويلحظ شوقى الشباب فى تردده عن المعالى فيقول:

شباب قُنَّع لا خير فيهم

وبورك فى الشباب الطامحينا

ولعل فى هذه الضراعة تمثلت الإمام الحسين فى قوله:

اغن عن المخلوق بالخالق

تغن عن الكاذب والصادق

واسترزق الرحمن من فضله

فليس غير الله من رازق

من ظن أن الناس يغنونه

فليس بالرحمن بالواثق

وقول التابعى الجليل عبدالله بن المبارك:

ما يفعل العبد بعز الغنى

والعز كل العز للمتقى

من عرف الله ولم تغنه

معرفة الله فذاك الشقى

.. ومن شعر الحسن بن محمد بن أبى عقامة من فقهاء زبيد وعلمائها الذين اتسعت جوانب علمهم.

إذا لم تسد فى ليالى الشباب حتى قال:

إذا ما تحطم صدر القناة

فلا ترجون من الزُج طعنه

وهل جُل عمرك إلا الشباب

فخذ منه حظًا ولا تهدرنه

فلا - وأبى - ما أضعت الشباب

فحرمته تحت ظل الأكنه

ولكن سعيت لكسب العلوم

كسعى أبى - قبلُ - فى كسبهنه

فأبت إلىَّ نوافر هنه كأوب الطيور إلى وكرهنه

وأخيرا وليس بآخر إليكم أيها الشباب من قلب حريص على مصلحتكم:

يا شـباب

ليت لو يسمع النصائح غرٌ

لم يجرب من الحياة أموراً

نحن نعطيه خبرة قد بذلنا

من نفيس العطاء فيها كثيراً

فخذوا يا شباب منها ضياء

هو يجلو - لا غيرهُ - الديجورا

وأقيموا فى نوره ما استطعتم

عيشكم راضياً سعيداً نضيراً

لا تدوروا فى فكركم، لا تظنوا

رأيكم.. وحده.. الصواب الأثيرا

الأبعاد الإيمانية للأحكام الشرعية للذبح

د/ عبدالحليم عويس

الشركاء الثلاثة فى عالم الأحياء: تكامل وتراحم

نحن (الثلاثة) شركاء فى هذه الأرض، وكل عضو فينا يتفاعل مع الآخر يأخذ منه ويعطى له، وقد كرم الله (الإنسان) وسخر له الشريكين الآخرين: الحيوان، والنبات، لكنه - فى مقابل ذلك - أمره بالحب لهما والإحسان إليهما، ومعاملتهما بمعنى الإحسان الكامل، الإحسان حبا ورحمة، والإحسان إتقانا واستيفاء لشرطى الصلاح والصلاحية، ويدخل الطيور فى جملة (الحيوان)، حتى وإن حلقوا فوق رؤوسنا، فهم - أيضا - غذاؤنا، وهم - أيضا - يستحقون منا الرحمة والعطف.

كانت النملة الرائعة تدافع عن أخيها الإنسان، وهى تنصح قبيلتها من النمل قائلة لهم: **﴿ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾** النمل: آية ١٨. ولعل (النملة البريئة) لم تكن تدرى أن هناك من بنى الإنسان من يقتلون النمل وهم يشعرون، بل ويتلذذون بتعذيب الحيوان، ويجعلون تعذيبه غرضا ومتعة يتلهَّون بها، بل إن (موته) بطريقة وحشية فى حلبات سباق (مصارع الثيران) أمرٌ يحتفل به كثير من الناس ويقيمون له الأحفال!!

نحن الثلاثة ـ الإنسان والحيوان والنبات ـ (أشياء).. وبالتالى فنحن نخضع لقانون النشأة الواحدة من منبع أصلى واحد.. كلنا من الأرض والماء جئنا.. من التراب وإلى التراب نعود.. قال تعالى فى كتابه الكريم: **﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾** الأنبياء: آية ٣٠، وكلنا فى حاجة إلى (الرحمة الإلهية) التى لا تقتصر - بل هى لا تتجه - إلى الإنسان وحده، بل تتجه إلى (عالم الأشياء بأضلاعه الثلاثة على هذه الأرض)، فعلينا بالتالى أن نتراحم فيما بيننا، فيرحم القوى منا الضعيف، حتى نستحق رحمة الله التى وسعتنا جميعا. قال الله تعالى: **﴿ورحمتى وسعت كل شىء﴾** الأعراف: آية ١٥٦.

ونحن (الشركاء الثلاثة) دائرة غير مفككة إزاء (رحمة الله)، كما قد نتخيل.. بل على العكس.. فنحن إذا تبادلنا العنف والإرهاب فيما بيننا فسيمنع الله عنا رحمته، ويذيقنا عذابه على قدر ما نملك من وعى وما نطيق من مسئولية.. فإذا كانت هناك امرأة (من بنى الإنسان) دخلت النار فى هرّة (قطة ضعيفة مسكينة) حبستها، فلا هى أطعمتها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض، فإن هناك - فى المقابل - رجلا سقى كلبا كان يلهث من الظمأ فغفر الله له ذنوبه وأدخله الجنة.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«عذّبت امرأة فى هرة لم تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض» رواه مسلم.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى، فنزل البئر فملأ خفّه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى (خرج من البئر) فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له»** رواه مسلم. ومثله حديث **البغى التى سقت الكلب فغفر الله لها** (رواه مسلم).

إن هناك - إذن - علاقة تبادلية يرعاها الله، ويكافئ عليها الصالح، ويعاقب عليه المسئ.

- بل إن رزق الله يأتينا - بالجملة - لنستفيد منه أيضا كشركاء فى مأدبة واحدة، بل العجيب أننا - نحن الضلع الأرقى والأقوى فى كثير من الأحايين، وبخاصة فى فترات ازدهار ذنوبنا ومعاصينا، لا نرزق إلا من أجل البهائم **«ولولا البهائم لم ترزقوا»**: قال - عليه الصلاة والسلام - فى حديث طويل: **«خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن».. ومنها: ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان، «ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا»** رواه ابن ماجة.

والقرآن الكريم يشدُّنا بقوة إلى ضرورة تأصيل الود والرحمة والإحسان بيننا على أساس (الشراكة) المتكاملة لا المتصادمة.. لنستمع إلى قول الله الكريم فى كتابه الكريم يقول لنا: **﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾** الأنعام: آية ٣٨، ويقول سبحانه: **﴿سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾** يس: آية ٣٦،

ويقول: **﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذاهم يستبشرون﴾** الروم: آية ٤٨.

ومن الآيات يتضح أننا أمام كون واحد، وأمم مختلفة متعاونة، متماثلة فى قضايا الحفاظ على الوجود، وكلها تخضع لقانون واحد، هو قانون (الزوجية المتقابلة المتكاملة).. الذكر والأنثى.. والتلاقح بينهما.. وكلها تتلقى المائدة السماوية التى بها قوام وجودها وقوام حياتها واستمرارها.. الماء المرسل من السماء!!

فأى علاقة هذه بين هذه الشركة المثلثة الأضلاع، وأى تراحم وتعاون يجب أن يتحقق بينها، وإذا كانت العناية الإلهية قد سخرت واحدا منها على الآخرين، فيجب أن يكون كريما رحيما، ولاسيما فى تلك اللحظات التى يسلبها فيها أغلى ما لديها وهو الحياة. إنها لحظة (وداع) كتبه الله، فيجب أن يكون بأكرم الطرق وأفضلها.

وتلك هى نظرة الإسلام القائمة على الود والإحسان والرحمة انطلاقا من (الإيمان) بالرحمة الإلهية والحساب الإلهى لتحقيق العدل، ومن (حقوق الحيوان) الشريك الأساسى فى هذه الأرض التى وضعها الله للأنام، ولكل الأمم المتماثلة المتكاملة.

الرحمة والإنسانية روح الشريعة فى المجالين الإنسانى والحيوانى

لا يقيم الإسلام صياغته للحياة على أساس المواد الشرعية المفصلة للأوامر والنواهى والحلال والحرام فحسب، وإنما يضع هذه النصوص الشرعية فى إطار من القيم الأخلاقية الرحيمة الكريمة التى تنشئ علاقة (إيمان وحب) بين المؤمن (الفاعل) والموضوع (المفعول).

ولم تشذ علاقة الإنسان المسلم بالذبائح التى تمثل طعاما له، أو بالحيوان - بعامة - الذى يمثل ركنا أساسيا من أركان حياته فى عصور متطاولة، قبل اختراع وسائل النقل الحديثة.

ولقد روى أصحاب السنن عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ قال:

«لا جلَب ولا جنَب فى الرِّهان».

(الجلَب: هو أن يُتبع فرسَه بمن يحثّه على سرعة الجرى).

والجنَب: هو أن يُجنب فرسًا إلى فرسه إذا فترت تحوَّل إلى المجنوب).

وقال أبو عبيد: الجنَب: أن يجنب الرجل فرسه الذى سابق عليه فرسا عريا ليس عليه أحد، فإذا بلغ قريبا من الغاية ركب فرسه العرىّ فسبق عليه؛ لأنه أقل عياء أو كلالا من الذى عليه الراكب.

فهذه صورة من صور علاقة المسلم بالحيوان، يرتفع بها الإسلام عن أن تكون مجرد موضوع للمصلحة والفوز فى السباق، ويضعها عليه السلام فى إطارها الإنسانى والأخلاقى الرحيم.. وقد أمر الرسول ﷺ بالرحمة بالحيوان، كما أنه حرَّم إيذاء الحيوان وتحميله فوق طاقته، أو تعنيته بأية صورة من صور الإعنات.

- وإذا كان الحيوان حلوبا (وله ولد) فلا يجوز الأخذ من اللبن إلا بالقدر الذى لا يضير ولده، فإنه لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام لا الحيوان ولا الإنسان سواء بسواء.

- ونحن نظن - بل ونؤمن - بأن هذه صورة من صور الرحمة بالحيوان وبابنه الضعيف لا ترقى إليها أية تشريعات بشرية أو وضعية!!.

وعن جابر رضي الله عنه قال: **«نهى رسول الله ﷺ عن الضرب فى الوجه وعن الوسم فيه»**(١).

وأما وسم غير الوجه من الحيوان (فهو جائز) يحتاج إليه فى التمييز بين الحيوانات، إذا كانت فى حروب، أو فى قوافل كبيرة، أو ملكا للدولة، ويخشى الاعتداء على ملكيتها من طريق الأفراد العاملين عليها أو غيرهم.

- وقد نهى رسول الله ﷺ عن **(التحريش بين البهائم)** وإغراء بعضها ببعض كما يجرى فى حلبات التصارع؛ لتتصارع وتتحارش فيما بينها متعة لبعض منحرفى المزاج.

فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: **«نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم»** رواه أبو داود والترمذى.

كما نهى عن اتخاذ شىء منها غرضا، فترمى بالنبال أو الحصى.

وقد دخل أنس بن مالك دار الحكم بن أيوب فإذا قوم قد نصبوا دجاجة يرمونها فقال لهم: **«نهى رسول الله ﷺ أن تصبر(٢) البهائم»** رواه مسلم.

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: **«لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا»**(٣).

وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل الحيوان إلا لمأكله.

روى النسائى وابن حبان أن النبى ﷺ قال: **«من قتل عصفورا عبثا عج(٤) إلى الله يوم القيامة يقول: يارب إن فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى منفعة».**

وعن المسيب بن دار قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب جَمَّالا وقال: لِمَ تحمل على بعيرك مالا يطيق؟!! (رواه ابن سعد فى الطبقات).

- ومرّ - صلوات الله وسلامه عليه - على طائر قد اتخذه بعض الناس هدفا يصوبون إليه ضرباتهم فقال: **«لعن الله من فعل هذا».**

وعن عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب أن رجلا حد شفرته وأخذ شاة ليذبحها فضربه عمر بالدرة وقال: أتعذب الروح؟ ألا فعلت هذا قبل أن تأخذها؟

وعن وهب بن كيسان أن ابن عمر رأى راعى غنم فى مكان قبيح، وقد رأى ابن عمر مكانا أمثل منه، فقال ابن عمر، ويحك ياراعى حوّلها فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كل راع مسئول عن رعيته»** رواه أحمد.

ـ وفى تعليقه على الحديث المشهور **«إن الله كتب الإحسان على كل شىء»** يذكر الشيخ محمد الغزالى حديثا آخر، وكأنه يكمل به معنى (الإحسان)، فى أمر الحيوان (فى حالة الذبح)، وهذا الحديث هو قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **«إن الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»** رواه مسلم. ويعلق على الحديثين الشريفين قائلا: **«إن الإتقان لا يتأتى بالادعاء والجهالة، فإن لكل عمل أرضى أو سماوى قواعد يصح بها، وتدرك بالتعلم والمران»**(٥).

ـ فالتعامل مع الحيوان ـ فى رأى أستاذنا الشيخ الغزالى ـ فنّ وخُلقُ وعلم ـ وهو أمر يدخل فى باب «الإحسان» بمعنييه الكبيرين، معنى مراقبة الله كأننا نراه، لأنه يرانا، ومعنى الإتقان، أى الحفاظ على الشروط القويمة لإتمام العمل، مع العدل والرحمة فى إطار واحد.

ويدخل فى نطاق العدل والرحمة والإحسان فى التعامل مع الحيوان حديث عبدالله بن مُغَفَّل الذى كتبه البخارى تحت باب (إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو وكراهة الخذف، فقد روى عبدالله بن مُغَفَّل أنه رأى رجلا يَخْذِفُ، فقال له: لا تخذف، فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف، أو كان يكره الخذف، وقال: **«إنه لا يُصاد به صيد ولا يُنكى به عدو، ولكنها قد تكسر السّن وتفقأ العيْن»**، ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: أُحدِّثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف أو كره الخذف، وأنت تخذف، لا أكلمك كذا وكذا»(٦).

وتعد معاملة الحيوان ـ من وجهة النظر الإسلامية ـ داخلة فى عموم الآيات والأحاديث النبوية المتعلقة بالإحسان وبالخير والشر.. ويدلنا على هذا تلك النصوص الواضحة فى تعميق هذا المعنى الإنسانى الذى يؤكد دخول الحيوان فى باب العدل والرحمة المتعلقين بالإنسان نفسه، ولعل هذا المعنى العظيم قد استفيد من بعض النصوص السابقة.. لكننا نؤكده بمزيد من النصوص حتى يكون واضحا.

فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن الحُمُر فقال: **«ما أنزل الله فيها شيئا إلا هذه الآية الفاذة الجامعة: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾** الزلزلة: الآيتان ٧، ٨ متفق عليه.

وقال الله تعالى: **﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾** البقرة: آية ١٩٥.

وقد سئل النبى ﷺ عن البهائم هل فيها أجر فقال: **«فى كل كبد رطبة أجر»** رواه مسلم والترمذى.

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينما كلب يطيف بركية(٧) قد كاد يقتله العطش إذ رآته بغى من بغايا بنى إسرائيل، فنزعت موقها(٨) فاستقت له به فسقته إياه فغفر لها به»** رواه مسلم.

وأخرج الإمام أحمد عن سوادة بن الربيع رضي الله عنه قال: **«أتيت النبى ﷺ فسألته فأمر لى بذود، ثم قال لى: إذا رجعت إلى بيتك فمرهم فليحسنوا غذاء رباعهم، ومرهم فليقلموا أظفارهم، ولا يعطبوا بها ضروع مواشيهم إذا حلبوا»** رواه مسلم.

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود عن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه قال: **«أردفنى رسول الله ﷺ خلفه، فأسرَّ إلى حديثا لا أخبر به أحدا أبدا، وكان رسول الله ﷺ أحب ما استتر به فى حاجته هدف أو حائط نخل، فدخل يوما حائطا من حيطان الأنصار، فإذا جمل قد أتاه فجرجر وذرفت عيناه، فمسح رسول الله ﷺ سراته وذفراه، فسكن، فقال: مَنْ صاحب الجمل، فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لى يارسول الله، فقال: أما تتقى الله فى البهيمة التى ملككها الله، إنه شكا إلىّ أنك تجيعه وتدئبه»** أخرجه أحمد وأبو داود فى الجهاد.

وروى الإمام أحمد من حديث عمران بن حصين فى قصة المرأة التى أسرت ثم نجت على العضباء أنها قالت: إنى قد نذرت إن أنجاها الله تبارك وتعالى عليها لتنحرنها، فأتوا النبى ﷺ فذكروا ذلك فقال: «سبحان الله بئس جزتها، إن الله تبارك وتعالى أنجاها لتنحرها لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا نذر فيما لا يملك العبد» أخرجه أحمد.

وروى أبو داود عن عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرةَ معها فرخان: فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة تفرس، فجاء النبى ﷺ فقال: **«من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»**(٩).

❖❖❖

ويدخل فى هذه النظرة الإنسانية الإيمانية القائمة على العدل والرحمة بالحيوان.. ماهو معلوم من مسلمات الإسلام من أن للحيوان حقوقا فى النفقة وتقدير طاقته فى العمل، وتوفير العلاج له (الطب البيطرى) حتى ولو عجز الحيوان عن العمل.

ومن أجمع ما ورد فى ذلك ما ذكره الإمام البغوى فى كتابه (تهذيب الأحكام) حيث بوب بـ(فصل فى نفقة الدواب): ثم ذكر حديث أبى هريرة فى المرأة التى عذبت فى الهرة، ثم قال: «من ملك دابة يجب عليه علفها، وسقيها، فإن لم يفعل أجبره السلطان على علفها أو بيعها أو ذبحها، إن كان مأكول اللحم، فإن لم يفعل أنفق عليه السلطان من ماله، فإن لم يكن له مال، باعها عليه أو جزءا منها أو أكراها إن أمكن كراؤها، وأنفق عليها من الكراء، حتى لو زمن أو عمى حماره فلم يشتر عليه أن يعلفه، فإن لم يفعل باع عليه السلطان ماله فى علفه، فإن لم يكن له مال أنفق عليه من بيت المال، ولا يجوز تضييعه كالرقيق، ولا يجوز أن يحمل عليها مالا يطيق.

ولا يحلب لبن ذات الدر مالم يفضل عن رىّ ولدها(١٠)، وهذه رحمة الله التى أودعها الله وأوجبها على كل شىء فى هذه الحياة.

❖❖❖

الهوامش:

١ ـ رواه مسلم والترمذى. وقد اقتبسنا هذه النقول من الشيخ سيد سابق ـ رحمه الله ـ فقه السنة (باب المسابقة) المجلد الثانى دار الفتح للإعلام ـ مصر ـ صفحة ٦٢ ومابعدها.

٢ ـ صبر البهائم: حبسها وهى حية ثم ترمى حتى تقتل.

٣ ـ السيد سابق ـ المكان السابق من فقه السنة ـ ص٦٤.

٤ ـ عج: رفع صوته بالشكوى.

٥ ـ الجانب العاطفى من الإسلام ص٦٤ ـ دار الدعوة ط١٤٢١/٥هـ مصر.

٦ ـ أخرجه البخارى فى ٧٢ ـ كتاب الذبائح والصيد: ٥ ـ باب الخذف والبندقة (والخذف هو الرمى بالحصا سواء أدى إلى القتل أم لم يؤدّ إليه) ومثله الرمى بالحجارة وغيرها مما يشبهها.

٧ ـ الركية: البئر.

٨ ـ الموق هو الذى يلبس فوق الخف.

٩ ـ أخرجه أبو داود، والحُمَّرة بضم الحاء وفتح الميم المشددة، طائر صغير كالعصفور. فرخاها: ولداها، وتفرس: ترفرف جناحيها وتقترب من الأرض. (انظر فى تفصيل ذلك وفى تأصيله: الأحكام المالية المتعلقة بالحيوان للأستاذ الدكتور عبدالله الموجان السعدى، رسالة دكتوراه ـ ص٤٩٢ وما بعدها كلية الشريعة ٢٠٠١ ـ القاهرة.

١٠ ـ عبدالله الموجان السعدى: المرجع السابق ٤٩٥.

الحضارة والعلوم

- في الكون سر يحير العلماء
- الأُكُل المحرمة بين الطب والقرآن الكريم
- من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم «جلد الإنسان»
- المنتجات الحيوية وعلوم الزراعة في القرآن والسنة النبوية

فى الكون سر يحير العلماء

يمتاز الإنسان عن الحيوان بالعقل، وهذا العقل هو الذى جعل الإنسان منذ نشأته يفكر، ويحاول أن يفهم ما حوله من ظواهر الطبيعة ويتطلع إلى الكون بحثا عن السبب أو العلة أو القوة العظمى التى جعلت كل مافى المادة والطبيعة والكون يخضع لقوانين ثابتة ونظام مذهل.

وبالعقل الذى بدأ الإنسان به رحلة البحث عن القاعدة أو القانون والأسباب وراء الظواهر، بدأ أيضا رحلة البحث عن الله..

• رجب البنا •

فى بدايات نشأة العلم فى مصر والصين والهند ارتبط العلم بالعقيدة الدينية، وفى مرحلة تالية اعتقد العلماء أنه ليست هناك علاقة بين العلم والدين، وفى مرحلة كان رجال الدين ضد رجال العلم حتى إن الكنيسة حكمت بالإعدام على جاليليو لأنه قال إن الشمس هى مركز الكون وإنها تدور على عكس ما كان سائدا فى ذلك العصر من أن الأرض هى مركز الكون وإنها ثابتة والشمس هى التى تدور حولها، وأمام جبروت الكنيسة فى عصور أوروبا المظلمة اضطر جاليليو إلى كتابة وثيقة اعتذار يتراجع فيها عن الحقيقة العلمية التى اكتشفها ودخلت هذه الوثيقة التاريخ لأنه يقول فيها:

«أنا جاليليو جاليلية، البالغ من العمر سبعين عاما، والراكع أمام سموكم أصحاب المقام الرفيع السادة مطارنة محكمة التفتيش، وأمام عينى توجد الأناجيل المكرمة التى ألمسها بيدى، أقسم بأننى سوف أكف تماما عن الرأى الخاطئ القائل بأن الشمس هى مركز الكون، وهى ليست متحركة، وإن الأرض ليست المركز وهى متحركة، وليس من المسموح لى اعتبار هذه التعاليم الخاطئة بأنها حق، أو الدفاع عنها ، أو تدريسها بأى طريقة، سواء شفهيا، أو تحريريا، بعد أن كشفتم لى أن هذه التعاليم تتناقض مع الكتاب المقدس.. لذلك فإننى أعلن أننى تبت وألعن وأسب بقلب مخلص وبعقيدة صافية، الضلالات والزندقة المذكورة، وعلى الإطلاق وأى ضلالات أخرى تتناقض مع الكنيسة المقدسة.. أنا المدعو جاليليو جاليلية تبت وأقسمت ووعدت وألزمت نفسى كما هو مذكور أمامى، وللتصديق فقد قطعت هذه الشهادة التى قرأتها كلمة كلمة على نفسى، ووقعتها بيدى، روما فى دير المنيرفا فى ٢٢ يونيو عام ١٦٣٣».

وبعد هذا التراجع والاعتذار حكمت محكمة التفتيش على جاليليو بالإعدام بتهمة الكفر لأنه قال إن الشمس هى المركز وليست الأرض، وقال إن الأرض هى التى تدور وليست الشمس، وخالف بذلك الحقيقة التى تفرضها الكنيسة على العلم والعلماء.

■■■

كان هذا فى عصر وانتهى، ونحن الآن فى

عصر آخر الكلمة الأولى فيه للعلم والعلماء، بعد أن وصل العلم إلى درجة مذهلة من التقدم ووصل إلى ما يشبه الخيال.. فقد وصل العلماء إلى القمر.. ونزلوا على سطحه وجمعوا حجارة من هناك وعادوا بها إلى المعامل وقاموا بفحصها وتحليلها.. وذهبوا إلى الفضاء وشاهدوا الكواكب السيارة وصورها، واكتشفوا الذرة وهى أصغر شىء فى الوجود والتى كان الاعتقاد أنها الجزء الذى لايمكن أن ينقسم، ولكن العلماء وجدوا أن فيها عالما مليئا بالحركة وأنها يمكن أن تنقسم وتتحول إلى طاقة هائلة وإشعاع قاتل وفتحت الذرة بابا للهلاك وأبوابا للرحمة.. للعلاج.. والتعقيم.. وتوليد الكهرباء.. و.. الخ.

العلاقة بين العلم والدين قصة طويلة ومثيرة.. فيها فصول كان العداء صريحا والصراع على أشده بين رجال الدين والعلماء، وفيها فصول كان هناك توافق بين الجانبين، وخاصة فى عصر نهضة العلوم فى الدولة الإسلامية، لأن العلماء كانوا مؤمنين، وكانوا يبحثون بالعلم عن القدرة الإلهية، وعن أدلة على صدق ما جاء فى القرآن الكريم من إشارات لبعض الحقائق العلمية.. فى هذه المرحلة ظهر علماء مسلمون تركوا بصمة واضحة على العلوم الطبيعية والرياضية أمثال الخوارزمى، والطوسى، وابن سينا، وفى العصر الحديث حدث انقسام واختلاف فى مواقف العلماء. بعضهم قال إن ظواهر الطبيعة مجرد تفاعلات مادية وهم يستطيعون أن يشاهدوا ويتحكموا فى معاملهم فى المادة، ولكنهم لا يستطيعون أن يشاهدوا الله فى المعمل، وبعض العلماء قالوا إنهم يرون الله ويلمسون قدرته فى كل ما يشاهدونه ويدركونه فى المعمل أو فى الطبيعة، أو فى الإنسان أو فى الكون.. هكذا دخل مئات من العلماء منكرين ومؤمنين.. دارون ونظريته عن التطور يمكن أن تخرج منها دون أن ترى أن قدرة الله هى التى جعلت الكائنات تتطور من الخلية الواحدة إلى إنسان يقف على قدميه وله عقل وإرادة.. ويمكن أن تجد فيها عكس ذلك.. والمسألة تتوقف على من أنت؟ هل أنت مؤمن بوجود الله، أو لا تؤمن؟ وهكذا سوف يكون؟ موقفك من دارون ونيوتن وأينشتين حتى أحمد زويل.

نفس القصة تتكرر الآن.

■■■

هناك علماء ومفكرون يرون ضرورة الفصل بين العلم والدين، بحيث يكون لكل منهما ميدان ومجال مستقل، وبذلك يكون للعلماء حرية البحث دون أن تقيدهم التعاليم الدينية، ويكون لرجال الدين أن يتحدثوا عن الفقه والأخلاق والعبادات دون أن تصل بهم الجرأة إلى اقتحام ميدان لا يدخل فى اختصاصهم هو ميدان العلم.. ولكن كيف تمنع عالما مؤمنا إذا وصل إلى حقيقة من حقائق الكون أن يرجع إلى كتاب الله ويربط بين ما وصل إليه ومافى ضميره ووجدانه من الإيمان بكلام الله؟.. وكيف تمنع من اكتشف علاقة بين نتائج الدراسات العلمية وإشارات فى القرآن؟

هل نقول لهذا العالم اسكت.. لا تقل ما لديك من حقائق تزيد المؤمنين إيمانا، وقد تهدى الضالين إلى طريق الإيمان؟!

وقد دعانا الله صراحة إلى البحث والنظر فى الإنسان وفى الكون وفى النبات والحيوان.. لأن العلم سيقودنا حتما إلى الإيمان.. وهذا ما فعله الدكتور عبدالعليم خضر وفعله كثيرون غيره قبل الدكتور زغلول النجار وهناك عشرات الكتب والأبحاث ذات القيمة العلمية الكبيرة فيها النظريات التى يتحدث عنها زغلول النجار.

■■■

فى جزيرة مدغشقر «مالاجاش» عثر العلماء على شجرة يسميها سكان الجزيرة «شجرة المسافرين» تحمل حوالى ٢٤ ورقة يختلف طولها

بين متر و٨٠ سنتيمترا»، وقد تصل إلى مترين وأكثر، وهى أشبه بالمظلات فى قلب صحراء شديدة الحرارة، مقفرة ، يمكن أن يهلك فيها المسافر إذا لم يجد فرصة للاستراحة تحت هذا الظل.. وتحت كل ورقة نبات يشبه زجاجة المياه المعدنية، وفيها حوالى لتر من الماء الصافى.. والعجيب أن هذا النوع من الشجر ينبت فى قلب صحراء قاسية قاتلة، وفى الأيام شديدة الحرارة، وعندما يكون المسافرون على وشك الهلاك عطشا، يجدون الظل والماء فيشربون منها، ويتركونها، فتلتحم مرة أخرى من جديد وتعبأ بالماء من جديد.

هل نمنع المؤمن أن يقول سبحان الله، حين يرى هذه المعجزة فيقول: هذه رحمة ربنا بعباده؟

وفى فنزويلا أشجار غريبة، فعندما تنقطع الأمطار ويعانى الناس والحيوان والنبات من الجفاف وندرة المياه، وتمر شهور دون أن تصل قطرة ماء إلى هذه الأشجار. تبدو كأنها أشجار ميتة، ولكن بمجرد أن يجرحها شخص بسكين ينسكب منها لبن أبيض فيه حلاوة فيشرب منها العطشان.. وعندما قاموا بتحليل هذا اللبن وجدوا أنه يحتوى على العناصر الغذائية اللازمة للإنسان.. هل نمنع من يرى هذه الأشجار أو يسمع عنها من تذكر قوله تعالى: **﴿أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾** الشعراء: آية ٧.

وشجرة «الأراك» هى الشجرة الوحيدة التى يأخذ منها المسلمون «السواك» وهى تنمو فى شبه الجزيرة العربية، وأمر الرسول المسلمين باستعمال السواك، وقال لهم: **«لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»**، ولم يدرك أحد حكمة هذا الأمر إلا بعد أن قام العلماء الأوروبيون بتحليل السواك فاكتشفوا أن فى السواك مواد تثبت الأسنان، وتطهر الفم من الجراثيم، وتعالج تقرحات اللثة وضعفها، وتجد فى صيدليات أوروبا الآن معجون أسنان من السواك.. فهل تمنع العالم الذى يكتشف أو يعرف مثل هذه الحقائق من أن يردد قوله تعالى: **﴿الذى خلقنى فهو يهدين﴾ والذى هو يطعمنى ويسقين﴾ وإذا مرضت فهو يشفين﴾** الشعراء: الآيات ٧٨ ـ ٨٠.

وفى القرآن إشارات إلى تنوع صور الحياة النباتية على الأرض، وجاء العلم متفقا مع ما جاء فى القرآن.. ففى الكون أكثر من نصف مليون صنف من النباتات والأشجار مختلفة فى اللون والشكل والحجم والطعم وكلها تسقى بماء واحد، تدل على القدرة الإلهية: **﴿وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾** الرعد: آية ٤.

وفى مملكة الحيوان معجزات لا تتحقق بالمصادفة.

■■■

فى الأرض أنواع من الحيوانات تفوق الحصر.. وتوزيع هذه الحيوانات فى منتهى الدقة.. فى المناطق الاستوائية التى يسود فيها الحر والمطر الغزير طول العام تعيش فى غابات هذه المناطق قبائل من القردة، والزواحف، والسنجاب، والسلحفاة، وأسراب من الطيور.. وعلى أطراف الغابات الاستوائية يكون الصيف حارا والشتاء دافئا تعيش جماعات من الفيلة والنمور والضباع.. فإذا تدرجنا إلى أقاليم المراعى الحارة فالبيئة صالحة لجماعات الأفيال، والنمور، والقطط البرية، والجاموس الوحشى، والبقر الوحشى، والزراف، والحمار الوحشى، وعلى الأطراف تنمو الحشائش وتعيش عليها الغزلان والأبقار.. وفى المناطق التى تقل فيها الأمطار والصحارى الحارة فهى صالحة لحياة الإبل والماعز والظباء.. وفى المزارع المعتدلة الدفيئة تعيش الأبقار والخيول والأغنام، وفى

الأقاليم القطبية حيث البرد القارس صيفا وشتاء تعيش جماعات الدب القطبى، والثعلب القطبى، وعجل البحر، والرنة، وطيور البطريق.

هل يحدث كل ذلك بالمصادفة؟.. أو وراءه حكمة.. وقانون إلهى جعل كل مكان على الأرض صالحا لحياة أنواع من الكائنات بعضها يعيش فى البرد الشديد، وسط الثلوج، وبعضها يعيش فى الحر الشديد، وبعضها يتحمل الجفاف والجوع والعطش، وبعضها لا يتحمل الحر الشديد أو البرد الشديد أو الجوع أو العطش ويحتاج إلى مناخ معتدل ورزق وفير سهل.

هل تمنع عالما مؤمنا حين يدرس علم الحيوان أو الجغرافيا البشرية من أن يربط بين ما يراه وقوله تعالى: **﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين﴾** هود: آية ٦.

■■■

وآية مثل: **﴿والقى فى الأرض رواسى﴾** فى سورة النحل آية ١٥، كيف نفهمها إلا فى ضوء العلم الذى توصل إلى أن معظم الجبال النارية القديمة زالت بفعل عوامل التعرية، وهذا الجزء الذى أزيل هو الذى تشير إليه الآية، فقد ألقيت هذه الأجزاء المتقطعة من الجبال النارية القديمة التى كانت قائمة عند نشأة الأرض، وسقطت فى الأحواض البحرية الداخلية.. وعند ذكر الجبال يقول الله عن بعضها إنه **«جعل»** والنوع الآخر يقول: **«ألقى»** ولم يفهم المفسرون الفرق بين الحالتين إلا بعد الاكتشافات الأخيرة.. فقوله **﴿والقى فى الأرض رواسى﴾** إشارة إلى الجبال الشامخة التى تسمى السلاسل الجبلية الإلتوائية وهى فى أوروبا وآسيا وافريقيا واستراليا وهى التى تثبت الأرض وتحفظها من الاضطراب.. والوظيفة التى اكتشفها علماء الجيولوجيا لهذه الجبال الرواسى أن لها امتدادات تحت القشرة الأرضية تحت القارات ٥ كيلومترات، ولكن يصل سمك القشرة الأرضية تحت الجبال إلى ٣٥ كيلو مترا.. وهذه الجبال على شكل أوتاد.. ووظيفتها تماما كما ذكر القرآن **﴿ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا﴾** النبأ: الآيتان ٦، ٧.. يقول العلماء إنهم وجدوا أن الجبال هى «مساكات» للقارات فى الصخور السائلة التى توجد تحت القشرة الأرضية الصلبة خمسة كيلو مترات.. تحتها صخور سائلة.. فإذا كانت الأرض تعوم على سائل فلماذا لا تموج ولا تضطرب؟ لأن الجبال تمثل الجذور أو الأوتاد منغرسة فى طبقة الصخور السائلة.. وهذه الحقيقة لم يعرفها العلماء إلا فى سنة ١٩٥٦م أى أن القرآن سبق بألف وثلاثمائة وخمسين عاما.. والتقى العلم والقرآن أخيرا فى هذه الحقيقة الجغرافية.

هل فى ذلك ما يدعو إلى غضب الغاضبين من محاولة العلماء لفهم القرآن فى ضوء اكتشافات وحقائق العلم الحديث؟

■■■

والجبال مخازن عظيمة للمعادن.. فيها النحاس والحديد والرصاص والماغنيسيوم والكالسيوم والجبس والكبريتيد وخامات الزنك والفضة والذهب والرخام والفحم والفوسفات والمنجنيز والنيكل والقصدير.. وبعض الجبال فيها مدرجات صالحة للزراعة اعتمادا على الأمطار كما فى منطقة جيزان بالسعودية، وعلى قمم الجبال تتكون الثلوج شتاء وتذوب فى الصيف وتتحول إلى جداول وأنهار.. وهكذا يجد الناس رزقهم من الجبال.. فهل تجد فى ذلك تصديقا لقوله تعالى: **﴿والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون﴾** الحجر: آية ١٩. أى أن فى الجبال منافع لحياة الناس والكائنات الحية الأخرى.. وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها.

﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ فصلت: آية ٣٩،

﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾ الأنبياء: آية ٣٠، العلماء اكتشفوا أن الوسط الذى نشأت فيه جميع أنواع الحياة هو «البروتو بلازم» وهو محلول لعدد من المواد معلق فى الماء، ولا يمكن أن توجد حياة بدون بروتو بلازم ولا يمكن أن يوجد بروتو بلازم بدون ماء.. ولا يمكن أن يوجد بروتو بلازم.. الماء فى كل شىء حى.. ليس فى الإنسان فقط ولكن فى الحيوان وفى النبات، وحتى فى الطحالب والبكتريا.. وإذا تأملت الدورة التى تمر بها المياه.. المساحة الأكبر من الكرة الأرضية ماء.. محيطات وبحار وأنهار.. المحيطات فيها أكبر قدر من المياه فى الكون.. والأنهار فيها كميات أقل.. الأنهار مياهها عذبة صالحة للشرب والرى.. والأنهار تتجه فى حركتها إلى البحار والبحار تصب فى المحيطات، المياه فى البحار والمحيطات شديدة الملوحة وفى ذلك حكمة الله.. هذه الملوحة تقتل كثيرا من الكائنات الدقيقة الضارة التى تنمو فى المياه الحلوة.. ولأن البحار والمحيطات هى خزانات مياه هائلة فإن الملوحة تحفظ هذه الكميات الهائلة من المياه.. وبالحرارة يتبخر جزء منها.. فتصبح سحابا يتكون فى الطبقات العليا على شكل جبال يراها من يركب الطائرة ويكون لونها أبيض حين تكون كميات بخار الماء فيها قليلة ثم تتحول إلى اللون الداكن كلما ازداد فيها بخار الماء إلى أن تسقط مطرا.. فتروى الأرض، ويتسرب جزء منها إلى باطن الأرض ليغذى أنهارا تحت الأرض من المياه الجوفية، ويتجه جزء إلى الأنهار، وتتجه الأنهار إلى البحار.. وهكذا تدور الدورة.

فكيف يكون شكل الأرض بدون الماء؟ وكيف يكون حال البشر والحيوان والنبات؟ بدون الماء الموت أو الاقتراب من الموت.. فإذا وجد الماء تزدهر الحياة.. **﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾** فصلت: آية ٣٩.. **﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾** النحل: آية ٦٥.

والعلماء يتأملون كل كلمة فى قوله تعالى: **﴿ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾** النور: آية ٤٣.

والودق هو الماء الذى ينزل من السحب فى مطر، ولم يدرك أحد كيف أن المطر ينزل من جبال فى السماء إلى أن صعد الإنسان فوق السحاب ورأى بعينيه أن السحاب يتجمع فى طبقات الجو على هيئة جبال، وهنا يشعر الإنسان بالإعجاز.. ويزداد إيمانا ويقينا بأن هذا القرآن من عند خالق هذا الكون ولا يمكن أن يكون كلام بشر.. ويشعر الإنسان بالقدرة الإلهية التى تتجلى فى كل شىء فى الكون من أصغر شىء وهو الذرة والخلية والأميبا إلى أكبر شىء وهو الكون كله.. وهنا يعرف الإنسان حقيقة قوله تعالى: **﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾** الإسراء: آية ٨٥، عندما يرفع الغرور الإنسان إلى تصور أنه امتلك زمام المعرفة.

ويجد الإنسان نفسه فى موقف الإقرار بالقدرة الإلهية.. ويسجد له عن طاعة وفهم وإقرار بالقدرة واستجابة لأمره تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾** الحج: آية ٧٧.

بعض الناس يهديهم الله إليه.. فيعرفون قدره عن طريق العلم.. وعن طريق العقل.. وعن طريق القلب.. وبعض الناس يكتب الله عليهم أن يعيشوا فى ظلام العقل والقلب فلا يدركون ما بين العلم والدين من ارتباط لأنهما فى النهاية من مصدر واحد، ولا يفهمون مافى القرآن من إشارات إلى حقائق الكون والخلق والإنسان لم يصل العلم إلى بعضها إلا حديثا.. ومازال طريق العلم طويلا ليكتشف الباقى.

الأُكل المحرمة بين الطب والقرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المائدة: آية ٣

أ. د. عبدالمعبود عمارة

جاء فى هذه الآية الكريمة تحريم الميتة والدم ومافى حكم الميتة وهى المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السَّبُع، فالميتة هى ما مات موتة طبيعية من غير ذبح أو صيد، والمنخنقة هى التى تخنق بحبس نفسها بحبل أو بغيره فتموت.

والموقوذة: هى التى تضرب ضربا شديدا بعصا أو بغيرها فتموت.

والمتردية: هى التى تتردى من سطح أو جبل أو تتردى فى بئر أو حفرة فتموت.

والنطيحة: هى التى تنطحها بهيمة فتموت، وما أكل السَّبُع وهى الفريسة لأى من الوحش فهى كلها أنواع من الميتة.

وقوله: ﴿إلا ما ذكيتم﴾ والتذكية هى الذبح الشرعى.

والميتة: باصطلاح الفقهاء هى ما فارقته الحياة من غير ذكاة، والذكاة الشرعية هى ذبح حيوان مباح للأكل أو نحره، فإن الدم بعد فقدان الحياة يصبح بحكم تركيبه من أصلح الأوساط لنمو الجراثيم بعد أن كان وسيلة الدفاع الكبرى ضدها أثناء الحياة، فالتذكية الشرعية تؤمّن استنزاف دم الحيوان على أحسن وجه بقطع أوردة الرقبة وشرايينها الكبيرة ويساعد فى ذلك حركات الحيوان التالية للذبح.

إن اللحم الذى لا يصفى منه الدم جيدا يكون عرضة لتكاثر الجراثيم وانتشارها بسرعة وسط اللحم، وذلك لوجود السائل الزلالى فى الأوعية.

إن الميتة تأباها النفس السليمة وكذلك الدم فضلا على ما أثبته الطب بعد فترة طويلة من تحريمها فى القرآن، فقد أثبت الطب أن الميتة تتعرض لتغيرات عديدة، فبعد ساعة من الموت يرسب دم الحيوان إلى الأجزاء المنخفضة من

جسمه مشكلة ما يسمى بالزرقة الرمية وبعد ٣ ـ ٤ ساعات يحدث التيبس الرمى وهو عبارة عن تصلب عضلات الجسم وتوترها بسبب تكون بعض الأحماض مثل حمض الفسفور، وحمض اللبن وحمض الفورميك، وبعدها تعود القلوية للعضلات فيزول التيبس وتغزو الجراثيم الجثة فتتكاثر أول الأمر الجراثيم الهوائية، ثم اللاهوائية وينتج من ذلك مركبات ذات رائحة كريهة ومواد سامة وغازات تؤدى لانتفاخ الجثة بعد عدة ساعات. وانحباس الدم يجعل التعفن سريعا ويزيد من تكاثر الجراثيم،

إضافة إلى ذلك فإن اللحم تنطلق منه رائحة كريهة تثير فى النفس الاشمئزاز وتجعل تناوله صعبا على صاحب الذوق السليم.

الميتة تصاب بالتيبس الرمى وتغزوها الجراثيم وتنطلق منها رائحة كريهة يرفضها صاحب الذوق السليم

وإذا كان موت الحيوان بمرض معدٍ، فإن الجراثيم الممرضة تكون موجودة فى الجسم وتنتشر عن طريق الدم إلى جميع الأجزاء.

وهناك بعض الأمراض التى تنتقل من الحيوان إلى الإنسان مثل مرض الدرن «السل»، والجمرة الخبيثة، وجراثيم السالمونيلا التى تسبب التسمم الغذائى والجراثيم العنقودية.

والتسمم يكون بالجراثيم نفسها أو بسمومها التى لا تتأثر بحرارة الطهو، والأنسجة المتحللة من الحيوان تكون فريسة للميكروبات التى تنتشر بسرعة شديدة من الجهاز الهضمى والتنفسى والبولى والتناسلى إلى باقى الجسم، وإن كان سبب موت الحيوان هو الشيخوخة، فإن لحم الحيوان المسن يكون أكثر تليفا وأكثر صلابة، وبالتالى يكون أسوأ هضما وأقل فى القيمة الغذائية.

والمنخنقة: ويلحق بها ما مات بكتم النفس، أو الغرق، أو الرَّدم، أو باستنشاق غازات خانقة.

والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السَّبُع: كل هذه الأنواع من الميتة يحدث فيها انحباس الدم فتكون معرضة للتغيرات التى تحدث فى الميتة.

أما الدم فهو مكان تجمع كثير من الفضلات والسموم لأن من وظائفه حمل فضلات الجسم وسمومه ونتائج التمثيل الغذائى لطرحها خارج الجسم عن طريق الكلية أو العرق، ومن أهم هذه المواد السامة مادة البولينا، وحمض البول والكيرياتين، وغاز ثانى أكسيد الكربون. وإن تناول كمية كبيرة من الدم عن طريق الفم يؤدى إلى امتصاص نتائج الدم التحللية مما يؤدى إلى ارتفاع نسبة البولينا فى الدم، ويؤدى هذا إلى اعتلال دماغى ويسمى بالغيبوبة الدماغية.

والدم إذا حفظ فى درجة حرارة دافئة فإنه يكون وسطا صالحا لنمو شتى الجراثيم وخاصة إذا كان دم حيوان مريض بمرض جرثومى.

وقد قرر العلم الإلهى تحريم هذه الأطعمة وأخبر أنها ليست طيبة وسواء وصل العلم البشرى إلى حكمة هذا التحريم أم لم يصل فالتحريم قائم، فالله سبحانه وتعالى لا يحرم إلا الخبائث، وإلا ما يؤذى الحياة البشرية سواء علم الناس بهذا الأذى

أو جهلوه، فالله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته وحيث يأمر بالفعل أو ينهى عنه.

معنى التحريم:

إن من المعانى العامة لهذا التحريم دفع الضرر الحسى الواقع لا محالة من تناول هذه الأنواع من الأكل المحرمة، وكذلك دفع المسلم وإبعاده عن منطقة القذارة والاستقذار، لأن من شأن المسلم أن يكون طهورا فى صلاته وصيامه وحجه طهارة حسية ونفسية، وهى موجودة فى العبادات والواجبات، ومن تتمة هذا التطهر أن يحذر الله سبحانه وتعالى بنى آدم مما يضر العقل أو الجسد أو الدين لأن الله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، ومن المعانى أيضا لهذا التحريم الطاعة لله وحده والعبودية له فى افعل ولا تفعل.

﴿فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾ المائدة: آية ٣، والمضطر من جاع وخشى على حياته التلف له أن يأكل من هذه المحرمات مادام لا يتعمد الإثم ولا يقصد الحرام.

والأمر معلق بالنية والتقوى، فمن أقدم مضطرا لا نية له فى اقتراف الحرام فإن الله غفور رحيم.

خاتمة:

وانظر رعاك الله كم كان الإسلام حريصا على سلامة المسلم فى دينه وبدنه وعقله وماله وعرضه ليحيا حياة سعيدة، وأحل له كل الطيبات مما يؤكل ويشرب ويلبس ويتزين به، وحرم الخبائث من الأكل المحرمة ومن المشروبات كالخمر وكل مسكر ومخدر. وأمرنا بأن نتطهر من الحدث **﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾** المائدة: آية ٦، وبأن نتوضأ عند الدخول فى الصلاة **﴿ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾** المائدة: آية ٦.

كما أوجب الإسلام الطهارة من الحيض والنفاس، وأمر بطهارة الثوب والمكان والتطهر من النجاسات. كل ذلك من أجل سلامة المسلم ليقوم بحمل الأمانة التى من أجلها خلق.

لحم الحيوان المسن أكثر تليفا وصلابة وأسوأ هضما وأقل فى القيمة الغذائية

وفقنا الله إلى حمل الأمانة وأبعدنا عن كل ما حرم الله وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. إنه سميع قريب.

المراجع:

١ - تفسير ابن كثير: المجلد الأول.

٢ - مع الطب فى القرآن الكريم: عبدالحميد دياب - أحمد قرقوز - مؤسسة علوم القرآن - دمشق ١٤٠٠ - ١٩٨٠م.

٣ - الحلال والحرام فى الإسلام - الشيخ أحمد محمد عساف - دار إحياء العلوم - بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٤ - الذبائح فى الشريعة الإسلامية - عبدالله عبدالرحيم العبادى - الفصل الأول - المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت.

٥ - قسم الطب الإسلامى - جامعة الملك عبدالعزيز - السعودية - ١٤٠٤هـ.

من أسرار الإعجاز فى القرآن الكريم

جلد الإنسان

قراءة علمية لآية قرآنية

أ.د/ كارم السيد غنيم

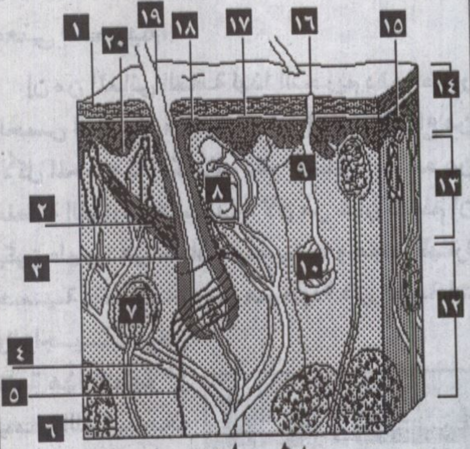

الجلد

١ـ الطبقة القرنية. ٢ـ عضلة ناصية الشعر. ٣ـ جريب الشعر. ٤ـ أوعية دموية. ٥ـ عصب. ٦ـ أنسجة دهنية. ٧ـ جسيمات بتشينى. ٨ـ الغدد الدهنية. ٩ـ أنبوب لغدة العرق. ١٠ـ الغدد العرقية. ١١ـ جسيم ميسنر. ١٢ـ تحت الجلد. ١٣ـ الأدمة. ١٤ـ البشرة. ١٥ـ الطبقة الشائكة. ١٦ـ فتحة العرق. ١٧ـ الطبقة الصافية. ١٨ـ الطبقة الحبيبية. ١٩ـ شعرة. ٢٠ـ الطبقة القاعدية.

﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما﴾

النساء: آية ٥٦.

يخبر الله تعالى فى هذه الآية عما يعاقب به فى نار جهنم من كفر بآياته، وصد عن رسله، بأنه سيدخلهم نارا دخولا يحيط بجميع أجرامهم وأجزائهم، ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونكالهم، وأنه كلما احترقت جلودهم، بُدّلوا جلودا غيرها، حتى إنه ليتبدل فى الساعة مائة مرة كما روى عن عمر، وفى رواية مائة وعشرين مرة، وكلتا الروايتين عن عمر يرفعهما إلى رسول الله ﷺ ويقول صاحب (الأساس فى التفسير): يختم الله عز وجل الآية بوصف ذاته بالعزة والحكمة، وهما يفيدان فى هذا المقام غلبة الله بالانتقام، وأنه لا يمتنع عليه شىء مما يريده بالمجرمين، وعقوبته لهم هى الحكمة عينها، ويقول صاحب (روح المعانى): «كلما نضجت جلودهم» أىّ: احترقت وتهرّت وتلاشت، و«كلما» ظرف زمان، والعامل فيه «بدلناهم جلودا غيرها»، أىّ: أعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة، وإن كانت مادته الأصلية موجودة.

ويقول ابن عجيبة فى (البحر المديد): وإنما بُدلت جلودهم «ليذوقوا» ألم «العذاب»، أى: يدوم لهم ذلك بخلق جلد آخر مكانه. والعذاب فى الحقيقة للنفس العاصية لا لآلة إدراكها، فلا محذور، ﴿إن الله كان عزيزا﴾ لا يمتنع عليه ما يريد، «حكيما» يعاقب على قدر حكمته.

وفى تبديل الجلود أثناء العذاب أسئلة يعرضها صاحب (مفاتيح الغيب)، ويجيب عنها، ونوجز كلامه فيما يلى: **السؤال الأول:**

لما كان الله تعالى قادرا على إبقائهم (أى: الكفار) أحياء فى النار أبد الآباد، فَلِمَ لم يُبْقِ أبدانهم فى النار مصونة عن النضج والاحتراق مع أنه يوصل إليها الآلام الشديدة، حتى لا يحتاج إلى تبديل جلودهم بجلود أخرى؟

والجواب: أنه لا يُسْأل عما يفعل، بل نقول: إنه تعالى قادر على أن يوصل إلى أبدانهم آلاماعظيمة من غير إدخال النار مع أنه تعالى أدخلهم النار.

السؤال الثانى: الجلود العاصية إذا احترقت، فلو خلق الله مكانها جلودا أخرى وعذبها، كان هذا تعذيبا لمن لم يعص، وهو غير جائز.

والجواب: عنه من وجوه، منها: أن يجعل النضج غير النضيج، فالذات واحدة والمتبدل هو الصفة، فإذا كانت الذات واحدة كان العذاب لم يصل إلا إلى العاصى، وعلى هذا التقدير المراد بالغيرية التغاير فى الصفة. المعذَّب هو الإنسان، وذلك لأن الجلد ما كان جزءا من ماهية الإنسان، فإذا جدد الله الجلد وصار ذلك الجلد الجديد سببا لوصول العذاب إليه لم يكن ذلك تعذيبا إلا للعاصى.. وكلما ظنوا أنهم احترقوا ونضجوا وانتهوا إلى الهلاك أعطاهم الله قوة جديدة من الحياة بحيث ظنوا أنهم يُحَدَّثوا ويُجَدَّدوا، فيكون المقصود من **﴿بدلناهم جلودا غيرها﴾** بيان دوام العذاب وعدم انقطاعه.. وبنحو هذا كان فهم النيسابورى فى تفسيره المسمى (غرائب القرآن ورغائب الفرقان).

ونعود إلى شهاب الدين الألوسى فى تفسيره (روح المعانى) لنجده يشرح **﴿ليذوقوا العذاب﴾** فيقول: والتعبير عن إدراك العذاب بالذوق من حيث أنه لا يدخله نقصان بدوام الملابسة، أو للإشعار بمرارة العذاب مع إيلامه، أو للتنبيه على شدة تأثيره من حيث أن القوة الذائقة أشد الحواس تأثيرا، أو على سرايته للباطن، ولعل السر فى تبديل الجلود مع قدرته تعالى على إبقاء إدراك العذاب وذوقه بحال مع الاحتراق أو مع بقاء أبدانهم على حالها مصونة عنه أن النفس ربما تتوهم زوال الإدراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد أن تكون مصونة عن التألم والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق، وقيل: السر فى ذلك أن النضج والتبديل نوع إياس لهم وتجديد حزن على حزن.

الشبكة العصبية فى الجلد:

الجلد أكبر عضو من أعضاء جسم الإنسان، من حيث المساحة، فمتوسط مساحته هو ١,٨ متر مربع، وهو يحيط بالجسم كله فيحميه ويكسبه مظهرا جميلا، كما أنه يتلقى المؤثرات الواقعة على الجسم من خارجه، وتظهر عليه انفعالات الجسم.

يتركب الجلد ـ كما توصلت إليه البحوث الحديثة ـ من ثلاث طبقات: الخارجية (السطحية) الرقيقة، وتسمى (البشرة) (Epidermis)؛ والوسطى (المتوسطة)، وتسمى الأدمة (Dermis)، وهى الجلد الحقيقى؛ والداخلية (السفلى)، وتسمى النسيج تحت الجلدى (Subcutanuous tissue) . أما البشرة فهى طبقة خالية من الأوعية الدموية، وتقوم بحماية الجسم من التأثيرات الخارجية والصدمات. وهى أرق طبقات الجلد، وإن كانت تتألف من أربع طبقات ثانوية بالإضافة إلى طبقة خامسة فى مناطق مثل

راحة اليد وباطن القدم، وتسمى «الطبقة الصافية»، أى: «الطبقة الرائقة». وأما الأدمة فتحتوى أوعية دموية، وغدد عرقية، وبصيلات الشعر، والنهايات العصبية المستقبلة للألم والشعور بالحرارة والبرودة واللمس وخلافه، كما أنها هى التى تحدد «تخانة» الجلد فى مناطق مثل راحة اليد وباطن القدم. وتتراوح تخانة الجلد بين ١/٢ - ٥ ملليمترات، حسب مناطق الجسم.

هكذا يتضح بالتشريح الدقيق للجلد وجود شبكة من الألياف العصبية، توجد بها نهايات عصبية حرة، فى طبقات الجلد، وتقوم هذه النهايات باستقبال جميع المؤثرات الواقعة على الجلد من البيئة الخارجية المحيطة به، من درجة حرارة إلى رطوبة، إلى ضغط، إلى لمس، إلى ألم.. . الخ، كما تتحمل هذه الشبكة العصبية المسئولية فى تنظيم عمل المكونات الأخرى الموجودة بالجلد مثل الغدد الجلدية وأجربة (Follicles) الشعر والأوعية الدموية (Blood vessels). ومما يذكر فى هذا المقام أن الطبقة السفلى (تحت الأدمة) غنية بالنهايات العصبية المسئولة عن الإحساس بالضغط، لكنها ـ أى: الطبقة السفلى ـ فقيرة فى مستقبلات الألم واللمس، ودرجة الحرارة، وتتباين هذه النهايات العصبية (المستقبلات receptors) الألم والشعور به، ومنها المسئول عن اللمس (الاحتكاك) والضغط،.. الخ، وخلاصة القول إن الجلد عضو إحساس من الطراز الأول، وبه خريطة مدهشة من الأعصاب، لم يتم الكشف عنها إلا فى القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، بعد تقدم وسائل البحوث الحديثة فى كل من علم التشريح (Anatony) وعلم الأنسجة (Histology) وغيرهما من العلوم.

الجلد أكبر عضو فى الجسم يحيط به ويحميه ويكسبه جمالا وتظهر عليه انفعالات الجسم

فزيولوچيا الإحساس فى الجلد :

لن نفصل القول فى الآلية (الميكانيكية) التى تعمل بها الأعصاب فى جسم الإنسان، فمن يريد هذا التفصيل عليه مطالعة الكتب الطبية، ولكننا نوجز فنقول إن هذه المستقبلات الحسية المنتشرة فى طبقات الجلد تستقبل المؤثرات البيئية الواقعة عليها طوال اليوم، ويتحول كل مؤثر (حرارة أو لمس أو ضغط أو كىّ أو غيرها) إلى نبضات كهربية (Electric im-pulses) بداخل الأعصاب التى توجد هذه المستقبلات بأطرافها، وتنتشر وتنتقل هذه النبضات على امتداد هذه الأعصاب إلى الدماغ (أو المخ) - وهو المركز الرئيسى فى الجهاز العصبى للإنسان، فتتم ترجمة المؤثر المستقبل (Received dtqmules)، وبيان نوعه، وتحديد الاستجابة (Response) المناسبة تجاهه، إن كانت بالسلب أم بالإيجاب؛ أما فى الأولى فتنفعل عضلات الإنسان لإبعاده عن موقع المؤثر السىء، وأما فى الثانية فتنفعل عضلاته نحو هذا المؤثر وتقترب منه أكثر.

ويستطيع الإنسان أن يشعر بالمؤثر الواقع على الجلد طالما يقع هذا المؤثر داخل حدود معينة من الشدة (التردد Frequency)، فإذا انخفضت شدته عن الحد الأدنى لم يشعر به الجلد، وإذا ارتفعت شدته عن الحد الأقصى شعر الجلد بألم، وقد

ترتفع شدة المؤثر بدرجات كبيرة فتكون استجابة الجلد عنيفة وتؤدى إلى حدوث صدمة أو هبوط فى الدورة الدموية وفقدان للوعى. وبالطبع فإن هناك أجهزة أخرى غير الجلد يصيبها الإعياء والهبوط الوظيفى والتوقف عن العمل نتيجة تألم الجلد، أى: استجابته للمؤثر الواقع عليه، ولكن يبقى الجلد هو العضو الوحيد فى جسم الإنسان المسئول عن الشعور بالألم.

الجلد والشعور بالألم:

عندما يتعرض الجلد للإحراق فإنه يتألم، أى: ينقل الإحراق (كمؤثر) إلى الدماغ فيترجمه، وتكون النتيجة هى شعور الجسم بالألم، وإذا كان الحرق من الدرجة الأولى (سطحى) تلتهب الطبقة الخارجية للجلد وتحمر ويتورم الجلد، ويصحب هذا آلام موضعية شديدة نتيجة لتأثير الحرق فى الألياف العصبية. وتحدث هذه الحروق مثلا نتيجة التعرض فترة طويلة للشمس المباشرة ساعات الظهيرة. وإذا كان الحرق من الدرجة الثانية (أدمى) يشتد الألم لدرجة أن الجسم يفقد كثيرا من السوائل ويتأثر ضغط الدم الشريانى وتتضرر الدورة الدموية، وقد يصاب الجسم بصدمة عنيفة. ويلاحظ فى هذه الدرجة تكون أكياس مائية مختلفة الأحجام على البشرة، وقد تتمزق بسهولة، لتخرج سائلا ملحيا، أو تنزف دما. وإذا كان الحرق من الدرجة الثالثة (تحت جلدى) فإن الحرارة الشديدة للحرق تؤدى إلى تلف شديد للطبقات العميقة بالجلد والأنسجة المجاورة، وتؤدى أيضا إلى التفحم الجلدى، واضطراب وظائف العظام والعضلات، كما تؤدى إلى تجلط بروتينات الألياف العصبية، وتكون النتيجة هى توقف هذه الألياف عن العمل، أى: لا تكون قادرة على الإحساس بالمؤثر (الحرق)، وبالتالى يتوقف شعور الإنسان بالألم.

إشارة علمية فى لفظة «الجلود»:

تذكر الآيات القرآنية التى مرت معنا «الجلد» بصيغة الجمع دائما وليس بصيغة المفرد، وفى هذا إشارة علمية عظيمة كشف العلم الحديث عنها:

- **خلايا الجلد** أسرع انقساما من غيرها من الخلايا.
- **خلايا الجلد أسرع تغيرا وتبدلا من غيرها** من الخلايا، وقد يتغير الجلد فى مساحة معينة منه تغيرا كاملا فى فترة وجيزة.
- يتغير تركيب الجلد من مكان لآخر على سطح الجسم الواحد، فجلد جفون العيون يختلف عن جلد قناة الأذن الخارجية، ويختلف عن جلد باطن اليد، ويختلف عن جلد باطن القدم، .. الخ.
- وهكذا تكسو الإنسان مجموعة من الجلود وليس جلد واحد، سواء من حيث المكان (على سطح الجسم)، أم الزمان (التبدل والتغير)، وهكذا تظهر الإشارة العلمية بجلاء.

نضج الجلود، المعنى والنتيجة:

عبَّر القرآن الكريم عن فقدان الجلد لتوصيل المؤثرات الواقعة عليه بلفظة النضج، والنضج علميا هو تجلط بروتينات الألياف العصبية (فى حال حروق الدرجة الثالثة)، نتيجة تعمق المؤثر وتغلغله إلى الطبقة تحت الجلدية، وذلك لشدته العنيفة، ولما كان المقصود هو إذاقة العذاب للكافرين فى جهنم، استلزم هذا تجديد طبقات الجلد مرة أخرى ليشعر الإنسان بالألم، فإذا ازداد الإحراق، وتعمق أثره وتجلطت بروتينات الألياف العصبية السفلية، وفقد الإنسان القدرة على الإحساس بالألم، تكرر تجديد الجلد بكافة طبقاته، ليتكرر شعور الإنسان بالألم.. وهكذا، وكما عبرت عنه الآية الخامسة والستين من سورة النساء بالضبط، ﴿**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها**﴾، والحكمة المقصودة هى: ﴿**ليذوقوا العذاب**﴾.

وهكذا تشير الآية الكريمة إلى حقيقة علمية لم يتوصل العلماء إلى معرفتها إلا حديثا بعدما تقدمت علوم التشريح والأنسجة واخترعت أجهزة التكبير والقياس، تشير الآية الكريمة إلى مراكز الإحساس فى الجلد، وتشير إلى وجود البروتينات التى تتجلط بحرارة النار الشديدة، وتشير إلى النضج الذى تفقد عنده خواصها ووظيفتها، وهى الشعور بالألم.

وقبل أن نختم هذا المقال نتذكر نصا قرآنيا ورد فى سورة الحج، ويتحدث عن عذاب الكفار فى نار جهنم أيضا، وفيه إشارة إلى «نضج» الجلود، وإن لم يُصرَّح بها. النص هو قول الله تعالى: **﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قُطعت لهم ثياب من نار يُصَبُّ من فوق رؤوسهم الحميم، يصهر به ما فى بطونهم والجلود﴾** الحج: الآيتان ١٩، ٢٠.

وخلاصة ما شرح به جمهور من المفسرين، كابن كثير والنيسابورى والنسفى والآلوسى والبيضاوى وابن عجيبة والفخر الرازى، هذا النص القرآنى الكريم هو أن هناك فريقين، أو فوجين، أو طائفتين، اختلفوا فى دين الله وصفاته، هما طائفة الكفار (ويشملهم جميعا)، وطائفة المؤمنين، فكان الفصل هو إنزال العقاب وشديد العذاب بالكفار هكذا **﴿قطعت لهم ثياب﴾**، يعنى أن الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع (وتفصّل) الثياب الملبوسة. وفى الكلام استعارة تمثيلية تهكمية، وليس هناك تقطيع ولا تفصيل ولا ثياب. والمراد بالثياب هنا إحاطة النار بهم. وجاء الكلام بلفظ الماضى لأن ما كان من أمر الآخرة فهو كالواقع. و«يُصْهَرُ» أى: يُذاب، والمعنى أن الحميم (وهو الماء الحار العنيف الحرارة) تنزل فوق رؤوسهم فيخترقها ويسقط فى أجوافهم فيهلك أمعاءهم وأحشاءهم كما يتلف جلودهم، وقرئت «يُصَهَّر» بفتح الصاد وتشديد الهاء للمبالغة، وقيل: إن «يُصْهَرُ» بمعنى ينضج، وقيل: التقدير هنا هو (ويحرق الجلود)، لأن الجلود لا تذوب.

والحميم ـ على النحو المذكور فى هذه الآية ـ يذيب جميع المحتوى الداخلى للأجسام، وهذا أشد مما ذكر فى آية قرآنية أخرى يقول الله سبحانه وتعالى فيها: **﴿وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم﴾** محمد: آية ١٥.

فلابد إذن من تقطيع الأمعاء أو تثقيبها، لأن الحميم لايؤلمها إلا إذا ثقبت فيخرج منها ويؤثر فى مراكز الاحساس بالحرارة الزائدة، كما أن الحميم لا يؤلم إلا بوجود جلد، لأن فيه توجد مراكز ومستقبلات الاحساس بالحرارة الشديدة ولذلك جاءت (من وجهة النظر الطبية) لفظة «والجلود» فى نهاية الآية (٢٠) من سورة الحج، عقّيب «بطونهم».

وهناك علاقة بين حروق الجلود وتلف الأحشاء، ونلاحظ هذا فى الآيتين القرآنيتين: **﴿قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ يصهر به مافى بطونهم والجلود﴾** الحج: الآيتان ١٩، ٢٠.

فمع صبِّ الحميم فوق الرؤوس وإغراقه لجلد الجسم عامة، وإتلافه للجلد، فإن هذا التلف الذى هو فى شكل حروق مدمرة تؤدى إلى حدوث اضطرابات وظيفية عنيفة فى الجهاز الهضمى، يتبعها حدوث شلل للأمعاء وتمدد حاد لجدار المعدة، ثم ظهور تقرحات عنيفة فيها وفى الاثنى عشر، ثم حدوث ثقوب فى القناة الهضمية ونزيف داخلى كالذى يحدث عند ابتلاع مادة كاوية، وكذلك حدوث انتفاخ ضبابى للكبد نتيجة تراكم المواد السامة المتخلفة عن احتراق الأنسجة، وكذلك نقص الأوكسجين والدم الواصلين إليه.

واضافة إلى هذا، فهناك تأثير لإحراق الجلود فى التنفس، ونلاحظ هذا فى الآية القرآنية: ﴿**فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق**﴾ هود: آية ١٠٦.

وهذا ما توصل إليه الطب الحديث، فلقد اكتشف العلماء تغيرات وظيفية (فسيولوجية) تطرأ على الجهاز التنفسى نتيجة لحروق الجلد العنيفة، مما يؤدى إلى اختلال المعادلة الوظيفية التى تحكم نسبة التهوية / التروية (Ventilation/ Perfusion ratio).

وكذلك فإن احتراق الجلد يسبب تلف القلب، ونلاحظ هذا فى قول الله تعالى: ﴿**نار الله الموقدة * التى تطلع على الأفئدة**﴾ الهمزة: الآيتان ٦، ٧.

وفيه يقول الفخر الرازى (فى التفسير الكبير): «نار الله» الإضافة (أى: اضافة النار إلى الله، أى: نسبتها إليه)، للتفخيم، أى: هى نار لا كسائر النيران. «**الموقدة**»: التى لا تخمد أبدا، أو «الموقدة» بأمره أو بقدرته. ومنه قول على رضي الله عنه: عجبا ممن يعصى الله على وجه الأرض والنار تسعر من تحته، وفى الحديث (النبوى): «**أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت، ثم ألف سنة حتى ابيضت، ثم ألف سنة حتى اسودت، فهى الآن سوداء مظلمة**»، وإن كان فى هذا النص النبوى إعجاز علمى فهو فى باب الفيزياء وليس مجاله هنا.

ويقول الفخر الرازى: أما قوله تعالى: ﴿**التى تطلع على الأفئدة**﴾، اعلم أنه يقال: طلع الجبل واطلع عليه، إذا علاه، وفى تفسير الآية يقول: إن النار تدخل فى أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم، ولا شىء فى بدن الإنسان ألطف من الفؤاد (والفخر الرازى يقصد به القلب العضلى)، ولا أشد تألما منه بأدنى أذى يماسه، فكيف إذا اطلعت نار جهنم واستولت عليه! ثم إن الفؤاد مع استيلاء النار عليه لا يحترق إذ لو احترق لمات، وهذا هو المراد (يقصد المعنى) من قوله ﴿**لا يموت فيها ولا يحيى**﴾، ومعنى الاطلاع هو أن النار تنزل من اللحم إلى الفؤاد.. واعلم أنه روى عن النبى ﷺ أن النار تأكل أهلها حتى إذا اطلعت على أفئدتهم انتهت، ثم إن الله تعالى يعيد لحمهم وعظمهم مرة أخرى.

ويضيف الطب الحديث توضيحا إلى هذا التفسير وما شابهه من تفسيرات للآية القرآنية، فلقد اكتشف الأطباء حدوث تغيرات كبيرة فى الفؤاد (القلب) والجهاز الدورانى بجسم المحروق، منها هبوط انقباضية الفؤاد، هبوط فى جانبه الأيسر أو فى جانبه الأيمن أو فى كليهما معا، كما تحدث تغيرات ضارة جدا فى سوائل الدم وخلاياه.

وبعد، فلنعد إلى الآية الأساسية لمقالنا الحالى، لنؤكد أن اللفظة القرآنية المعجزة «نضجت» (فى الآية ٥٦ من سورة النساء) ستظل باقية على مر الزمان، وشاهدة بالإشارة إلى حقيقة علمية لم يتوصل العلماء إليها سوى فى العصر الحديث فقط، ألا وهى تجلط بروتينات النهايات العصبية فى الطبقة الجلدية السفلى بفعل الحرارة الشديدة.. إن رسول الله ﷺ لم يكن قارئا ولا كاتبا، فكيف جاء بهذه الحقيقة العلمية الطبية، كيف به يتحدث عن خصائص الأعصاب الحسية ووظائف مراكز الحس بالألم الموجود فى الجلد، إنه بلاشك رسول يتلقى الوحى من الله الخالق العظيم، وما تلقاه بلاشك كتاب عظيم هو القرآن، وحى الله الذى ختم به حلقات اتصال السماء بالأرض، ولذلك أودع الله فيه أسرارا لن تنتهى إلى يوم القيامة.

المنتجات الحيوية وعلوم الزراعة فى القرآن والسنة النبوية

الزراعة ومنتجاتها الصناعية أسهمت فى نشر الإسلام فى دول شرق آسيا

د/ إبراهيم سليمان عيسى

فى واد غير ذى زرع فى الجزيرة العربية بدأ الإسلام على يدى النبى الأمى وأنزل الله عليه القرآن هدى للناس وبينات وألهمه التشريع والحديث وعلمه مالم يكن يعلم، وشرح الله صدور قوم مؤمنين، وانطلق المجتمع الإسلامى يعمر، ويوفر الخير لكل الناس فى كل المجالات، مسترشدا بنور كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومستظلا بأحاديث رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى.

فالقرآن الكريم والسُنة النبوية الشريفة هما الأساس الفكرى لكثير من العلوم الأساسية ثم لكثير من العلوم التطبيقية التى ترتبت عليها وتطورت منها نتيجة للدراسة المستفيضة واكتشاف الكثير من الحقائق العلمية التى تذاع وتنشر.

وقبل البدء فى الحديث عن المنتجات الحيوية وعلوم الزراعة فى القرآن الكريم والسنة النبوية أقرر عدة حقائق:

أولا: أن القضايا التى كثر الحديث عنها كفصل العلم والعلماء فى الإسلام وعدم تعارض الدين مع العلم أصبحت معلومات وقضايا محسومة والعلم بها أصبح ضرورة من الضروريات لكل من يعنيه هذا الشأن، ويكفى أن القرآن قد قرر أن أكثر الناس خشية لله هم العلماء. والجدير بالذكر أن الآية الكريمة **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** جاءت بعد حديث القرآن عن الجبال وتنوعها وألوانها أى بعد الحديث عن بعض الكونيات.

ولا أدل على بطلان دعوى تعارض العلم والدين من أن الله سبحانه وتعالى هو المشرع والخالق فهو الخالق لكل الكائنات ومرسى الجبال ومجرى الأنهار، والبحار، والمحيطات، ورافع السموات وباسط الأرض.

وما العلم إلا اكتشاف وتفسير وتعليل لهذه الظواهر والقوانين الكونية.

هذا بالإضافة إلى أنه لم يعد فى مجال العلم ما يسمى بالحقيقة العلمية النهائية، بل إننا نجد أن العلماء مضطرون أحيانا إلى الأخذ بنظرتين متعارضتين، ويتضح ذلك فى التفسير لبعض الظواهر الكونية كالضوء، وعلى العموم فإن العقلانية فى الإسلام أمر اعترف به كل منصف،

وأن دين الكنيسة الغربية هو الذى وقف فى وجه العلم.

ثانيا: القرآن الكريم ملىء بالآيات التى تدعو إلى التفكر فى ملكوت السموات والأرض وفى كثير من العبر التى تتصل بالنبات والحيوان، يقول سبحانه وتعالى: **﴿وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه﴾** النحل: آية ١٣، ويقول: **﴿وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون﴾** الجاثية: آية ٤، ويقول: **﴿وفى الأرض آيات للموقنين، وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ ﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون﴾ ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾** الذاريات: الآيات ٢٠ ـ ٢٢.

الزراعة ونشأة الحضارة

ثالثا: أن الزراعة تعد أهم مقومات نشأة الحضارات واستمراريتها، ومعنى ذلك أن الإنتاج الزراعى موسمى، فهذه الزراعة صيفية وأخرى شتوية وثالثة نيلية، فالإنتاج موسمى والاستهلاك لابد أن يكون على مدار العام كله، من هنا كانت حتمية الاحتفاظ بالمنتجات سليمة لكى تفى متطلبات الاستهلاك ونتيجة حتمية لهذا تنشأ وسائل التخزين وأنماطه وطرقه ودراساته وغير ذلك كثير، كذلك فإن التخصص والتمنطق صفة من صفات الإنتاج الزراعى، فهذه الأرض الصفراء أو الطينية أو الخفيفة يجود فيها إنتاج الحبوب، وهذه يجود فيها الإنتاج الفاكهى، وتلك يجود فيها إنتاج الألياف والسكريات ومحاصيل الزيوت حتمية ناتجة عن هذه الصفة هى تصدر جزءا من إنتاج هذه المنطقة إلى منطقة أخرى مقابل استيراد ما تخصصت فى إنتاجه من هنا كان التبادل التجارى حتمية اقتضتها خصائص الإنتاج الزراعى، ولقد ساهمت الزراعة فى انتشار الإسلام، فى ماليزيا، وأندونيسيا عن طريق التجارة، وماهى نوع العروض التجارية التى كان يحملها التجار لاشك وأنها منتجات زراعية، وليست صناعية. وكما أن الزراعة أساس التجارة فإنها كذلك أساس التصنيع فى الصناعات القائمة على المواد الخام الزراعية غذائية كانت أم كسائية، بل لقد نشأت علوم التسويق والتغليف والتعبئة وغير ذلك نتيجة لهذا التخصص وذلك التمنطق.

فضل الغرس والزرع

رابعا: تميزت الزراعة دون سائر أوجه النشاطات الاقتصادية الأخرى كالتجارة والصناعة بأنها فضلا عن أنها أساس الاستقرار والحضارة والتنمية قد تمارس ابتغاء المثوبة لله سبحانه وتعالى، وعن فضل الغرس والزرع روى الإمام مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»**، وفى هذا الحديث الشريف بيان لأهمية الزراعة وتوضيح لمثوبة الزارع والغارس عند الله تعالى، بل إن منزلة هذا العمل تتضح بصورة رائعة وعظيمة حين نعلم أن مثوبة الزرع أو الغرس ممتدة إلى ما بعد الموت، وصدقة جارية إلى يوم القيامة، ففى رواية: **«فلا يغرس المسلم غرسا، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة»**.

الزراعة وعدالة التوزيع:

خامسا: الزراعة بشقيها الإنتاج الحيوانى والإنتاج النباتى وسيلة الغذاء والكساء الذى يكفى كل مخلوقات الله على الأرض، وإذا تم إخراج الزكاة مما تنتجه الأرض لأمكن القضاء على الفقر فى المجتمع وسوف ينمو المال ويزداد ويسود الحب والوئام فلا تجد غنيا جشعا ولا فقيرا حاقدا، والكل سينصرف إلى تحقيق الهدف من الوجود الإنسانى، وإذا تم أيضا توجيه ناتج هذا الاستغلال عالميا لأمكن القضاء على الأزمات الاقتصادية والغذائية التى تجتاح العالم، فالأزمات ليست ناتجة

عن قلة ما تنتجه الأرض من خيرات ولكنها ناتجة عن سوء التوزيع، فلو أن الدول الغنية طرحت ما تلقيه فى البحر سنويا أمام متطلبات الدول النامية والفقيرة لأمكن القضاء على هذه الأزمة، وسوف تختفى وتزول الحروب وعوامل الدمار والهلاك وغيرها ونتأمل معا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين** ◆ **وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين**﴾ فصلت: الآيتان ٩، ١٠، والله يقرر أنه الزارع فى قوله تعالى: ﴿**أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون**﴾ الواقعة: آية ٦٤.

إخراج زكاة إنتاج الأرض يقضى على الفقر والأزمات الاقتصادية التى تجتاح العالم

سادسا: يجب على كل من يريد أن يتصدى للإشارات العلمية فى القرآن الكريم أن يتعرف على اللغة العربية وأن يدرسها دراسة كافية تؤهله للقيام بهذه المهمة وسوف نتبين أن ذلك هام وأن التعثر فى مفهوم كلمة واحدة قد يأتى بنتيجة عكسية للمراد من دراسة هذه الإشارات العلمية فى القرآن الكريم.

علوم الزراعة والإنتاج الغذائى:

الزراعة تشمل نوعين من الإنتاج:

هو الإنتاج النباتى ممثلا فى إنتاج المحاصيل المختلفة من حبوب وسكريات وزيوت وألياف وفاكهة وخضر وغير ذلك.

والنوع الثانى هو الإنتاج الحيوانى كاللحوم والألبان والبيض والصوف وغير ذلك، وليس هناك طريق للغذاء أو الكساء أو الدواء إلا بالزراعة الحديثة التى تشمل الشقين معا: الإنتاج النباتى والإنتاج الحيوانى. وتتعدد علوم الزراعة لتشمل علوم الحشرات والحيوان والآفات والأمراض النباتية والحيوانية، وتعرف بوقاية النبات ويدخل ضمن اختصاص هذا القسم إنتاج العسل ورعاية المناحل ودراسة منتجاتها الأخرى كما يدخل فيه إنتاج الحرير ودراسة الإنتاج وسلوك ورعاية ديدان الحرير. كما يتولى علم الإنتاج الحيوانى والألبان الكثير من المحاصيل المختلفة من حبوب وبقول وسكريات وزيوت وألبان نباتية وفاكهة وخضر وزينة ونباتات طبية وعطرية، كما يتولى قسم الأراضى والمياه دراسة نوعيات الأراضى ووسائل تحسينها وإصلاحها واستزراعها، بالإضافة إلى الدراسات التى تجرى على المياه ومعدلات ومقننات استخدامه والحفاظ عليه والاستفادة منه وغير ذلك بالإضافة إلى مجموعة علوم أخرى تخدم الزراعة إنتاجا واستهلاكا وغير ذلك كالاقتصاد الزراعى والمجتمع الريفى والإرشاد الزراعى والهندسة الزراعية والصناعات الغذائية وغير ذلك، وسوف نذكر عدة أمثلة لبعض العلوم الزراعية وما جاء عنها فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

أولا: علوم الوراثة:

تناول القرآن الكريم والسنة النبوية علوم الوراثة وقوانينها بين الأحياء بشىء من الاعجاز والسبق

العلمى، فكل يوم جديد يضيف دليلا جديدا على السبق والإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فى التوارث وقوانين الوراثة بين الأحياء والتى يمكن تلخيصها فى النقاط التالية:

١ ـ أولى حقائق علم الوراثة أذيعت منذ مائة عام بالتحديد وذكرها القرآن الكريم منذ ١٤٢٢ عاما بالتحديد أيضا، وكذلك تحدثت السنة عن الكثير من هذه الحقائق المرتبطة بقوانين الوراثة والتوارث.

٢ ـ فى مجال الاختلاف بين الكائنات الحية الحيوانية والنباتية ـ تكلم القرآن الكريم وذكر الكثير عن هذا الاختلاف وبين أسبابه ولفت الأنظار إلى ذلك.

٣ ـ فى مجال الإنسان دعا إلى تحسين النسل واختيار الزوجة وحرّم الكثير من النساء بالنسب أو الرضاع، ولقد كشف علم الوراثة الحديث أسباب هذا التحريم (التحريم بالرضاع) وأماط اللثام عن الأخطار التى قد تحدث إن لم يكن الإسلام قد شرَّع هذا التحريم.

٤ ـ والمعلوم أن قوانين الوراثة بين الأحياء ثابتة، والله وحده هو الذى يستطيع استبدالها وتغييرها فى أى وقت عن طريق ما أطلق عليه علم الوراثة الطفرة Muttation التى تحدث كل عشية أو ضحاها فى الأحياء، والجدير بالذكر أن أحداث الطفرة صناعيا ممكن لكنها كلها أى (الطفرات الصناعية) تكون مميتة وضارة ومتنحية.

٥ ـ قوانين التوارث والوراثة بين الأحياء لا يترتب عليها نتائجها ترتب السبب على المسبب إلا بإذن الله سبحانه وتعالى، وتوجد الأمثلة الكثيرة فى عالمى الأحياء (النبات ـ والحيوان) تؤكد ذلك.

٦ ـ وقف الإسلام ضد تعقيم بعض الفئات كضعاف العقول والمعتوهين وغيرهم كثير لأسباب ليست دينية فحسب بل وراثية أيضا كشف عنها علم الوراثة الحديث وسبقه بهذا الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة سبحان الله الخالق المبدع.

٧ ـ لا يحض الإسلام على زواج الأقارب شديدى القرابة ودعت السنة إلى الاغتراب فقال رسول الله ﷺ: **«اغتربوا لا تضووا»**، وثبت علميا ووراثيا أن الزواج من القرابة يؤصل الصفات الوراثية الرديئة، ويعمل على تدهور النسل وانتشار الأمراض الوراثية.

٨ ـ وفى مايو ١٩٨٥م توصل علماء يابانيون على أن تغذية الصغار فى عمر أقل من ٧٠٠ يوم على لبن مرضعة غير أمه يجعل هناك الكثير من الصفات الوراثية المشتركة بين الطفل الرضيع والسيدة المرضع، وبذلك تحقق الإعجاز والسبق العلمى حينما حرم بالرضاع ما يحرم بالنسب، وقد أمكن تعليل وبيان الحكمة من هذا التحريم الربانى.

ثانيا: علوم الحيوان:

برغم تقدم العلوم ووصول الإنسان إلى عصر الفضاء فمازال الإنسان عاجزا عن فهم نفسه وأقرب الأشياء إليه وهو عالم الحيوان أساس المأكل والملبس والدفء، لكل البشرية، فالمنتجات الحيوانية لا يحصيها عد، كما أن أضرار هذا العالم كثيرة من ناحية أخرى والإنسان يعيش فى صراع وتنافس مع هذه المخلوقات ، وفى هذه النقطة أذكر مجرد أمثلة إيضاحية لبيان الإعجاز العلمى للقرآن فى هذا المجال (علوم الحيوان).

ويعتبر الحيوان وحدة من وحدات هذا الكون الذى تشير آياته إلى وجود الله، وتؤكد وحدانيته.. ولذلك فقد اهتم القرآن الكريم بعالم الحيوان لما فيه من آيات ولما تعرضه من شاهدات.. ومن شواهد هذا الاهتمام أنه أطلق أسماء بعض أصنافه على بعض سوره الشريفة وهى:

سورة البقرة: وهى أولى سور المصحف الشريف بعد سورة الفاتحة وأطول سور القرآن الكريم.

سورة الأنعام: والأنعام هى الإبل والبقر والأغنام،

وسورة النحل، وسورة النمل، وسورة العنكبوت.

سورة العاديات، والعاديات هى جياد العدو أى الجرى وخيول القتال.

سورة الفيل: وأيضا فقد تكرر ذكر الدابة والدواب ثمانى عشرة مرة فى القرآن الكريم، وتكرر ذكر الأنعام اثنين وثلاثين مرة وبهيمة الأنعام تكررت ثلاث مرات، بل ذكرت الحيوانات بأسماء أصنافها، فذكر العجل والبقر والناقة والحمير والخنزير والخيل والكلب والنعجة، والقردة والذئب والغنم والإبل والبغال والفيل والسبع والضأن والطير والغراب والهدهد، ومن الحشرات النمل والذباب والجراد والقمل والنحل، وأيضا ذكر العنكبوت والثعبان والحية والضفادع والسمك والحوت.

ما تلقيه الدول الغنية من غذاء فائض فى البحر يكفى متطلبات الدول الفقيرة

ولا يقتصر اهتمام القرآن الكريم بعالم الحيوان على مجرد ذكر أصنافه وأنواعه.. بل أنه قد أورد أصول علوم الحيوان سابقا العلم بأربعة عشر قرنا من الزمان، ففى الوصف الظاهرى للحيوان والاعتماد عليه للوقوف على مدى سلامته أو درجة إصابته، فلقد أورد الوصف العلمى التفصيلى للمشاهدة البصرية للحيوان ممثلا فى البقرة إذ تقول آياته الشريفة: **﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين﴾ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾** البقرة: الآيات ٦٩ ـ ٧١.

وقد قررت علوم صحة الحيوان أن خير الأبقار وأفضلها ما كان مطابقا لهذه الأوصاف التى حددتها الآيات الشريفة من اللون الشديد الصفرة فى صفاء، وإن قدر الصفاء يتمثل فى قدر ما يثير اللون فى نفس الإنسان المتعة والسرور، وكذلك من قوة جسمها وعضلاتها بإثارة الغبار على الأرض من حوافرها عند سيرها وأسباب هذه القوة أنها لم تجهد فى الزراعة بالحرث أو بسقى الأرض، وأن تكون مسلمة من كل العيوب الظاهرة.

وأيضا فلقد أورد القرآن الكريم الفحص العلمى للخيول سابقا العلم بعشرات المئات من السنين إذ تقول آياته الشريفة: **﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾ إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها علىَّ فطفق مسحا بالسوق والأعناق﴾** سورة ص: الآيات ٣٠ ـ ٣٣.

وتقرر أصول علم الطب البيطرى بالنسبة لاختيار صلاحية الخيل أنه يجب أولا فحصها فحصا ظاهريا للوقوف على مدى سلامتها وصلاحيتها شكلا ومنظرا، ثم تجبر على العدو لشوط كبير على قدر الاستطاعة ومراقبتها أثناء العدو، حتى يمكن للمراقب أن يتبين مدى سلامة أجزاء الحصان لاسيما سيقانه وأرجله، وتناسقها

مع باقى أجزاء الجسم، ثم يقاس نبض الخيل بعد شوط العدو، وذلك عن طريق الشريان تحت الفكى والصدغى والكعبرى الموجود بعنق الحصان مع فحص ساقه بعد هذا المجهود، ليعرف ما وصل الحصان إليه بعد العدو، وطاقة الساق.

ومن أصول علوم الحيوان فى الوصف الظاهرى له، وما سبق القرآن الكريم العلم به، ما قرره من أن الكلب دائما يلهث، إنما يتنفس بصوت عال بفتح فمه واندلاع لسانه إلى أقصى حد إلى الخارج سواء زجرته أو تركته وذلك بالنص القرآنى الكريم: **﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾** الأعراف: آية ١٧٦.

ويصل العلم بعد أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان من قول القرآن الكريم وبعد أن استخدم الأجهزة القياسية والتحاليل الكيماوية إلى أن الكلب لا توجد له غدد عرقية إلا القليل فى باطن أقدامه مما لا تكفيه حتى تخفض درجة حرارته، إذ أن عمل الغدد العرقية بما تفرزه من عرق هو لتلطيف درجة حرارة سطح الكائن والجو المحيط به، ولذلك فإن الكلب يستعيض عن عدم وجود الغدد العرقية كغيره من الحيوانات فيحاول تخفيض حرارته عن طريق اللهث الذى يعرض فيه أكبر مساحة من فراغ الفم واللسان للهواء، ودائما ما يفعل الكلب ذلك، سواء أكان مجهدا أم مسترخيا، وقد أورد القرآن الكريم هذه الملاحظة كعلامة مميزة لحياة الكلب.

التوجيه الإسلامى للبحث العلمى

النصوص التى تحث على طلب العلم وارتياد آفاقه كثيرة جدا سواء فى القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة أو فى فعل الصحابة والخلفاء وغيرهم. وكان الرسول ﷺ يفرج عن الأسير **«إذا علم عددا معينا من الأميين المسلمين»**.

ولقد وعى المسلمون الدروس وفهموا ما يعنيه الإسلام من حثه المسلمين على التعلم والتزود بالعلم ولا يوجد قيد بطلب العلم فى الإسلام سوى شرط واحد هو أن يكون العلم نافعا خادما للبشرية ومسخرا لرفعة الإنسان وتكريم شأنه. إن الغرب بتركه هذا الشرط كل ما فعله بالعلوم «هو وضع الإنسان والبشرية فى صندوق صغير ممكن تدميره بالضغط على ذر بسيط، وهذا ظاهر فى أدوات التخريب وهدم العالم كالقنابل النووية وغيرها من أسلحة الفتك والدمار للإنسانية، وهذا ظاهر أيضا فى قضايا الساعة كانتشار الأمراض الفتاكة من السرطانات والفشل الكلوى والجنون والحمى بأنواعها المختلفة وسبب كل ذلك هو الخروج عن دائرة التوجيه الإسلامى للبحوث والدراسة والخروج عن الفطرة التى فطرها الله سبحانه وتعالى.

وكان السبب فيما نحن فيه الآن من انتشار الأمراض الفتاكة بدلا من علاجها وحصرها هو مخالفة الفطرة والخروج عن التوجيه الإسلامى كما قلت فغذاء المسلم يتحدد بعنصرين الحل والحرمة والاستساغة، أما عنصر الاستساغة فلن أقف عنده طويلا فهو يختلف من بيئة إلى بيئة، وقد حدث وقدم إلى سيدنا رسول الله ﷺ فلم يأكل منه وترك أصحابه.. فغير ذلك من قبيل عدم الاستساغة أما الحل والحرمة فهناك قاعدة عامة تقول كل حيوان عشبى لم يرد نص بتحريمه فهو حلال وإذا تلحم الحيوان العاشب حرم: معنى ذلك أن تغذية الحيوان على مسحوق الدم والأسماك والعظام يحول الحيوان العاشب إلى حيوان لاحم، وفى ظل مخالفة قوانين الله تعالى حدث ما حدث فى أوروبا حيث يدمرون مصادر قوتهم بأيديهم بعد أن كانوا يتباهون بذلك.

ما يقال عن الإسلام

حضارة العرب

فى الوقت الذى هوجمت فيه حضارة العرب والإسلام بضراوة ننشر خلاصة منصفة لما كتبه الفيلسوف الكبير جوستاف لوبون إعجابا بهذه الحضارة الزاهية.

د. محمد رجب البيومى

-١-

ظهرت بحوث شتى عن الحضارة الإسلامية، كتبها أناس يكنون للإسلام بغضا متأجج اللهيب، وقد كان جهدهم مضاعفا فى هذا الطريق، لأن الحقائق الواضحة الناطقة بفضل الإسلام على الحضارة الإنسانية ذات معالم بارزة لا تخفى على الدارس، ومحاولة إنكارها تتطلب جهدا شاقا فى التبرير والتحليل وطمس الحقائق، وهذا ما قام به نفر من ادعياء البحث تغلفهم أحقاد لا يستطيعون الخلاص من تأثيرها، وقد حاول المنصفون من البحاث شرقا وغربا أن يقروا الحق فى نصابه، فأتوا بما يدحض الباطل من آراء مخلصة كانت موضع ارتياح المحققين.

وفى هؤلاء المنصفين من لا ينتمى إلى الإسلام، بل فيهم من ينكر الأديان قاطبة، ولكن إخلاصه للبحث التاريخى دفعه إلى إنصاف الحضارة الإسلامية فكتب صحفا بيضاء تنطق بمآثر الحضارة الإسلامية حين أخرجت الناس من الظلمات إلى النور، وكان علينا أن نترجم كل ما قاله هذا النفر المخلص، وفى طليعتهم الباحث الاجتماعى الكبير «جوستاف لوبون»، فى كتابه عن حضارة العرب، فقد جلى من الحقائق الباهرة ما يعد مفخرة كبرى للحضارة الإسلامية حين حملت مشعل النور فى عالم الظلام.

وكان علينا أن نقف من هؤلاء موقف المعجب الشاكر! وطبيعى أننا لا ننتظر من باحث مادى لا يؤمن بالأديان بعامة أن يوافق ما يعتقده الموحدون فى كل شىء! وحسبه أن يتصفح آثار الغابرين، وأن يقف على أدوار التاريخ الإنسانى ليبرز فضل الحضارة العربية الإسلامية وليفتح عيونا عميا تعشى بالضوء الساطع فلا تتبين الطريق، كان علينا أن نقدر ما وصل إليه، أمثال جوستاف لوبون من الحقائق الباهرة فنعده مرجعا أصيلا فى بابه، ولكن قوما لدينا أخذوا يتربصون له فى كل ناحية ليأخذوه ببعض مالا يسلم منه باحث مهما اجتهد، وفيهم من يتلمس بعض تقريراته المختلفة مع الإسلام ليشن عليه حربا أى حرب!! والرجل قد تعرض لهجوم صارخ من أعداء الحضارة الإسلامية حين أنصف الحق وشهد بفضل الإسلام، ومن يهاجمه من أعداء هذه الحضارة منطقى مع نفسه، فهو يحاول إطفاء نور يمتد فى سطوع ليشفى أوارا يلتهب فى أحنائه، ولكن لا أعرف مدعاة الهجوم على جوستاف لوبون من

بعض المسلمين الذين يؤمنون بما أسداه الإسلام للبشرية من إسعاد!! أكانوا يتوقعون من فيلسوف فرنسى مادى أن يتقيد بكل ما يقوله المسلمون!! إن حسبهم منه أن يدرس الباحث الكبير تاريخهم درسا منصفا، وأن يهتدى إلى عظم رسالتهم الإنسانية فيسجل كل ما نفعت به البشرية من أمجاد! ولا عليهم إذا خالفوا فى بعض الحقائق، فلهم دينهم وله دين، وقد لاقى الرجل أعنف ضروب التشهير من صنائع التبشير ممن يتسترون فى ثوب الباحثين أفنكون نحن إلبا عليه مع هؤلاء!!

إننا حين نقرأ ما كتبه خصوم الحضارة الإسلامية من باحثى الغرب، نعجب كيف استطاع الغرض الحاقد أن يطمس عيونا صحيحة فيجعلها تتخبط فى دياجير الضلال! وقد يكون الرد على هؤلاء من باحث أجنبى عن الإسلام أقوى جسما، وأشد نفاذا، وهذا ما قام به الباحث الكبير جوستاف لوبون فى كتابه عن حضارة العرب، فحقه علينا أن نبذل الجهود فى تحليل آرائه، لأن منطقه الصادق ذو إقناع ملزم لمن سلم من الغرض ولقى الحقائق بقلب سليم!

لقد كان القرنان الثامن عشر والتاسع عشر مبعث شرور آثمة نضحت بها أقلام الكاتبين ضد الحضارة الإسلامية فى أوروبا حتى جعل أكثرهم أبحاثه (العلمية) شتائم قذرة توجه إلى الإسلام دون حياء، وقد ظن هؤلاء المغرضون أنهم بهذا الافتراء الصارخ سيغيرون وجه الحقيقة، ولكن الحق يجد أعوانه فى كل زمان ومكان لأنه صوت الله الذى يتلمس طريقه إلى الأسماع المخلصة فيريها الحقيقة الناصعة ويدفعها إلى إعلانها فى حرية ونزاهة، وقد صدق شوقى حين قال:

إن الذى جعل الحقيقة علقما

لم يخل من أهل الحقيقة جيلا

وإذا وجد من يتعاظمه أن يجعل بعض الباحثين كتاباتهم العلمية شتائم قذرة توجه إلى الإسلام دون حياء، فليستمع إلى ما قاله (أندريه سرفيه) فى كتابه (الإسلام ونفسية المسلم).

«لم يكن الإسلام شعلة بل مطفأة نشأ من قلب متوحش، لأمة متوحشة، فكان ولايزال عاجزا عن أن يجارى الزمن، ويساير التمدن، ولقد أثبت فى كل بقعة ارتفعت فيها أعلامه أنه وقف صخرة ناشزة فى سبيل التقدم، وأنه خنق نشوء المجتمع الإنسانى، والمدنية الإسلامية أقل من أن يعتنى بدراستها إذ هى تقليد مشوه لمدنيتى اليونان والرومان، سقط العرب على مادتها فى الكتب السريانية فاقتبسوها دون أن يعرضوا لها بما يستحق الذكر من النقد، لأن العربى قد أثبت أنه لا قابلية له على استقصاء البحث بصورة جدية، وأن لا قدرة له على إبداع شىء من عنده، ولم يتقن العرب من العلوم إلا التى لا تحتاج إلى عناء فى التفكير، أو مشقة فى البحث، وكانت سبيلها سهلة ميسورة».

فهذا باحث يؤلف كتابا كبيرا عن الإسلام، وهو يجهل من تاريخه ما يعرفه طلبة المدارس فى بلاده، فجميع جامعات العالم تدرس موجزا عن تاريخ الإسلام تعرف منه أن الحضارة الإسلامية قد مدت رواقها المضىء على العالم فى ثلاث خلافات زاهرة فى بغداد وقرطبة والقاهرة، فحين كان العباسيون والفاطميون والأمويون يحكمون أزهر حواضر العالم فى أيامهم الزاهرة كانت أوروبا تخبط فى الظلام!

فكيف وقف الإسلام إذن صخرة فى سبيل التقدم، وبأنواره استضاء الجزء المظلم من القارة الأوروبية حين سطع عليه النور من الجزء المضىء بالأندلس! وكيف أخذ العرب تراث اليونان دون أن يضيفوا إليه، وكل من كتبوا عن اليقظة الأوروبية يذكرون شروح العرب على تراث اليونان ويؤكدون أن صحوة أوروبا قد استيقظت على صوت ابن

رشد، ولسنا نبين الآن أثر الإسلام فى التقدم الحضارى للعالم، فلذلك موعده وموضعه القريبان، ولكننا نسجل أن الغرض الأعمى قد أنسى من يؤلف كتابا عن الإسلام أبسط ما يعرفه تلاميذ المرحلة الثانوية من معلومات، وأغرب مافى أمر هؤلاء المرجفين أن أحدهم يكذب الكذبة الشنيعة، ويدونها فى غير حياء، فتجد تصديقها الظاهرى لدى من يسارع إلى تسجيلها، ناسبا إياها لصاحبها! ليعلن أنه لا يتحدث عن رأيه وحده بل يستند إلى سواه من المحققين، حتى يتوالى علينا سيل من الأراجيف ينقلها خالف عن سالف، وهى فى لبابها الصميم أكاذيب لا تنهض على دليل، ولكنها تروى وتنقل من كتاب إلى كتاب.

إنك لتلمس أصداء أندريه سرفيه فى كتابات كثيرة توالت من بعده تلمسها حتى لدى من يكتبون عن الآثار بعيدا عن الحديث فى تعاليم الإسلام، فهذا العالم الأثرى «كلرمون جانو» يقول: إن المدنية العربية ليست سوى كلمة خداعة ، لا وجود لها أكثر من فظائع الفتح العربى، وأنها آخر أنوار المدنية الرومانية واليونانية أطفئت بأيد خرقاء ولكنها محترمة، هى الإسلام.

وإذا كان الرجل عالم آثار فحسب، فقد تكون دراسته بعيدة عن رصد معارك الفتح الإسلامى حين وصمها بالفظائع جهلا دون علم، ولكن ما باله وهو الأثرى المتخصص يزور أسبانيا فيجد علائم المدنية العربية فى آثارها الإسلامية الرائعة، وما باله يجد صدى هذه الآثار فيما حاكاه المقلدون فى أوروبا من نماذج معمارية تنتسب إلى الطراز الإسلامى فى الأندلس، ثم يزعم بعد العيان الواضح أن المدنية العربية كلمة خداعة، وأن آثار اليونان والرومان قد أطفئت بأيد خرقاء وجميع حقائق العيان تنطق بتكذيبه نطقا جعل نفرا من أبناء ملته يصارحونه بخطئه، ويجزمون بأنه اعتسف الطريق اعتسافا إلى الباطل حين أغمض عينيه عن دلائل الحق، فهذا صاحب كتاب (تاريخ العرب العام) «سيدليو» يعفى على هذا الهراء بقوله، ترجمة عن الأستاذ المحقق محمد كردعلى فى الجزء الأول من (الإسلام والحضارة العربية) ص١٧: «مازال الفرنج إلى الآن ينسبون إلى العرب جميع التخريب الذى يرون آثاره فى الأقطار التى أغاروا عليها وقد هوّلت الفرنج فى شأنهم مع أنهم كانوا فى جميع المواقع ذوى لطف عند الانتصار، وسبب ذلك ما رسخ فى عقول الإفرنج من الخوف والنفرة من العرب».

وهذا إجمال يحتاج إلى تفصيل، ومن محاسن الصدف أن يقوم الكاتب الاجتماعى الكبير جوستاف لوبون بهذا التفصيل الناطق بالشواهد، المؤيد بالآثار المصدق بالنصوص الملزمة، فإذا أدى الفيلسوف الاجتماعى الكبير ضريبة الحق فى بحثه المنصف عن الحضارة العربية، وأظهر من فضائلها اللامعة مالم يكن معلوما لدى الخاصة بل العامة، إذا كان جوستاف لوبون قد قام بهذا الجهد الحافل خدمة للحقيقة! فما بال نفر من نقدة المسلمين يحاول أن يطمس لألاء الساطع فيظهر ما بكتابه من بعض ما يخالف تعاليم الإسلام، وكأنه كاتب مسلم يحاسب على ما أذنب وأساء!! حسبنا من الرجل أن يكتب الحضارة فى إنصاف، فإذا خالف فى شىء فهى مخالفة متوقعة الحدوث إذ لا ينتظر من مثله أن يقول بكل ما يقوله المسلمون! وإذا كان قد جلى الحضارة الإسلامية تجلية زاهية فى كتابه فلابد أن نستمع إليه منصتين.

-٢-

ظهرت بحوث تتحدث عن انتشار الإسلام وبواعثه الأصيلة التى جعلته يمتد إلى ثلاث قارات فى أقل من قرن واحد، وقد أفاض الكاتبون فى تحليل هذه البواعث، ورجعوا إلى شخصية رسول الله وما اتصف به من سمات عالية أهلته إلى

نجاح الرسالة، وأسهبوا فى رصد مواقفه العملية فى كل مأزق، ليشرحوا أسباب نجاحه الموفق، كما رجعوا إلى مبادئ الإسلام التى دفعت ذوى العقول إلى اعتناقه، ولعل أهمها تأثيرا هو موافقته للفطرة الإنسانية بحيث ينسجم مع ميولها العاقلة ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فقد دعا الإسلام إلى محو آثار الجاهلية وإلى تجريد العمل لله وحده كيلا يسيطر على المؤمن غير خالقه، وإلى تكريمه للفضائل الخلقية وإلى قرن العلم بالعمل مع الارتكان إلى العقل الصائب، والمواءمة بين مطالب الروح ومطالب الجسد، والنهوض بالمدنية إلى أرقى مستوى فاضل، ومراعاة الحقوق الطبيعية بين الأفراد بحيث لا يجور كبير على صغير، وكل هذه العناصر أبواب واسعة تحتاج إلى كاتب بارع يفيها حقها من التبيين، وقد قام الأستاذ محمد فريد وجدى - رحمه الله - بتحليلها فى مقالات ضافية صادفت توفيق الله، وإعجاب المنصفين، ولكن بحوث الأستاذ وجدى وأمثاله من رجال الفكر الإسلامى تجد تيارا معاكسا من ذوى الغرض، فهم يصرفون عقولهم عن التفكير فى هذه المناقب الساطعة. ليتجهوا وجهة الحاقد المتعصب إذ يحاولون أن يطمسوا لألاء الحقائق بصدأ شائه يورث البلبلة والحيرة، فحين راعهم أن ينتشر الإسلام فى بقاع الأرض بهذه السرعة الواثبة لم ينظروا إلى مبادئه الراقية ومواءمته للفطرة الإنسانية، بل ذهبوا مذاهب متناقضة يوحى بها الافتيات الآثم، فبعضهم ذهب إلى أن الإسلام قد استهوى النفوس بما أباح من الملذات، وبعضهم ذهب إلى أن الإسلام قد انتشر بقوة السيف وحده، كما ذهب آخرون إلى أن فى الإسلام جبرية ذات اضطرار تفقد المسلم تصرفه فيتبع كل داع، وهذا ما دفع بالملايين إلى اعتناقه! ومثل هذه الأراجيف وجدت من يصدقها ممن لا يكلفون أنفسهم عناء البحث كما وجدت من المسلمين من كشف باطلها الزائف، وأعظم من هذا أنها وجدت من الأوروبيين أنفسهم من خلصت بحوثه للحقيقة، فتابع النظر حتى وقف على بطلان هذه المزاعم، وجوستاف لوبون أحد الأفذاذ الذين وقفوا أمام هذه المزاعم وقفات عاقلة بصيرة فكشف القناع عن بهتانها الصريح، وأيد كلامه بنقول عمن سبقه من باحثى الغرب، يقول لصاحب كتاب حضارة العرب(١):

«قضى أعداء الإسلام العجب من سرعة انتشار القرآن العظيمة، فعزوها إلى ما زعموه من تحلل محمد وبطشه، ويسهل علينا أن نثبت أن هذه المزاعم لا تقوم على أساس، لأن من يقرأ القرآن يجد فيه مافى الأديان الأخرى من الصرامة، وأن ما أباحه القرآن من تعدد الزوجات لم يكن غريبا على الشعوب المسلمة التى عرفته قبل ظهور محمد وأن هذه الشعوب لم تجد نفعا جديدا لهذا السبب.

وما قيل من دليل حول تحول محمد نقضه العلامة الفيلسوف «بيل» منذ زمن طويل فقال بعد أن أثبت أن ما أمر به النبى بالتزامه من قيود الصيام وتحريم الخمر ومبادئ الأخلاق هو أشد مما أمر به النصارى!».

يريد الفيلسوف أن يقول أن ما تدعونه من استجابة الإسلام للشهوات الراغبة باطل منقوض، لأن تعاليم الإسلام أشد صرامة فى ضوابطها الخلقية من النصرانية، فقد حرمت الخمر وألزمت المسلم بصوم أشق من صوم النصارى، ودعت إلى مبادئ خلقية تكبح جماح الرغبة، وهذا ما عناه الفيلسوف بيل حين قال:

«إن من الضلال إذن أن يعزى انتشار الإسلام السريع فى أنحاء الدنيا إلى أنه يلقى عن كاهل الإنسان ما شق من التكاليف والأعمال الصالحة، وأنه يبيح له البقاء على سئ الأخلاق، وقد دون (هوتنجر) قائمة طويلة بالأخلاق الكريمة، والآداب

الحميدة عند المسلمين، فأرى مع القصد فى مدح الإسلام أن هذه القائمة تحتوى أقصى ما يمكن أن يؤمر به إنسان من التحلى بمكارم الأخلاق، والابتعاد عن العيوب والآثام، وأن ملاذ الجنة التى وعد بها المسلمون لا تزيد على ما وعد به النصارى فى الإنجيل».

وموضع العجب من الذين يختلقون على الإسلام دعوته إلى التحلل من الأخلاق، ويعدونها سببا كبيرا فى انتشاره أن القرآن بين أيديهم، وأنهم أوسعوه بحثا وفحصا، فوقفوا على فضائله البارزة، وعلموا كيف أمر بالمثل العليا للفضائل أمرا لا هوادة فيه! ثم خالفوا ضمائرهم حين افتروا عليه الكذب! وإذا تعمد باحث أن يطمس الحقيقة، فهو دجال يتزيا بزى الباحثين، وأعجب من عجبنا الأول أن يسمعه أشياعه ممن يعرفون كذبه ثم يرددون ما قال! والقرآن بين أيديهم يرد على إفكهم الصريح.

أما القول بأن فى الإسلام جبرية تفقد المرء تصرفه إذ أن إيمانه بالقدر يجعله سلبيا لا إيجابيا إذ يعتقد أن كل شىء قد قدرت نتائجه المحتومة فسعيه هباء لا جدوى معه، هذا القول يجهل معنى القدرية فى الإسلام، إذ أن معناها أن الله قد أحاط علما بما سيكون، وليس معناها أنه سلب المرء حرية العمل، إنه دعا إلى حسن العمل، وتقدير الملابسات، والاحتكام إلى العقل فى كل تصرف حيث توضع الخطط ويرسم المنهج ليسير كل شىء فى طريقه المرسوم، فيصل الإنسان إلى النتيجة المرجوة، فإهمال النظر، وترك الأمور تضرب بها الأحوال دون هدف مقصود، لا ينتج غير البوار وتاريخ الإسلام فى انتصاراته الحربية وتفوقه الحضارى يدل على ما بعثته العقيدة الدينية من توثب ناهض نحو الكمال، ولم تخرج الأمة العربية من بداوتها الساذجة إلى حضارتها العريقة لأنها تركت أسباب العمل، وأغفلت واجب التدبير، واعتقدت أن ما قدر سيجئ دون مسعى، بل لأنها صدعت بأمر الإسلام فى إظهار الحق، ونظافة المسعى، والدعوة إلى الارتقاء الإنسانى، لتخريج البشرية من الظلمات إلى النور، أما النتائج فهى معلومة عند الله، وعلم الله إياها لا يمنع مجتهدا أن يشق الأرض ويضع البذر، ويتعهد الغراس ريا وتشذيبا حتى يؤتى أكله، وهذا ما كان حين ازدهر العمران الحضارى فى دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة، وفى كل مكان رفرفت عليه راية الإسلام.

على أن اعتقاد المسلم أن الله قد قدر له ما سيكون من أمره، لم يدفعه إلى الكسل، وإطراح الأعباء بل جعله يقتحم المهالك ويستسهل الصعاب، مستهينا بالعاصفة، فإذا كانت النتيجة انتصارا فقد بلغ مناه فى الدنيا، وادخر جزاء الله فى الآخرة، وإذا صادفته المنية فى نضاله فقد رزق الشهادة وكسب أعظم ما يدخره الله، لمجاهد بذل دمه نصرة لدين الله!! أفكان هذا الاعتقاد مبعث توار وانخذال! أم كان مبعث توثب واندفاع! لنقرأ صحف التاريخ لنعرف أن المسلمين لم يقودوا العالم إلا حين فهموا معنى القدر على حقيقته فاندفعوا لخلافة الله فى الأرض، كما نعرف أن المسلمين لم يعانوا كوارث الاستعمار إلا حين تركوا نهج السلف فى العمل الحافز، والنشاط المتحفز واحترام موهبة العقل فى تدبير الخطة، وإحكام العمل والسعى إلى الغاية فى بصيرة واعتداد.

وقد فطن العلامة جوستاف لوبون إلى أن معنى الجبرية كما جاءت بها الأديان جميعها (لا كما جاء بها الإسلام وحده)، هو معنى من التسليم الهادئ الذى يعلم به الإنسان كيف يخضع لحكم القدر من غير تبرم وملامة فهو تسليم يدل على مزاج معتدل لا تستبد به الهواجس، أو تثيره الشكوك، يقول الكاتب الكبير:

«وكتب الأديان جميعها مفعمة بالجبرية التى يسميها القدماء بالقدر، ولم يكن محمد ﷺ جبريا أكثر من مؤسسى الأديان الذين ظهروا من قبله،

بل لم يسبق محمد فى جبريته علماء الوقت الحاضر الذين يؤيدون قول القائل: (أنه إذا وجد ذكاء يعرف لوقت ما جميع قوى العالم، ومواضع ما فيه من الموجودات ويستطيع أن يحللها، ويحيط بمحركاتها فإنه لا يبقى شىء غير معين، ويصبح الماضى والمستقبل حالا فى نظره)».

ومعنى هذا القول أن العالم يسير على نظام دقيق، فلو أتيح لعقل ما أن يحيط بطريقة سير الوجود، وعرف كيف تسرى الكواكب فى أفلاكها، وكيف تتحرك الأجرام الكبيرة والصغيرة فى مجراها الطبيعى لأصبح المستقبل واضحا أمام من يعرف طريقة المسير! والمسلمون يعرفون أن الله قد أحاط بكل شىء علما، فهو إذن يعلم ما سيكون كما علم ما كان! واعتقاد المسلم ذلك لا يجعله مكتوف اليد، منزويا فى جانب هامشى حتى يحين أجله، بل يجعله يضرب فى الأرض لينال ما يبعثه العمل من ثمار! وقد كان رينان الفرنسى فى طليعة من رمى المسلمين بالكسل، خضوعا لما يفهمونه من معنى القدر، وقد توالت الردود عليه بما جعله يدرك أن مفهوم القدر الإسلامى لديه كان غير صحيح.

-٣-

ننتقل إلى دعوى انتشار الإسلام بالسيف، وهى دعوى يعرف الهاتفون بها أنفسهم أنها مكذوبة داحضة لأن الذين يدونونها فى كتبهم هم أساتذة التبشير فى أوروبا، وعمال وزارات المستعمرات من قبل، وهؤلاء يعرفون قبل غيرهم كيف كان انتشار الإسلام فى افريقيا وآسيا، ولهم كتب خاصة تسجل كيف قاموا فى الحبشة بمحاولة تنصير المسلمين دون جدوى فأغلقوا مدارس القرآن، وصادروا أملاك المسلمين، ودفعوا بالعلماء إلى السجون، وفى أريتريا، وزنجبار، وتنجانيقا، وتنزانيا أخذ أشياع الاستعمار يشجعون النصرانية فى معاقل الإسلام، فغيروا أسماء البلاد الإسلامية إلى أسماء أجنبية ليقطعوا الصلة بين الأفريقيين والعرب المسلمين فإذا بحثت عن جهود التبشير الأوروبى فى مالى، والسنغال، ونيجيريا وغينيا، والكاميرون، وساحل العاج، وداهومى، والغابون رأيت أهوالا قاساها المسلمون ليخرجوا عن دينهم الذى تلقوا هدايته على أيدى التجار من المسلمين، دون أن تكون هناك حروب يتكلم فيها السيف كما يزعمون! ومع هذه الأهوال ثبت المسلمون على دينهم، وازداد مد الإسلام يوما بعد يوم، وما يقال عن الأفارقة يقال فى بلاد آسيا التى اعتزت بالإسلام كأندونيسيا، وماليزيا، وبرونى، والهند، وأفغانستان - كان الله لها فى محنتها القاسية - فكيف يقال إن الإسلام ينتشر فى ربوعه بالسيف!! ومروجو هذا الإفك هم أتباع وزارات الاستعمار، وقد بذلوا الجهود لمحاربة المسلمين العزل، فما زادهم الاضطهاد غير ثبات ورسوخ!

فإذا تركنا هذا العصر إلى العهود الأولى منذ بزغ نور الإسلام، نرى أن نبى الدعوة الإسلامية لم يكن حين صدع بأمر ربه حاكما ذا جيش نافذ الأمر، ولكنه دعا إلى الله وحيدا لا يملك غير البرهان العقلى فآزرته قلة قليلة بمكة صبرت على الاضطهاد، ولاقى المستضعفون منهم بلايا التعذيب وفيهم من قتل ومن هاجر! حتى فر المسلمون إلى المدينة لا ليأمنوا على أنفسهم بعيدا عن أذى المشركين بل ليصادفوا تجمع المشركين واليهود والمنافقين على استئصال الإسلام! ولولا أن الله متم نوره ولو كره الكافرون، ما جاء نصر الله والفتح المبين، وحين تقدمت الجيوش الإسلامية إلى بلاد فارس والروم والأسبان لم تتقدم لتكره الناس على الإسلام، فلا إكراه فى الدين، بعد أن تبين الرشد من الغى، ولكن الجيوش الزاحفة خيرت أصحاب البلاد بين الإسلام وبين ضريبة الدفاع يبذلها من لم يرد دين الله، ليجد من يحميه من الأعداء حين الهول، وقد وازن أهل

البلاد بين اعتقاد واعتقاد، وأخلاق وأخلاق، فارتضوا وجهة الإسلام عن محبة! ولن نستشهد بأقوال مؤرخى الإسلام، ولكننا ننقل عن المنصفين من مفكرى الأوروبيين ممن عرفوا وجه الحقيقة فكشفوا عنها اللثام.

لقد عقد جوستاف لوبون بابا فى كتابه عن حضارة العرب قال فيه: إن القوة لم تكن عاملا فى انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحرارا فى أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض النصارى الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين ولما كان عليه الإسلام من السهولة التى لم يعرفها العرب من قبل.

وقد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة، فلما قهر النصارى عرب المسلمين فى الأندلس (وغير العرب أيضا) فضل هؤلاء القتل والطرد عن آخرهم على ترك الإسلام.

لم ينتشر القرآن بالسيف إذن، بل انتشر بالدعوة الإسلامية وحدها وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التى قهرت العرب مؤخرا كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار فى الهند، التى لم يكن العرب فيها غير عابرى سبيل، مازاد معه عدد المسلمين على خمسين مليون نفس كان ذلك فى منتصف القرن التاسع عشر ويزيد عدد المسلمين يوما بعد يوم، مع أن الانجليز ـ حينئذ ـ يجهزون البعثات التبشيرية ويرسلونها تباعا إلى آسيا لتنصير المسلمين على غير جدوى، ولم يكن الإسلام أقل انتشارا فى الصين التى لم يفتح العرب أى جزء منها قط.

ورجع جوستاف لوبون فى تعليل انتشار الإسلام إلى سهولة مبادئه، ولاسيما فى التوحيد المطلق الذى هو أصل أساسى من أصول الإسلام، فالإسلام بهذا التوحيد يقدم العقيدة السهلة إذ خلا مما نراه فى الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم من المتناقضات والغوامض، فلا شىء أكثر وضوحا وأقل غموضا من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد، وبمساواة جميع الناس أمام الله عز وجل، وببضعة فروض يدخل الجنة من يقوم بها، ويدخل النار من يعرض عنها، فإنك لو اجتمعت بأى مسلم من أى طبقة رأيته يعرف ما يجب عليه أن يعتقد، فيسرد لك أصول الإسلام فى بضع كلمات سهلة، وهو بذلك عكس النصرانى الذى لا يستطيع حديثا عن التثليث والاستحالة وما ماثلها من الغوامض من غير أن يكون من علماء اللاهوت الواقفين على دقائق الجدل.

وبلغ الفيلسوف الفرنسى الكبير مقطع الصواب حين قال:

«وساعد وضوح الإسلام البالغ وما أمر به من العدل والإحسان كل المساعدة على انتشاره فى العالم ونفسر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام، كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطينية فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام، كما نفسر السبب فى عدم تنصر أية أمة بعد أن رضيت بالإسلام دينا، سواء كانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة».

وإذا كان الذين يدعون أن الإسلام قد انتشر بالسيف يجعلون القوة وحدها سبب خلود الإسلام، فإن ما عرف من غزوات قام بها غير المسلمين من أمثال جنكيزخان والإسكندر لم يكتب لنتائجه البقاء أمدا طويلا، إذ خلا من كل هدف إنسانى يجمع حوله القلوب، أما الفتح الإسلامى فقد ضمن بقاءه الأدبى لما يحمل من معان إنسانية حاول الخصوم أن يسدلوا عليها الغشاء فلم يستطيعوا، وجاء من غير المسلمين من جابههم بالحقائق الصارخة التى تتجلى فى مثل قول العلامة جوستاف لوبون:

«لم تقل براعة الخلفاء الأولين السياسية عن

براعتهم الحربية التى اكتسبوها على عجل، لقد كانت الطريق التى يجب عليهم أن يسلكوها واضحة، فعرفوا كيف يحجمون عن حمل أحد بالقوة على ترك دينه، وعرفوا كيف يبتعدون عن أعمال السيف فيمن لم يسلم، وأعلنوا فى كل مكان أنهم يحترمون عقائد الشعوب وعرفها وعاداتها، مكتفين بأخذهم فى مقابل حمايتها جزية زهيدة تقل عما كانت تدفعها - هذه الأمم - إلى ساداتها السابقين من الضرائب».

كان العرب قبل أن يسعوا إلى فتح بلد، يرسلون رسلا حاملين إليه شروطا للوفاق، وتكاد هذه الشروط تكون مماثلة للشروط التى عرضها عمرو ابن العاص على أهالى غزة حين حصاره لها فى السنة السابعة عشرة من الهجرة، وللشروط التى عرضت على المصريين وأهل فارس، وتلك الشروط التى عرضها ابن العاص هى كما رواها المؤرخ الغربى المكين، ما يأتى:

«أمرنا صاحبنا أن نقاتلكم إلى أن تكونوا فى ديننا، فتكونوا أخوتنا، ويلزمكم ما يلزمنا، فلا نتعرض إليكم، فإن أبيتم أعطيتم الجزية فى كل عام أبدا ما بقينا وما بقيتم ونقاتل عنكم من ناوأكم، إن تعرض إليكم بوجه من الوجوه ويكون لكم عهد علينا فإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا بالسيف فنقاتلكم حتى تفيئوا إلى أمر الله».

ويعرض المؤرخ لمواقف تاريخية تدل على تسامح الفاتحين الإنسانى ليختم هذا الباب الحافل بقوله:

«ظهر مما تقدم أن العرب احترموا منذ دور الفتح الأول الأمم أثار التى ملكوها، ولم يفكروا فى غير الانتفاع بحضارتها وترقيتها، وذلك خلافا لكثير من الأمم الفاتحة التى جاءت بعدهم وأن العرب الذين كانوا أميين فى بدء الأمر لم يلبثوا أن فاقوا أساتذتهم، وأن تعلموا بسرعة ما كانوا يجهلون من فنون الحرب، واستعمال آلات الحصار الرومية فسبقوا أعداءهم فى ذلك، وأنهم بعد أن كانوا مبتدئين فى العلوم والفنون ماثلوا الأمم الأخرى فيها بفضل ما أنشأوا من المدارس ثم تقدموا هذه الأمم.

وكان من الممكن أن تعمى فتوح العرب أبصارهم، وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة، ويسيئوا معاملة المغلوبين، ويكرهوهم على اعتناق دينه، ولو فعلوا ذلك لتألبت عليهم جميع الأمم التى كانت غير خاضعة لهم بعد، ولأصابتهم مثل ما أصاب الصليبيين فى بلاد سوريا مؤخرا، ولكن العرب اجتنبوا ذلك، وأدركوا أن النظم والأديان ليست مما يفرض قسرا فعاملوا أهل سوريا ومصر واسبانيا، وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ومعتقداتهم غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة، فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ولا دينا مثل دينهم».

لقد أكثرنا النقل عن جوستاف لوبون لا لأن ما قاله مجهول غير معلوم، بل لأن نفرا من ذيول الغربيين يشيحون عن كل ما يقوله أبناء العرب، ويدعون أنه من قبيل الحماسة الخطابية، وإن سار على منهج صحيح، فإلى هؤلاء نتقدم إليهم بأن يقرءوا كتاب حضارة العرب لجوستاف لوبون لأن الرجل ممن لا يعقل أن يتعصب للعرب فيكيل لهم المدائح دون دليل، وله نظراء كبار جعلوا الحق وجهتهم فيما يكتبون، ولا أنسى أن أذكر أنى اعتمدت على الترجمة الأمينة التى خطها الكاتب العربى الكبير الأستاذ عادل زعيتر فأسدى لأبناء دينه ما أسداه للحقيقة الناصعة من يد لا تجحد، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه أحسن ما يجزى به كل مثابر أمين.

الهوامش:

١ - حضارة العرب ص١٢٧ ترجمة الأستاذ عادل زعيتر.

نحن والحضارة الغربية
تشخيص المرض وسبل العلاج

سبق وأن بينا مفهوم العلاقات الحضارية من وجهة نظر غربية مبنية على التراث الدينى اليهودى من جانب، ووجهة نظر إسلامية من جانب آخر، الأولى تراها صداما ينتهى ببقاء طرف وزوال آخر، والثانية تراها تنافسا يفضى إلى صلاح البشرية وخيرها ونمائها.

وفيما يتعلق بالموقف الإسلامى المعاصر من الحضارة الغربية المسيحية اليهودية، ينبغى علينا أن نوضح بعض القضايا على ضوء الواقع الذى نعيشه فى عالمنا.

أولا: الحكم والسيادة والغلبة نوعان: معنوى خلقى ومادى سياسى. النوع الأول تتقدم فيه أمة من الأمم فكريا وعلميا إلى درجة تجعل سائر الأمم تؤمن بأفكارها حيث تستولى على مشاعرها وتنطبع العقليات بطابعها، فتكون الحضارة حضارتها، والعلوم علومها، والحق هو ما عندها حق، والباطل هو ما تراه باطلا.

أ.د/ محمد جلاء إدريس

والنوع الثانى هو أن تصبح أمة من الأمم من شدة البأس والقوة المادية بحيث يتلاشى استقلال سائر الأمم أمامها، فتستبد هذه الأمة بوسائل الثروة عند تلك الأمم وتسيطر على شئونها بشكل تام أحيانا، وإلى حد ما فى أحيان أخرى.

ثانيا: لقد جابهت حضارة الغرب أمما ذات أنواع ثلاثة: أمم لم تكن لها حضارة مستقلة بها، وأمم كانت لها حضارة خاصة بها، لكنها لم تكن من القوة بحيث تحافظ على خصائصها تجاه حضارة أقوى منها، وأمم ثالثة لم تكن حضارتها بذات اختلاف فى مبادئها كثيرا عن هذه الحضارة الغربية الطارئة.

هذه الأمم بأنواعها، ذابت بسهولة فى الحضارة الغربية وخلعت رداء خصوصيتها لتسلمه طواعية دون صدام أو صراع لأتباع هذه الحضارة.

لكن الأمة الإسلامية قد اختلفت عن تلك الأمم حيث حملت حضارة مستقلة ذات دستور مكتمل واضح شامل لجميع مناحى الحياة الإنسانية فكريا وعمليا، هذا الاختلاف كان كليا تجاه الحضارة الغربية، ومن هنا جاءت المواجهة بين الحضارتين.

ثالثا: من الأهمية بمكان أن نشير إلى أسس الحضارة الغربية التى تتحصر فى عاملين رئيسين هما: العلوم التجريبية، والفلسفة، وما يعنينا هنا هو الجانب الفلسفى الذى يمكن تحديد هويته بصراع بين دعاة حرية الفكر والزعماء الدينيين تمثل فى نظريات ديكارت، وهوبز ،وسبينوزا، ولوك، وطولند، وهارتلى، وبريستلى، وفولتير، ولامترى، وهولباخ، ومونتسيكو، وروسو ،وهيوم، حيث انتهوا جميعا إلى محطة المادية والإلحاد التى بلغت منتهاها فى القرن التاسع عشر على أيدى فوغت، وبوخنر، وزولى، وكومت، ومل، وسبنسر، ودارون.

رابعا: احتك الإسلام بحضارات سابقة على الحضارة الغربية: كالرومية، والفارسية، والهندية، والصينية، فى وقت تمكن فيه الإسلام من القوى الفكرية والعلمية لمتبعيه، بحيث سادت الغلبة بنوعيها: الروحى والمادى للأمة الإسلامية، وانعكست تلك الغلبة فى تلك الثورات الفكرية والعلمية والأخلاقية والسلوكية لدى الأمم الأخرى، وإن لم تمنع هذه السيادة المسلمين من التأثر بالآخر والأخذ عنه دون خوف أو وجل، وذلك لحصانة جهاز المناعة الحضارى الإسلامى.

خامسا: الاحتكاك الإسلامى المعاصر بالحضارة الغربية الحديثة اختلفت أرضيته وملابساته، فالمسلمون اليوم غير مسلمى الأمس: فكريا، وعقديا، وماديا، وهذه حقيقة لا مراء فيها، فما من دولة إسلامية تطبق الإسلام بمفهومه المتكامل كمنهج حياة تطبيقا صحيحا على نحو ما طبقه الأولون، مع الأخذ بعين الاعتبار المتغيرات التى لم تواجه هؤلاء الأولين، ومن ثم أصبح الاحتكاك المعاصر حقيقة ليس بين الإسلام والحضارة الغربية، إنما احتكاك بين قوتين غير متكافئتين على الإطلاق، كانت نتائجه على النحو الذى نراه ونعايشه ونكابده فى الوقت الراهن.

والسؤال هنا: ماذا يمكن للأمة الإسلامية أن تقدمه فى ظل هذا الوضع ـ غير المتكافئ حضاريا ـ للإنسانية؟!

نحاول فى هذه السطور تقديم إجابات نراها ذات أهمية بالغة، تأتى من اتجاهات شتى عربية، وأعجمية، إسلامية ومسيحية.

يقول الأستاذ رشدى فكار: «لن نستطيع أن نقدم للعالم طائرات أسرع، ولا طرقا أنعم، ولا سيارات أجود، ولا صناعة أفضل، لكن بإمكان الإسلام أن يقول: سأعطيكم إنسانا أكثر توازنا واعتدالا، أكثر برا وإحسانا، إنسانا يرتبط بمبادئه، يهاب ويخشى خالقه، إنسانا يحترم الإنسان، ويعمل لإسعاده، لا الارتقاء بناطحات السحاب، واستنزاف الخيرات فى إطار من التحايل والمكر والدهاء والكيد.

لقد وضع المفكر رشدى فكار اللبنة الناقصة فى صرح الحضارة الغربية، إنها الإنسان المتوازن، وهو ما عجزت هذه الحضارة عن تقديمه حتى الآن، وهو ما يمكن للحضارة الإسلامية أن تقدمه، فالمطلوب حقا هو «إنسان تتوازن أشواقه الروحية، ونزعته العقلية، وعواطفه وغرائزه، مع توجهاته الدنيوية، وأشواقه الروحية، وتتصالح هذه التوجهات ولا تتحارب».

أما مالك بن نبى فيرى أن «لكل حضارة منتجاتها التى تتولد عنها، ولكن لا يمكن صنع حضارة بمجرد تبنى منتجات حضارة ما. فشراء ما تنتجه الحضارة الغربية، من قبل كافة دول العالم، لم يجعلها تكسب حضارة أو قيما، إذ الحضارة ليست تكديس منتجات، بل هى فكر ومثل وقيم، لابد من كسبها أو إنتاجها».

لقد قدمت لنا الحضارة الغربية كافة المنتجات التى يحتاجها الإنسان فى حياته، لكنها عجزت عن أن تقدم لنا الفكر والمثل والقيم التى بها تستخدم هذه المنتجات استخداما ينتهى بصلاح البشرية لا بدمارها.

ويقدم لنا المفكر المصرى المسيحى الدكتور رفيق حبيب وصفا للواقع الحضارى الذى نعيشه، وكيف أصبح مثقفو الأمة وكلاء للغرب، ينقلون ولا يبدعون، هناك عملية خطيرة يقوم بها هؤلاء الوكلاء تتمثل فى رأيه فى فرض قيم وطرد قيم. فرض قيم مخالفة للأمة، وزرع قيم أخرى لتصبح مع مرور الزمن قيما ثابتة. هذه القيم ـ كما يؤكد الشاهد التاريخى ـ غير محققة للتقدم والازدهار فى أوطاننا، وإن كانت محققة لهما فى أوطان أخرى.

إذن، خلاصة رأى الدكتور رفيق حبيب تتمثل فى أن نقدم للإنسانية جمعاء، قيما نكون نحن أول المتمسكين بها، إن أردنا الحفاظ على تقدمنا وازدهارنا.

ويرى سيد قطب أن الأمة الإسلامية لا تملك أن تقدم للبشرية تفوقا خارقا فى الإبداع المادى،

إذ العبقرية الأوروبية قد سبقتها فى هذا المضمار سبقا واسعا وليس من المنتظر ـ خلال قرون على الأقل ـ التفوق المادى عليها، فلابد من مؤهل آخر، مؤهل تعتقده هذه الحضارة لقيادة البشرية، ولن يكون هذا المؤهل سوى العقيدة والمنهج الذى يسمح للبشرية أن تحتفظ بنتاج عبقريتها المادية، تحت إشراف العقيدة والمنهج، وهو يؤكد فى نفس الوقت على ضرورة عدم إهمال الإبداع المادى، بل يرى أن من الواجب علينا أن نجتهد فيه.

ويفتح المستشرق الفرنسى جاك بيرك الطريق أمامنا للنجاة من حصار الحضارة الأوروبية، حين يؤكد على أن النموذج الحضارى الغربى ليس بضرورى ولا حتمى، بل يؤدى فى أحيان كثيرة إلى أنواع من الفشل والقلق والتمرد، وكأنه يقول لنا: قدموا ما عندكم، لأنفسكم ولغيركم، ليكون بديلا عن هذه الحضارة الغربية.

أما المفكر السورى برهان غليون فيرى بطلان الزعم القائل بأننا لو أخذنا نفس مبادئ الأوروبيين لتقدمنا، لأننا بهذا الاعتقاد نلغى التاريخ والعلاقات التاريخية بيننا وبين الغرب، بل نلغى كل صيرورة المسلسل التاريخى والاجتماعى الذى أدى فى أوروبا إلى ظهور الثورة الصناعية والثورة السياسية.

ويضرب برهان غليون على وتر حساس، وتر التمسك بالتراث ونبذ الحاضر أو العكس، ويرى ضرورة إحياء تراث الأمة مع الإيمان بأن ذلك وحده لا يحفظ للأمة استقلالها وحريتها ونجاعتها التاريخية: «إن مصير الأمم مرهون بمقدرتها على أن تجعل من تراثها ـ أى من ثمرة أجيالها الماضية وتراكماتها ـ رأس مال قابلا للتوظيف فى عمليات التجديد والتحضر الكبرى»، ولا يفوته أن ينبه على بطلان الاعتقاد بأن عدم استيعاب مجتمعنا للحضارة الحديثة إنما يرجع لثقافتنا وتراثنا التقليديين، ويرى أن تطبيق بلادنا للقوانين الليبرالية الغربية لن يحقق لنا بالضرورة صناعة حديثة، إن غليون لا يرفض التحديث، لكنه يرى ربطه بمعيار واضح: اجتماعى وقيمى وأخلاقى، ويحذر من تماثل البنيات الثقافية العربية مع الغربية ومحاكاتها، لأنها لو فعلت ذلك لأصبحت أقل قدرة على إدراك خصوصيات مجتمعها، ولفقدت بالتالى قدراتها الإبداعية ومبرر وجودها.

وأخيرا: يوجز لنا المفكر الهندى المسلم أبوالأعلى المودودى موقفنا ـ من وجهة نظره ـ تجاه الحضارة الغربية فى ضرورة تفهم مبادئ تلك الحضارة الطارئة، والتفقه فى العلوم التى نهضت على أساسها هذه الحضارة، واستعمال قوة التفكير والاجتهاد لدى المسلمين، فيأخذون من الغرب تلك الاكتشافات والمناهج العلمية التى تقدمت بفضلها الأمم الغربية، ويركبون تلك الأجزاء الحديثة فى مكان النظام التعليمى والحياة الدينية عند المسلمين ضمن مبادئ الإسلام بصورة تتلافى فيها الخسارة العظيمة التى قد تنالهم من الجمود المستمر على القرون وتجعل الركب الإسلامى يتماشى مع الزمن الحديث.

لقد وضع المودودى أصبعه على مكان الضعف فى واقع المسلمين المعاصر، والمتمثل فى غياب روح الإسلام الحقيقية عن المسلمين، وغياب قوة الاجتهاد والتفقه فى الدين، والحكمة النظرية والعملية، والقوة على العمل، وسريان داء التقليد الجامد الأعمى للسلف.

هذا تشخيص للمرض الذى تعانى منه الأمة الإسلامية فى العصر الراهن، شارك فيه «كونسولتو» من الأطباء النبهاء، وهذه هى وصفة «روشتة» العلاج التى نراها أنجع علاج يمكن أن يقدم لمريض تداعت عليه الأمراض، وتكالبت عليه الأمم، حتى يصح ويعود إلى حلبة التنافس الحضارى، ليثبت للبشرية جمعاء أن الحضارات تتنافس وتتدافع،والبقاء دائما كما أقول للأصلح، لا للأقوى.

الدعوة والدعاة

- الثقافة الدينية حماية للفرد وأمن للمجتمع
- ضرورة الإعجاز الكونى فى الدعوة الإسلامية
- لا دين لمن لا أمانة له
- ياقومنا أجيبوا داعى الله
- شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام

الثقافة الدينية حماية للفرد وأمن للمجتمع

تتلاطم الأمواج الفكرية فى كل ركن من أركان المعمورة، إذ لم تعد هناك حدود تمنع انتقال المعلومات من قطر إلى آخر، فالسموات مفتوحة، وشبكات نقل المعلومات متاحة فى كل مكان، وعليه فلن يستطيع أحد أن يحافظ على هويته وثقافته، إلا بقدرته على إثبات ذاته وسط هذا الكم الهائل من العلوم والمعارف، ولا يمكنه البقاء فى ظل هذه الأحداث المتسارعة فى عالمنا المعاصر إلا إذا كانت لديه إمكانات ذاتية تساعده على مواجهة هذا التدفق المعلوماتى، وتسهل له التعامل بحكمة مع كل ما يرد إليه من كل حدب وصوب. بعضه إيجابى ينبغى علينا قبوله إن وافق معتقداتنا وتقاليدنا، أو تعديله إن كان فيه ما يخالف طبيعة حياتنا، أو رده إن هدد سلامة مجتمعنا.

أ.د. محمد شامة

وقد عبر ابن رشد عن ذلك بقوله: «ننظر فى الذى قالوه من ذلك وأثبتوه فى كتبهم (وبالتعبير المعاصر: فى الذى بثوه فى وسائل إعلامهم، وسطروه فى شبكات الاتصال المختلفة)، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم، وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه، وحذرنا منه، وعذرناهم.. فالحكمة صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة، وهما المصطحبتان بالطبع، المتحابتان بالجوهر.» فما تأتى به السموات المفتوحة، وما يرسل إلينا عبر قنوات «الإنترنت» وغيرها، لا نقبله بغثه وسمينه، بل ننتقى منه ما ينفعنا، وننتقد ونرد ما يضرنا، فإن لم نفعل ذلك فسوف تهتز المسلمات التى تقوم عليها حياتنا، ويتشابك الغث مع السمين فى عالم الأفكار، فيتسرب الشك إلى عقول شبابنا، وتلك هى الطامة الكبرى.

فما هو منهج التعامل مع الثقافات الواردة؟.. هل نحول بينها وبين وصولها إلى شبابنا؟ ذلك أمر مستحيل!! هل نركز جهودنا على تحذير الشباب من الاتصال بهذه الثقافات؟ لا ينبغى ذلك، فهذا أسلوب وعظى، لا تلتفت إليه الغالبية العظمى من الشباب!!

إن الأسلوب الأمثل للحفاظ على هويتنا وثقافتنا ـ وتنمية هذه الثقافة أيضا ـ حتى لا نتخلف عن ركب الحضارة هو تسليح الشباب ضد كل ماهو سلبى وضار فى هذه الثقافات الواردة، وذلك لا يكون إلا بالعناية بما يدرس لأبنائنا وبناتنا فى الجامعات، وعلى الأخص ما يتعلق منها بالعلوم الإنسانية، إذ هى التى تكون شخصية الطالب، بحيث يكون قادرا على التعامل مع الآخرين، وفهم ثقافتهم على أساس علمى صحيح، كما أنها تحصنه ضد التيارات الفكرية الهدامة، فتؤهله لفهمها فهما دقيقا، ومواجهتها بمنهج علمى سليم.

ولتحقيق هذا الهدف ينبغى أن تقوم عملية تطوير المناهج الدراسية على أساس علمى بعيد عن الهوى الشخصى والمصالح الذاتية، فعملية تطوير المناهج متعددة الجوانب؛ فهى دينية قبل كل شىء، فينبغى أن تراعى فيها مبادئ الدين وتعاليمه بأسلوب عصرى ميسر، وهى اجتماعية، ينبغى أن يراعى فيها تحقيق أهداف المجتمع الإسلامى عامة

والعربى خاصة، والمتطلبات القطرية على وجه أخص. وهى تربوية تهدف إلى تربية النشء بأسلوب علمى، يوصل إلى استقامة الفرد على السلوك الذى يتفق مع منهج القرآن الكريم قولا وعملا. فإذا تحققت هذه العناصر فى المنهج، فسوف يتخرج من جامعاتنا أفراد قادرون على الفهم والتحليل والتعامل مع الثقافات الأخرى بعقل واع مدرك لما يدور حوله من متغيرات، وله من الإمكانات ما يؤهله لانتقاء ما ينفعه، وإضافة عناصر جديدة من خلقه وإبداعه، تكون صالحة لتطوير أساليب الحياة، بما يدفع حركة المجتمع إلى التقدم والرقى.

قصور وعجز

ينبغى أن يشتمل المنهج الدراسى الجامعى فى أى مجال من مجالات العلوم على:

١ ـ تكوين المهارات للبحث عن المعلومة.

٢ ـ تدريب الطالب على استخدام العقل فيما يعرض عليه من نظريات وأحكام.

٣ ـ غرس الروح العلمية عند الطالب، وذلك بتعويده على عدم التسليم بكل ما يقال له، إلا بعد فحصه ومناقشته، للتأكد من عدم مصادمته للقضايا التى أثبتت التجارب صحتها، وعدم معارضته لما تعارف الناس عليه، واستقر فى وجدان المجتمع من مبادئ أخلاقية، وأحكام دينية، ومسلمات اجتماعية.

٤ ـ تعويد الطالب على طرح أسئلة استفهامية واستنكارية حول ما يسمعه، أو يتلقاه فى مدرج الدراسة.

٥ ـ غرس مبدأ احترام الرأى الآخر، ومناقشته بأسلوب مهذب، والتسليم بوجود آراء متعددة على الساحة الفكرية فى المسألة الواحدة، لأن ذلك من طبيعة الوجود الإنسانى.

٦ ـ تنقية المفاهيم من الخرافات والأساطير المسيطرة على عقول كثير من الطلاب، لتهيئتهم للدخول إلى عصر المعلومات المؤيدة بالتجربة والبراهين العقلية.

٧ ـ تنشيط ظاهرة التبادل بين الطالب والأستاذ، بمعنى أنه لا ينبغى أن تكون العملية التعليمية إلقاء من الأستاذ وتلقيا من الطالب، بل لابد أن يكون هناك أخذ ورد بينهما، ليكون الأمر كما عبر عنه أحد المفكرين بقوله: ليست عملية التعليم فى مدرج الجامعة شارعا ذا اتجاه واحد، بل هى طريق ذو اتجاهين، بين الطالب والأستاذ، على الأقل فى جزء مناسب من زمن المحاضرة.

٨ ـ لابد أن يراعى فى وضع المنهج الإلمام بكل أساسيات المادة، دون الدخول فى التفصيلات والتفريعات التى يمكن أن يحصلها الطالب بنفسه لو روعيت العناصر السابقة فى وضع المنهج. وعليه فلا يجوز تحديد كتاب معين يحفظه الطالب للامتحان، بل يطرح الأستاذ نقاطا أساسية فى المادة ويشرحها ويناقشها مع الطلاب مع ذكر المرجع لكل نقطة وردت فى المحاضرة، وبذلك يؤهل الطالب لبحث أى جانب من جوانب المادة وتحليله ومناقشته، بل قد يصل الأمر إلى إضافة الجديد إليه بما له من مهارات اكتسبها من منهج دراسى اشتمل على هذه العناصر السابقة.

فإذا نظرنا إلى المنهج الحالى فى جامعاتنا، باحثين عن وجود هذه العناصر، ارتد إلينا البصر حسيرا؛ لأنه لم يجد فيه أى عنصر من هذه العناصر، وإن وجد عنصر ما فى بعض المواقع ـ وذلك نادر ـ فذلك راجع إلى قدرة الأستاذ وأسلوبه فى التدريس، وليس راجعا إلى المنهج.

فالمنهج الحالى لا يشتمل إلا على حشو وتفريعات لا طائل من ورائها، فليس فيه تكوين مهارات للبحث عن المعلومة ولا يمكن أن يكون طالبا تكوينا علميا بحيث يكون قادرا على فهم النصوص وتحليلها ومقارنتها، فهو يركز على الحفظ ـ وغالبا ما يكون بدون وعى ـ وتفريغ ما حفظ على ورقة الإجابة، فمن لديه ملكة الحفظ نال درجة أعلى من غيره الذى لا يتمتع بهذه الملكة، وإنما وهبه الله عقلا

واعيا يستطيع أن يفهم ويحلل ويقارن، ولكن للأسف لا يعطيه المنهج فرصة استخدام هذه الموهبة، فتتفوق عليه آلة التسجيل، أقصد من يحفظ ويفرغ ما حفظ لأنه مثل آلة التسجيل: تُسَجِّل ثم تبث ما سُجِّل.

وذلك قصور فى المنهج، وعجز عن تحقيق ما يطلب من منهج دراسى فى جامعة فى القرن الواحد والعشرين!

وقاية وأمن

بعد أن ذكرنا الأسس التى ينبغى أن يشتمل عليها منهج الدراسة فى الجامعات لأى مادة من المواد الدراسية، مهما كانت طبيعتها وموضوعها، نعرض الآن لما يجب أن يكون عليه منهج الدراسة فى فرع من فروع المواد الإنسانية، ألا وهو: الثقافة الدينية، آثرت أن يكون العنوان الثقافة الدينية، وليس الثقافة الإسلامية، ليندرج تحته كل الدارسين على اختلاف أديانهم وعقائدهم، فالثقافة الدينية، أيا كان الدين، وعلى أى وضع كانت العقيدة، جزء أساسى من بناء الهوية الثقافية، بل هى الجانب الأهم فى تكوين شخصية الطالب دينيا بحيث يكون قادرا على التعامل مع الآخر، ومحصنا ضد التيارات الهدامة على نحو يؤهله لفهمها فهما دقيقا، ومواجهتها بمنهج علمى سليم، قوامه - فى مجال الثقافة الإسلامية - القرآن الكريم، وما أجمعت الأمة على صحته من حديث رسول الله ﷺ فى إطار عقلى مقبول وأسلوب منطقى مفهوم.

وتقوم فلسفة مادة الثقافة الإسلامية على إعداد الطالب علميا ليصبح مؤهلا لمواجهة الأحداث التى تتسارع فى عالمنا المعاصر، والتعامل بحكمة وعقلانية مع المعلومات التى تتدفق من كل حدب وصوب، بحيث ينتقى منها النافع له ولمجتمعه، حتى لا تهتز المسلمات ويتسرب الشك فى هويته من جراء ما تثيره هذه المعلومات فى نفسه، مما يشيع الاضطراب فى المجتمع، فالطالب الذى تكونت عقليته على أساس صحيح فى مجال الثقافة الدينية، يصبح مؤهلا لمعالجة الأمراض الاجتماعية، حيث يعمل على تقويم السلوك، وسد الثغرات أمام الدعوات المضللة التى تحاول التغلغل فى المجتمع الإسلامى، بغية السيطرة عليه، لمحو هويته الدينية، وفى الوقت نفسه يتسم مثل هذا الطالب بالاعتدال فى إقامة الشعائر، متجنبا الغلو والتطرف، رافضا العنف والتشدد، فيستقيم سلوك الفرد، ويعم الانسجام بين الطبقات، وترفرف راية الأمن والأمان على المجتمع.

ولهذا ينبغى أن يراعى عند وضع المنهج الدراسى للثقافة الدينية ما يلى:

١ - تنمية الروح الدينية عند الطالب، سواء كان من جانب الاعتقاد بخالق للكون، أو من ناحية أن الدين - وخاصة الدين الإسلامى - يحث على البحث فى الكون، واستكشاف أسراره، وتسخير ما فيه لصالح الحياة الإنسانية.

٢ - تقويم السلوك، وذلك بالنص فى المنهج على القيم والمبادئ التى تدعو الإنسان إلى التحلى بالأخلاق الحميدة، والالتزام بكل ما يحقق للإنسان سلاما وأمنا واطمئنانا.

٣ - من أهم ما يحتوى عليه منهج الدراسة للثقافة الدينية - وخاصة الإسلامية - أن يقوم على أساس القرآن الكريم، وعلى ما أجمعت الأمة على صحته من السنة النبوية الشريفة، مبتعدا عن الخلافات المذهبية أو البيئية، أى التى ارتبطت بأحداث وقعت فى العصور السابقة، ولم يعد لها وجود الآن، فالمنهج السليم لابد أن يقوم على المبادئ الأساسية فى الإسلام، مع مراعاة مناقشة مشاكل العصر وطرح حلول دينية لها، تناسب ظروف البيئة، مع الالتزام بوضعها فى إطار الممكن بالنسبة لجمهور المسلمين.

٤ - التركيز على أن اختلاف العلماء فى الأحكام الدينية أمر طبيعى، ينبغى أن يتقبله المسلم بارتياح، لأن فلسفة الحياة تقوم على هذه الظاهرة، ولأن ذلك من طبيعة الإسلام من ناحية كونه دينا عالميا لكل البشر فى كل أقطار الأرض، ومما لاشك فيه أن

ظروف الحياة على هذه الكرة الأرضية متباينة، بل ومتباعدة أحيانا، فكان لابد أن يكون هناك فى مسائل التشريع الحياتية - والعبادية أحيانا - تنوع، حتى تتاح الفرصة ليطبق كل مجتمع ما يلائم ظروف حياته الزمانية والمكانية، فإذا فهم الطالب ذلك خفت حدة التعصب، وتوارى التطرف، وبذلك تختفى الصراعات المذهبية، ويتوارى العنف الطائفى، فيطمئن الفرد، وتنتظم نغمات الحياة، ويعم الأمن والاطمئنان فى المجتمع.

٥ - ومن العناصر المهمة فى مقرر الثقافة الإسلامية: الاعتراف بالآخر، وأقصد به: التسامح تجاه عقيدة الآخرين وشريعتهم، لأن ذلك منصوص عليه فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: **﴿لكم دينكم ولى دين﴾** الكافرون: آية ٦، وعلى الأخص اليهود والنصارى، الذين سماهم القرآن الكريم: أهل الكتاب؛ لأن من أركان الإسلام الأساسية: الاعتراف بمن أرسله الله قبل محمد ﷺ، كما جاء فى قوله تعالى: **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾** البقرة: آية ٢٨٥، فالإيمان الصحيح، والإسلام المقبول هو الذى يتضمن الاعتراف برسالة موسى وعيسى - عليهما السلام - فإذا استقر ذلك فى وعى الطالب نظر إلى اتباع هذين الرسولين - وإن اختلف فهمهم لما أُنزل عليهما مع ما أخبر به القرآن الكريم - بإنصاف إذ يجمعهم قاسم مشترك، ألا وهو: أن رسالتهم سماوية، هى من المنبع الذى نزل منه القرآن الكريم، والجميع يتوجهون بالعبادة إلى إله واحد، وإن اختلفت تصوراتهم له، وتباينت طرق التوجه إليه، وبذلك تسود روح الأخوة بينهم، ويساند بعضهم بعضا فى نشر المبادئ المشتركة، ومواجهة العدو المشترك، ألا وهو: الماديون الملحدون، الذين يناصبون الدين العداء؛ فهم ينشرون الرذيلة فى المجتمع، ويغرسون روح العداوة والبغضاء بين الشعوب، ليدمروا العالم، فأولى بنا أن نبنى مقرراتنا الدراسية على التسامح والود مع أبناء الأديان السماوية، لإعداد شباب يضع يده مع أيدى شباب هذه الأديان ليواجهوا سويا هذه الفوضى العارمة التى يبثها أعداء الأديان فى المجتمع، وبذلك نبنى بيئة حياتنا على أساس سليم، ونُؤَمِّن مستقبلنا بسياج يستعصى على الاختراق، لنصد كيد من يريد للمجتمع سوءا أو يضمر له حقدا.

٦ - بيان أن الإسلام ليس صلاة وصياما فقط، وإنما هو دين يحث على العمل الدنيوى لإعمار الأرض، جنبا إلى جنب مع أداء العبادات المفروضة، بل إنه يعتبر إعمار الأرض عبادة لله، ويفضل طلب العلم على الاعتكاف بالمساجد يقول رسول الله ﷺ: **«وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»** أبو داود: العلم، باب١، رقم ٣٦٤١، كذلك يفضل نشر العلم على تأدية النوافل من صلاة وصيام، فقد سئل رسول الله ﷺ عن رجلين فى بنى إسرائيل، أحدهما كان عالما يصلى المكتوبة، ثم يجلس فيعلم الناس الخير، والآخر يصوم النهار ويقوم الليل، أيهما أفضل؟ قال رسول الله ﷺ: **«فضل هذا العالم الذى يصلى المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذى يصوم النهار ويقوم الليل كفضلى على أدناكم رجلا»** الدارمى: المقدمة، باب ٣٢، رقم ٣٤٩، وعليه فينبغى أن يحتوى مقرر الثقافة الإسلامية على هذا المعنى، كى لا يستغرق الشباب فى العبادة مهملا واجبه إزاء أمته، ذلك الواجب الذى يحتم عليه دينيا أن يبذل قصارى جهده فى سبيل التنمية، حتى تستطيع الأمة الإسلامية أن تحتل موقعا ملائما فى سلم الحضارة الإنسانية، ففى القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على النظر والبحث فى الكون والطبيعة والإنسان وغيره من الكائنات الحية، يجب أن يعرف الطالب هذه الآيات ويفهمها فى دراسته لمقرر الثقافة الإسلامية، كى يدرك أن الإسلام دين ودنيا، عبادة وعمل، روحانية ومادية.

٧ - لا ينبغى أن يقوم منهج الثقافة الإسلامية على حفظ آيات من القرآن الكريم، وتلقين أحاديث

من السنة النبوية فقط، بل ينبغى أن يكون له من المقومات ما يساعد الطالب على فهم روح الإسلام، واستكشاف أسلوب معاملته فى تقويم الإنسان، ذلك الأسلوب الذى من أهم معالمه: التيسير لا التشدد تنفيذا لأمر رسول الله ﷺ فيما روى عنه أنه قال: **«يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولاتنفروا»** البخارى: العلم، باب ١١، رقم ٦٩، كما من أهم معالمه أن الأصل فى الأحكام الإباحة، مالم يرد نص قطعى الدلالة بتحريمه، أما ما يحتمل أكثر من وجه فروح التعاليم الإسلامية تقضى أن يأخذ المسلم من هذه الآراء ما يسهل له سبل الحياة، ويتلاءم مع ظروفه ومتطلبات عصره فقد روى عن عائشة أنها قالت: **ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، مالم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه»** البخارى: المناقب، باب ٢٣، رقم ٣٥٦٠.

٨ ـ بيان أن التراث الفكرى للمسلمين لا يقبل كله؛ لأن ذلك يوقعنا فى تناقض، لأن فيه من الآراء ما يناقض بعضه بعضا، ولذا ينبغى أن ننقيه فنقبل منه ما وافق القرآن الكريم، فإن لم يكن له مثيل فى القرآن، احتكمنا إلى العقل، فنقبل ما يقره العقل، ونرفض ما يرفضه، وبذلك ننقى التراث من الخرافات والأساطير التى ليس لها أصل فى القرآن الكريم، فننقذ الشباب من الأوهام التى عطلت قدراته العقلية، ونحميه من التصورات الهلامية التى أعجزته عن اللحاق بركب الحضارة الحديثة.

٩ ـ غرس المبادئ والقيم الاجتماعية والإنسانية فى نفس الطالب، مثل الصدق، والأمانة، والالتزام، والشرف، وحقوق الجار، وبر الوالدين، وغيرها من الأخلاق التى تميز الهوية العربية والإسلامية عن غيرها، وكذلك العدل، والسلام، والأخوة الإنسانية، وكيفية التعامل مع الشعوب، والأعراق، والجنسيات الأخرى.

١٠ ـ ينبغى أن يشتمل منهج الثقافة الدينية على تعويد الطالب على السلوك الحضارى، مثل: النظافة، والنظام، والمحافظة على البيئة، واحترام المواعيد، وتنمية التذوق الجمالى عنده والحرص عليه، سواء فيما يتعلق به شخصيا، أو يرتبط بما يحيط به مما يتخذه فى شئون الحياة العامة، كذلك الالتزام بما تعارف عليه المجتمع من تقاليد وعادات، وتجنب ما يستقبحه المجتمع، وينبذه من سلبيات، وبذلك ينسجم سلوكه مع الذوق العام، ويلتحم أسلوب حياته مع عادات أمته وتقاليدها.

ومما لاشك فيه أنه إذا روعى فى وضع منهج الثقافة الدينية لطالب الجامعة ما بيناه سابقا، فسوف تخرج طالبا سويا فى تفكيره، ينظر إلى ما يحيط به من تيارات فكرية نظرة فاحصة، ينتقى منها ما يعود عليه بالنفع والاطمئنان، ويرفض ما فيه ضرر له ولأمته، الأمر الذى لا يحتاج معه إلى وصاية فكرية، أيًا كان نوع هذه الوصاية، فهو قد حصن بالمبادئ الدينية التى تغذى الجانب الروحى عنده، تلك المبادئ التى لا تفصله عن متطلبات عصره؛ فهى تدعوه إلى استعمال العقل، والنظر إلى اختلاف الآراء وتعددها بارتياح، فلا ينزعج من كثرتها، ولا يعتريه القلق من غلو بعضها، وإهمال البعض الآخر للمبادئ والقيم، لأنه تعلم فى مدرج الدراسة أن هذا هو طبيعة الفكر الإنسانى، وتلك هى فلسفة الحياة فى المجتمعات الإنسانية، فعليه ـ بتكوينه الفكرى على منهج من هذا النوع ـ أن يناقش كل ماهو مطروح على الساحة بنفسه، وأن يرد بالأدلة الواضحة والحجج والبراهين الساطعة ما يراه منحرفا، وأن يؤيد ما يراه تدعيما لهويته، وتمكينا لثقافته، وترسيخا لتقاليد وعادات أمته.

لماذا الثقافة الدينية؟

إن هوية الأمة ـ أى أمة ـ تقوم على ثقافتها، ووجودها يرتكز على دينها وعقيدتها، فكلما حافظ الأفراد على ثقافتهم، وتمسكوا بها، وحموها من الذوبان فى الثقافات الأجنبية، برزت هويتهم، وتميز كيانهم بين الثقافات، وثبتت أقدام أمتهم بين ركب الأمم، وتسامت هاماتهم فى خضم الأمواج العالية على الساحة الدولية.

كذلك الأمر فيما يتعلق بدينها وعقيدتها؛ فالدين أساس الوجود، ومرتكز الحياة، فلا توجد أمة بدون دين، ولا يبرز كيان المجتمع إلا بالدين والعقيدة، فهوية الأمة الإسلامية دينها، ووجودها مرتبط بالعقيدة: سلوكا، وأخلاقا، وحضارة. ولا تتحقق لها حياة كريمة إلا إذا تربى أبناؤها على تعاليم الإسلام، فدرسوا أسس العقيدة وتدربوا على مواجهة ما يوجه إليها من افتراءات، خاصة فى عصرنا الحاضر، حيث تتسارع الأحداث، وتتدفق المعلومات من كل حدب وصوب مؤثرة فى صياغة الحياة فى المجتمعات الإسلامية، فلو لم يتسلح الشباب للتعامل معها تهتز عندهم المسلمات، ويتشابك فى ثقافتهم الغث مع السمين، فيتسرب الشك إلى عقولهم، لهذا كان من الواجب علينا عقديا أن تشتمل مناهج التدريس فى الجامعات الإسلامية على مادة الثقافة الإسلامية، لكى نحمى شبابنا من التيارات الهدامة، ونصون عقيدتهم من التلوث الفكرى - أو من العنف والتطرف - المنتشر على الساحة الفكرية فى طول الكرة الأرضية وعرضها، حتى يكونوا قادرين على المواجهة فى كل زمان ومكان.

وخير دليل على أهمية تدريس مادة: الثقافة الإسلامية فى الجامعات الإسلامية ما نراه اليوم فى المجتمع من شعور الشباب بأنهم ضائعون، لا يعرفون لهم هوية يرتكزون عليها، ولا يشعرون بكيان يجمعهم فى نسق واحد؛ فهم مشتتون بين الثقافات المختلفة، وحائرون فى دهاليز مظلمة لا يظهر لهم فيها طريق يقودهم إلى مستقبل يحقق لهم أحلامهم وآمالهم، أو يشبع رغباتهم المشروعة، فعيونهم على الهجرة إلى خارج الوطن، وآمالهم معلقة على اللحاق بالغير، تاركين أوطانهم خالية من عقول تحميها وسواعد تبنيها، وعزائم تصر على دفعها إلى الأمام لتتخذ مكانها بين الأوطان، فمعظم شباب اليوم لا يرى له مستقبلا فى بلده، بل فى أماكن أخرى بعيدة عن الوطن الذى رباه ورعاه فكريا وثقافيا فضلا عن تنميته جسمانيا وحمايته اجتماعيا ونفسيا، فهو يحيى فى وطنه غريبا، لأنه لم يتلق من الثقافة الدينية ما يشعره بهويته، ويغرس فيه حب وطنه وأهله، ولم يتعلم من القيم والمبادئ الدينية ما يحميه من الحيرة التى أصيب بها عندما تلقى من السموات المفتوحة تيارات ثقافية متعددة الألوان والأشكال، تدعوه إلى التخلى عن هويته وثقافته، وتقليد ما تعرضه عليه من أساليب الحياة وطرقها، ولكثرة هذه النماذج المعروضة عليه، وعدم حمايته بالثقافة الدينية، فقد صاغ بنفسه نموذجا لحياته لا يعرف له هوية، ولا تنسجم عناصره فى إطار محدد، فهو خليط من النماذج والصور العالمية المتعددة الاتجاهات والفلسفات، وليته اختار منها العناصر الإيجابية التى تساعده على رقى حياته وتقدمها، بل كان معظم ما اختاره هو من نفايات الصور الحضارية فى العالم المتقدم.

لن يخرج شبابنا من حالة الضياع التى وصل إليها إلا إذا أدرك هويته عن طريق دراسة مادة الثقافة الدينية فى المرحلة الجامعية، بشرط أن يضع منهجها علماء بارزون فى العلوم الدينية، ومدركون لمعطيات العصر، وقادرون على مراعاة النقاط العشر السالفة الذكر عند وضعهم لهذا المنهج، بالإضافة إلى إعداد كوادر التدريس إعدادا يؤهلهم لفهم طبيعة الفكر الإسلامى، من حيث: التعددية، والسماحة، والاعتراف بالرأى الآخر، وحرية المسلم فى اختيار ما يناسبه من الآراء، وعدم استعمال القوة لفرض رأى معين.

فهذه هى القواعد الأساسية فى دراسة الثقافة الدينية، التى تسهم فى تكوين عقلية الشباب، حتى يدرك هويته، ويتمسك بها، ويعرف مكان أمته بين الأمم ويعتز بها، ويدافع عنها، بل يتفانى فى سبيل رقيها وتقدمها، ويحرص فى عمله على الإسهام بأقصى ما يمكنه فى بناء أمته، لتحتل المكان اللائق بها بين الأمم.

الإعجاز الكونى وغايات أربع

ضرورة الإعجاز الكونى فى الدعوة الإسلامية

د. حسنى حمدان

الإشارات العلمية فى آيات القرآن الكريم وسيلة هامة من وسائل الدعوة إلى الله على بصيرة وعلم، والقضية فى غاية البساطة، هى أن الكثير من آيات القرآن الكريم تحوى الكثير من أساسيات العلم، وتشير إلى حقائق لم يعرفها العلماء إلا فى وقتنا الحاضر.. ولم تكن معارف الناس جميعا تسمح بكشف تلك الحقائق عند نزول القرآن، إذن ليس من العقل الادعاء بأن نبى الإسلام محمدا ﷺ قد اقتبسها، وليس من العقل أيضا القول بأن محمدا قد نقلها من الكتب السماوية التى أنزلت من قبله لسبب بسيط هو أن الكتب السابقة الموجودة الآن لا تحتوى على إشارات واضحة عن قضايا الكون، نعم قد تحتوى الكتب السماوية السابقة على بعض علم، ولكنه يتسم بقدر كبير من التعقيد والتشويش.

وأجدر بنا أن نقول الإعجاز الكونى فى القرآن الكريم، ذلك أنسب من مقولة الإعجاز العلمى، لأن هناك عقولا تسارع دائما بمعارضة الإعجاز العلمى، ولئن سئلوا لماذا تعارضون لقالوا: إن القرآن كتاب هداية وليس كتاب علم، ولربما اندفعوا لينفوا الإعجاز العلمى فى القرآن متعللين بأن الإعجاز الحقيقى هو الإعجاز اللغوى والبيانى، وهم يعرفون أن وسيلة فهم ذلك هى علوم النحو والصرف والبلاغة وغيرها، إذن فهى علوم فكيف تنكرون الإعجاز العلمى.. ومن ثم نفضل استخدام الإعجاز الكونى بمعنى استخدام معطيات العلم الحديثة فى توسيع مدلول اللفظ القرآنى المذكور فى معرض الحديث عن خلق السموات والأرض وخلق الحياة.

والسؤال الذى أطرحه هو لماذا الإعجاز الكونى فى القرآن الكريم؟ وأبادر بالقول بأن حقائق العلم الكونى فى القرآن لم ترد لكى تصنف القرآن على أنه كتاب علم، لأنه أولا كتاب هداية، ولكن العلم من أشرف وأجل الوسائل لتحقيق تلك الهداية.

والأمر بالنسبة لى واضح وضوح الشمس، العلم الكونى يذكر فى القرآن لتحقيق غايات أربع:

١ - **الغاية الأولى:** ليطمئن قلب المؤمن المسلم بعظمة هذا الدين، وليس فى ذلك شىء، فلسنا بخير من أبينا إبراهيم عليه السلام، فقد سأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى **﴿ربى أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى﴾** البقرة: آية ٢٦٠.

٢ - **الغاية الثانية:** لمن لا يؤمنون إلا بالعلم نعرض عليهم دين الإسلام من نفس الزاوية التى يدعون أنها وسيلتهم للفهم والإدراك، فنقول لهم مثلا هل تؤمنون بإنتاج الأزواج (Pairs production) من النبات والحيوان وحتى الجماد، فإذا كان التحقق من الزوجية فى عالم جسيمات الذرة لم يدركه العلم إلا فى الخمسينيات من القرن العشرين، فلماذا لا تؤمنون بمن يقول: **﴿ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾** الذاريات: آية ٤٩، أنتم عرفتم من حقائق العلم الكثير، عرفتم مثلا مراحل تكوين الجنين ابتداء من نهاية القرن الثامن عشر، فلماذا لا تؤمنون بالإله الذى وصف مراحل الجنين من النطفة والعلقة والمضغة.. حتى

النشأة الأخرى، أم أن معارف العلم كانت تسمح لنبى الإسلام ﷺ أن ينظر فى مجاهر ويستخدم أجهزة تساعده على تحديد تلك المراحل منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، أم أنكم تجحدون الحق بعد أن استيقنته أنفسكم ظلما وعلوا، إذن فأنتم أيها الجاحدون قد اخترتم الكفر بمحض إرادتكم.

٣ ـ **الغاية الثالثة**: إقامة الدليل على القضايا الإيمانية الغيبية بعرض القضايا الكونية، فإن ثبت صحة الإشارات الكونية التى ذكرت فى القرآن منذ ١٤٢٢ عاما، فاعلموا أن الذى أخبرنا بتلك الحقائق الكونية هو نفسه الذى أخبرنا بقضايا البعث والحساب والجنة والنار.. الخ، فلماذا تؤمنون بالبعض وتكفرون بالبعض الآخر؟!

٤ ـ **الغاية الرابعة:** وهى مكملة للغاية الثالثة وهى تثبيت قضية العقيدة عند المسلم وهدفنا هنا هو إلقاء الضوء على تلك الغايات الأربع خاصة الغايتين الأخريين، ولنبدأ بغاية تثبيت العقيدة عند المسلم عن طريق إثبات الإعجاز الكونى للقرآن الكريم، ونضرب لذلك مثلين: أولهما من سورة النور، وثانيهما من سورة العنكبوت:

فيما يتعلق بسورة النور يخبرنا الحق تبارك وتعالى أن أعمال الكفار وإن عظمت فى عيون أهل الدنيا لا فائدة لهم منها فى الآخرة، بل هى سراب، والسراب ظاهرة علمية ضوئية، فالقرآن استخدم هنا قضية علمية لتثبيت العقيدة عند المسلم حتى لا يحس بالانهزام النفسى أمام تقدم الكفار، لأن الله ينظر إلى عمل الكفار فيجعله يوم القيامة هباء منثورا، وهذا يمثل منتهى العدل الإلهى فطالما أن الكافر قد ابتغى بعمله غير الله، فالعدل ألا يطلب من الله جزاء على عمل قد ابتغى به غيره. وحتى لا ينخدع مسلم مؤمن بالله بأعمال الكافر وإن عظمت، فإن القرآن يخبر أن الكافر فى بعده عن الله أعمى يتخبط فى الظلمات. إذن فلتثبيت تلك القضية الإيمانية عند المسلم، أشار القرآن إلى قضيتين علميتين أولاهما السراب وثانيتهما ظلمات البحر والأمواج التحتية التى لم يعرفها أحد إلا محمد ﷺ لأول مرة عند نزول القرآن عليه ثم علمها من قرأ القرآن حتى جاء العلم ليقسم لنا البحار إلى مناطق حسب نفاذ الضوء إلى نطاق مضى وضحل ونطق مظلمة عميقة **﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾** النور: آية ٤٠، وكذلك ظلت حقيقة الأمواج العاتية فى قيعان البحر مجهولة حتى النصف الثانى من القرن العشرين، فمن أبلغ محمدا ﷺ بحقائق علوم البحار وهو ﷺ لم يركب البحر؟

يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ أو كظلمات فى بحر لجىّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور﴾** النور: الآيتان ٣٩، ٤٠.

إذن فالقضية الإيمانية هى أنه لا خير فى عمل لا يبتغى فيه وجه الله، **﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾**، والدليل الكونى على ذلك ظاهرة السراب، وظلمات البحار والأمواج التحتية فى قيعان البحار.

أما إشارة العلم فى سورة العنكبوت والتى هدفها الأساسى تثبيت عقيدة المسلم فتجدها فيمن يتخذ من دون الله أربابا لينال من وراء الأرباب منفعة وعلوا، وهنا يخبر القرآن الكريم أن بيته مهما علا أوهن من بيت العنكبوت، ويأتى العلم ليكشف عن مدى وهن بيت العنكبوت، فهو بيت لا يتوفر فيه الأمان أبدا، حيث الأنثى تتحفز لتقتل ذكرها بعد عملية التلقيح، وتأكل صغارها إذا

جاءت، وكذلك الأبناء يأكل بعضهم بعضا، هل رأيتم بيتا أهون من ذلك؟ إن بيت المتخذين أربابا من دون الله مهما فعلوا ونصبوا حبالهم كما تيقن العنكبوت غزل خيوطه، ولكن الوهن فى ساكنى البيت. ثم يأتى العلماء الألمان ليثبتوا أن بعض العناكب تمتلك خيطا يتكون من أربع ألياف، وكل ليفة تتكون من ١٠٠ لُييفة، أى أن الخط الواحد يتكون من أربع آلاف مفردة تفرزه ألف خلية من جسد العنكبوت فى وقت واحد، وبهذا يتضح أن وهن بيت العنكبوت يحتاج علما، وتمعن آيات العنكبوت فى ذلك الشأن حيث العلم أساسا عن بيت العنكبوت يأتى لتثبيت قضية العقيدة حيث يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾** العنكبوت: آية ٤١.

أما فيما يتعلق بالغاية الثالثة وهى أن الإشارات القرآنية للكون المحسوس تأتى لتقيم دليلا على صدق القضية الغيبية بمعنى أن العلم هنا دليل من عالم الشهادة على صدق عالم الغيب، ونوضح تلك الغاية بالأمثلة من ثلاث سور من القرآن الكريم، من سورة النبأ، والواقعة، والحج.

أولا: من سورة النبأ: القضية الغيبية التى يختلف الناس فيها هى قضية النشور، والبعث بعد الموت، مؤمنون بالله، يؤمنون بيوم القيامة، ومنكرون ومتشككون فى اليوم الآخر.. قضية غيبية أخبر الحق تبارك وتعالى بأن هناك بعثا وحسابا وجزاء وجنة ونارا، ثم تجد الآيات بعد ذلك تحفل بعرض رائع لآيات كونية منها:

أ - **﴿ألم نجعل الأرض مهادا﴾** أجيبوا يا علماء الأرض، ويا علماء الفلك هل الأرض مهاد؟، فإن قلتم نعم، ولابد أن تكون الإجابة بنعم كيف صارت مهدا «هكذا فى بعض القراءات»، وقد كانت كتلة ملتهبة من النار فى مهد نشأتها، وكيف مهدت خلال ٤٦٠٠ مليون سنة هو عمرها منذ النشأة حتى الآن؟ أليس عجيبا أن تكون مهادا وهى تدور حول نفسها بسرعة ١٠٤٤ (ميلا فى الساعة)، وتدور حول الشمس مرة كل عام بسرعة ٦٧٠٠٠ ميل/ ساعة (١٧,٢٠٠ كم/ ساعة)، وتجرى مع الشمس باتجاه النسر الواقع بسرعة ٤٣ ألف ميل/ ساعة (١٩ كم/ ثانية) والشمس تدور حول مركزها بسرعة (٥٤٠ ألف ميل/ ساعة) (٢٢٠ كم/ ثانية)، لتكمل دورتها كل ٢٥٠ مليون سنة.

إذن إن تيقن لكم **﴿ألم نجعل الأرض مهادا﴾**، فاعلموا أن القضية التى أنتم فيها مختلفون قضية حق.. والساعة لا ريب فيها.

ب - **﴿والجبال أوتادا﴾**: قضية علمية بحتة، فالناظر للجبل يرى ما يظهر منه ويعلو على سطح الأرض، فهل الجبل وتد تحت سطح الأرض؟ لن يجيب على ذلك بصدق إلا أصحاب العلم من دارسى علم الأرض ويجزمون بأن جبال الهيمالايا. وهى أعلى جبال العالم حيث قمة إفرست - تبلغ حوالى ثمانية كيلو مترات وتسعمائة متر، ولكن الوتد الخفى الذى يرسو على نطاق المور (Astheno sphere) يبلغ ٦٤ كيلو مترا، وقد يبلغ الوتد الخفى ما بين ١٠ - ١٥ ضعفا من ارتفاع الجبل فوق سطح الأرض.

فإذا ثبت لكم صدق الإخبار عن الله حول **﴿والجبال أوتادا﴾**، فاعلموا أن القضية الأولى **﴿عم يتساءلون﴾**، حقيقة لا مراء فيها.

جـ - **﴿وخلقناكم أزواجا﴾**: الكل يعرف أن خلقنا من ذكر وأنثى أزواج، يتساوى فى ذلك العلماء والجهلاء، ولكن لا يعرف إلا أولو العلم أن المنى أزواج «كرموزوم»، أى صبغى يحمل صفات الذكورة

(Y)، وكروموزم أى صبغى يحمل صفات الأنوثة (X)، والكرموزومات أى الصبغيات تحمل الجينات أزواجا، والشفرة التى تتعامل بها الجينات أزواج، والأحماض أزواج.. سبحان ربى اللفظ واحد «أزواجا» والمعنى يتسع ليشمل كل مستويات العقل البشرى.

إذن **﴿وخلقناكم أزواجا﴾** قضية صادقة آمنتم بها، فاعلموا أن الله هو الذى أخبر رسوله محمدا ﷺ بها، فلم تختلفون فى قضية **﴿عم يتساءلون﴾**.

د ـ **﴿وجعلنا سراجا وهاجا﴾**؟ انظر إلى روعة اللفظ **«وهاجا»** وتعدد المعانى العلمية له ليشمل البقع الشمسية ودورتها مرة كل ١١ سنة، ومغناطيسية البقع الشمسية ودورتها مرة كل ٢٢ سنة، ونبض الشمس بمعدل مرة كل ساعتين وأربعين دقيقة، والانفجارات الشمسية، والنافورات الشمسسية، وبما أن الإشارة الكونية حق فاعلموا أن البعث بعد الموت حق أيضا.

وهكذا جميع الإشارات الكونية من آية النوم، والليل، والنهار، وماء المعصرات تأتى شاهدا على صدق القضية الأساسية فى الصورة.

ثانيا من سورة الواقعة: يعرف كل من قرأ أو سمع تلاوة سورة الواقعة أن محورها الأساسى قضية غيبية وهى يوم القيامة وتميز الناس إلى أصناف ثلاثة: المقربون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، وختامها أيضا يتعلق بنفس القضية، فلكى يزداد إيمان المؤمنين بها، ولتقام الحجة على الكافرين تعرض السورة قضايا كونية أربع، فإن ثبت لكم صدق تلك القضايا الكونية، فاعلموا أن الله هو الذى أخبر نبيه محمدا ﷺ عن طريق الوحى بقضية الواقعة، **﴿فما لهم لا يؤمنون﴾ وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾** الانشقاق: الآيتان ٢٠، ٢١.

أ ـ **﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾** الواقعة: الآيتان ٥٨، ٥٩.

إذا كنتم قد علمتم بعد نزول تلك الآية بأكثر من ألف عام أن الدفعة الواحدة من المنى تحول ما بين ٢٠٠ ـ ٤٠٠ مليون حيوان منوى، نصفهم يحمل صفة الذكورة، والنصف الآخر يحمل صفة الأنوثة، فهل استطعتم خلق حيوان واحد من تلك الملايين، حاولتم وأنتم قوى عظمى ففشل استانلى ملير الأمريكى سنة ١٩٥٣م، ومن بعده أوبادين الروسى سنة ١٩٦٢م عن خلق الحياة من التفاعل الكيميائى، فكيف بكم وقد عجزتم عن خلق خلية واحدة، بل الصحيح أن يقال نصف خلية، فالحيوان المنوى لا يمثل سوى نصف خلية يلزمها الاتحاد بالبويضة حتى تتكون الخلية الأولى فى الإنسان، بل لم تستطيعوا أن تدركوا قصة الجينوم التى تمثل المادة الوراثية فى النطفة الأمشاج من الرجل والمرأة إلا فى ٢٦ يوليو ٢٠٠٠م، فكيف تمارون فى قضية الواقعة.

ب ـ **﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾** الواقعة: الآيتان ٦٣، ٦٤.

هل تملكون مثقال حبة واحدة من حبات الطين والرمل الذى تزرعونه، وهل تضمنون نتيجة حرثكم، إياكم والغرور **﴿لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون﴾**.

جـ ـ **﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون﴾ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾** الواقعة: الآيتان ٦٨، ٦٩.

لكى تحصلوا على الماء الذى تشربونه، هل تعرفون كيف ينزل من السماء؟ إن الرياح تصرف فتنبسط وتثير السحاب، وتجمعه وتؤلف بينه،

وتجعله ركاما، ويخرج الودق من خلاله، والسحب تلقح.. وكثير من العمليات التى عرفتموها فى منظومة الرياح والسحاب فهل أنتم مؤمنون بـ **﴿إذا وقعت الواقعة﴾** الواقعة: آية ١.

د - **﴿أفرأيتم النار التى تورون◆ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾** الواقعة: الآيتان ٧٠، ٧١.

هـ - **﴿فلا أقسم بمواقع النجوم◆ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾** الواقعة: الآيتان ٧٥، ٧٦.

هل علمتم بعد نزول الآية بأكثر من ١٤٠٠ عام أنكم لا تنظرون إلى النجوم ذاتها بل إلى مواقعها، وعلمتم أن ضوء الشمس الذى تراه عيونكم قد غادر الشمس منذ حوالى ثمانى دقائق، أى قطع ١٥٠ مليون كيلو متر قبل أن تروه، إذن بموقع الشمس الذى يتراءى لكم عند النظر إليها قد تغير وسوف ترونه بعد ثمانى دقائق ضوئية أخرى. الله هو الذى أخبركم بمواقع النجوم فهل تؤمنون به، إنه الله الذى أخبركم بالحقيقة **﴿إذا وقعت الواقعة﴾**.

ثالثا: من سورة الحج: الآية الأولى فى السورة تخبر عن زلزلة الساعة، وهى من قضايا الغيب التى تحدث يوم القيامة، ومن ثم يخبرنا الله بقضية علمية بحتة تتعلق بمراحل خلق الجنين فى بطن أمه، فى حين أن العلم لم يعرف ذلك إلا بعد نزول القرآن بأكثر من ألف عام.

وصدق الله حيث يقول: **﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا﴾** الحج: آية ٥.

فإن تأكد لكم مراحل خلق الجنين كما فصلها القرآن الكريم فى تلك السورة وفى سورة المؤمنون، فاعلموا صدق قضية **﴿إن زلزلة الساعة شىء عظيم﴾**.

أما فيما يتعلق من الغاية الثانية وهى إقامة الحجة على المعاندين، فسوف نطرح سؤالا على المنكرين لرسالة محمد ﷺ، ما الذى يجعل النبى ﷺ يجزم بما يحدث للجنين بعد الأربعين، وقبل الإثنين والأربعين يوما، ففى الحديث الذى رواه مسلم بسنده عن عبدالله بن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «**إن أحدكم ليجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد**».

وتلك شهادة بارتان رئيس قسم التشريح بفونتوبا بكندا بعد دراسته لحديث رسول الله ﷺ الذى رواه مسلم بسنده عن حذيفة بن أسيد أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يارب أذكر أم أنثى، فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك**».

ويقرر برتان أنه صور الجنين يوم ٣٧ فلم يجد فيه تمييزا للإنسان، وحينما صوره فى بداية اليوم الثانى والأربعين لم يجد فيه شكل الإنسان، وحينما فحصه وصوره للمرة الثالثة فى نهاية اليوم الثانى والأربعين وجد الجنين واضح المعالم، وصدق رسول الله ﷺ.

من فوق المنبر

لا دين لمن لا أمانة له

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، نحمده على نعمه ونشكره على آلائه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحب الأمانة وكل مَنْ تعامل بالأمانة، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله القائل: «اللهم إنى أعوذ بك من الخيانة، فإنها بئست البطانة». اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم على صلواتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.. وعلى مَنْ اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

الشيخ / فكرى حسن إسماعيل

أما بعد.. فياأيها المسلمون:

عن الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ، إذ طلع علينا رجل من أهل العالية فقال يارسول الله: أخبرنى عن ألين شىء فى هذا الدين وعن أشده. فقال رسول الله ﷺ «ألين شىء فى هذا الدين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأشده ياأخا العالية - الأمانة، إنه لا دين لمن لا أمانة له، ألا ولا صلاة له، ألا ولا صوم له، ألا ولا زكاة له» رواه البزار.

أيها المسلمون:

حروف الأمانة مأخوذة من حروف الإيمان، ومعنى الأمانة مقتبس من الإيمان، وروح الأمانة من الإيمان، لأنها هى العهد الذى عهد الله به إلى بنى آدم، وهى التى عرضها الله على السموات السبع والأرضين السبع يوم خلقها. فأبيْن أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا.. فالأمانة هى الدين كله، والدين تكليف إلهى. فمن خرج عنه استحق عذاب الله. فكذلك الأمانة أمرٌ تكليفى ألزم الله بها عباده، فمن تركها ولم يلتزم حدودها فقد خرج عن دينه، وحاد عن الصراط المستقيم، ومن تعامل بالخيانة فقد خلع الإيمان من رقبته - الأمانة فضيلة من الفضائل التى لا يستغنى عنها الفرد فى معركة الحياة حتى يصل إلى غاياته المرجوة منها. فالأمانة مرتقى صعب، وأمر شاق، ومعنى ليس بهين، ورسالة ليست بسهلة، ولقد بين الرسول ﷺ فى هذا الحديث أن من لا أمانة عنده لا فائدة من صلاته ولا من صيامه ولا من حجه ولا من زكاته.. وكما جاء فى حديث آخر: **«وإن صلى وصام وحج واعتمر وقال إنى مسلم».**

أيها المسلمون:

الأمانة مجالها واسع، وميدانها فسيح، تشمل شئون الدنيا وكل أمور الدين، لأنها مراقبة الله فى السر والعلن، مراقبة الأقوال والأفعال، ومراقبة الأعراض

والأموال. فمن حرّف فى القول، أو كذب فى الكلام، أو نقل حديثا مكذوبا، أو أشاع كلاما مغرضا، أو أخبار السوء الفاضحة، أو روج الشائعات المغرضة، وبلبل أفكار الناس بعبارات طابعها البهتان والزور. كل أولئك خائنون فى القول والفعل لا يرضى عنهم ربهم ولا يهديهم سبيلا. ويدخل تحت هذا النوع من الناس الذى وسِّد إليه عمل من أعمال الدولة ترتبط بالجمهور وتتعلق بشئون ومصالح الناس ولكنه لا يؤدى عمله حيث إنه يجلس على مكتبه معرضا عن تلك المصالح، فتارة يشرب الشاى، وتارة يقرأ الصحف، وتارة ينتقل من مكتب إلى آخر ليقطع الوقت بدون فائدة حتى ينتهى وقت العمل المحدد فيسرع إلى الانصراف.. ومما يؤسف له أن بعض هؤلاء يحرص على أداء الصلاة، وقبل الوقت يغلق مكتبه ويذهب للاستعداد لأداء صلاة الظهر.. إن مثل هؤلاء أخبرنا رسول الله ﷺ بأن الله لن يقبل صلاتهم ولا صيامهم لأنهم قد ضيعوا حقيقة الأمانة، فإن من معانى الأمانة أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملا فى العمل الذى يناط به، وأن يستنفد جهده فى إبلاغه تمام الإحسان، فعلى المسلم الواعى أن يخلص فى عمله، وأن يعنى بإجادته وإتقانه، وأن يسهر على حقوق الناس التى وضعت بين يديه، فإن استهانة الفرد بما كُلِّف به - وإن كان شيئا يسيرا - يستتبع شيوع التفريط فى حياة المجتمع الذى يؤدى إلى استشراء الفساد فى كيان الأمة، فليس أعظم خيانة ولا أسوأ عاقبة من رجل تولى أمور الناس فنام عنها وأهملها حتى أضاعها، أما الذى يلتزم حدود الله فى وظيفته، ويأنف من خيانة الواجب المنوط به، فهو عند الله من المجاهدين لنصرة دينه وإعلاء كلمته. قال رسول الله ﷺ: **«العامل إذا استعمل فأخذ الحق، وأعطى الحق لم يزل كالمجاهد فى سبيل الله حتى يرجع إلى بيته»** رواه الطبرانى.

ولقد شدد الإسلام فى ضرورة التعفف عن استغلال النفوذ، وشدد فى رفض المكاسب المشبوهة.

عن عدى بن عميرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطا فما فوق كان غلُولا يأتى به يوم القيامة. فقام إليه رجل أسود من الأمصار - كأنى أنظر إليه - فقال يارسول الله اقْبَل عنى عملك. قال: ومالك. قال: سمعتك تقول: كذا وكذا. قال: وأنا أقوله الآن: «من استعملناه منكم على عمل فليجىء بقليله وكثيره فما أوتى منه أخذ وما نهى عنه انتهى» رواه مسلم.

وروت كتب السنة أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا من الأزد على الصدقة، فلما قدم بها على رسول الله ﷺ قال: **«هذا لكم وهذا أهْدى إلىَّ. فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول: هذا لكم وهذه أهديت إلىَّ. أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا والله لا يأخذ أحدكم شيئا بغير حقه إلا لقى الله يحمله يوم القيامة». ثم رفع يديه وقال: «اللهم هل بلغت»** رواه مسلم.

ومما يؤسف له أن بعض ضعاف العقيدة يدعى أنه أهل لحفظ الودائع والأمانات، ثم بعد هذا تتحول الوديعة عنده إلى غنيمة باردة يأخذها بغير وجه حق.. هذا ضرب من السرقة التى يجب أن يعاقب عليها من يفعلها.

عن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنهما - قال: «القتل فى سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة.. قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة - وإن قتل فى سبيل الله - فيقال: أد أمانتك فيقول أى رب. كيف وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية وتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها فيهوى فى أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنه خارج زلَّت عن منكبيه فهو يهوى فى أثرها أبد الآبدين.. ثم قال: الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وأشياء عددها وأشد ذلك الودائع.

قال راوى الحديث: فأتيت البراء بن عازب فقلت: ألا ترى إلى ما قاله ابن مسعود؟ قال: كذا وكذا. قال البراء: صدق. أما سمعت قول الله تعالى: **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾**، النساء: آية ٥٨.

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوا الله فى أعمالكم فإنه مطلع عليكم لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، فإن الأمانة أمرها عظيم وشأنها خطير.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» رواه أحمد. **وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.**

يا قومنا أجيبوا داعى الله

لو قيل لعاقل قبل أربعة عشر قرنا من الزمان والناس فى جهلهم يعمهون. إن داعيا إلى الله سوف ينادى «ياقومنا أجيبوا داعى الله»، فيجيبه كل شىء حتى حيتان البحر ووعول مكة وشجرها إذ ينادى عليه فيستجيب ويلبى النداء، وحصباؤها يسبح فى يده. لو قيل لعاقل هذا الكلام لرد على القائل «إنك جدُّ لمجنون»، لكن الأمر قد حدث.

محمد محمد أبوزيد

واستجاب كل شىء بإرهاف عجيب إلا إنسان مكة الذى يتمثل فى أبى جهل وأضرابه وعمه القريب (أبو لهب) عندما فاجأ القوم وهو ينادى على قريش بطنا بطنا وقبيلا قبيلا. يقول لهم: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصَدِّقىَّ؟ قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قط. فقال لهم: فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد أن اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا. فرد عليه عمه القريب وقال له: تبا لك سائر هذا اليوم ألهذا جمعتنا؟ فتولى الله سبحانه وتعالى الرد على أبى لهب فى سورة تسمى باسمه قرآنا يتلى إلى يوم الدين **﴿تبت يدا أبى لهب وتب﴾ ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ سيصلى نارا ذات لهب﴾ وامرأته حمالة الحطب﴾ فى جيدها حبل من مسد﴾** المسد: الآيات ١ ـ ٥(١).

وأخذ الداعى فى دعوة قومه بالحسنى واللين لم يرفع سيفا ولم يؤذ أحدا حتى ولا بطرف العين ولم يتعد على حرمة من حرمات قومه إذ كان حريصا على هدايتهم حيث كان القوم حريصين على إيذائه بل قتله، ولكنه عندما تمكن من رقابهم بعد الفتح المبين قال: **«اذهبوا فأنتم الطلقاء»**، لكن الدعوة كان لابد لها من النجاح فأخذت تحاور من حولها فى شد وجذب حتى أذن الله سبحانه وتعالى فى استجابة فئة من العرب صنعهم الله على عينه ليكونوا معينا للدعوة يردون كيد الكائدين ويأخذون على أيدى المتربصين حتى يخلص الطريق إلى الله.

استجابت هذه الفئة لنداء الحق حيث أمرهم رسول الله ﷺ بالتهيؤ للقاء الروم وذلك فى زمن من عسرة الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج فى غزوة إلا كَنَّى عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يقصده إلا ما كان من غزوة تبوك. فإنه بينها للناس لبعد المشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذى يصمد له ليتأهب الناس لذلك أهبته فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم(٢).

وكأن رسول الله ﷺ يريد أن يعالن الناس بأنهم سوف يلقون نوعا جديدا من اللقاء لا عهد لهم به، فاللقاء كان بين العرب بعضهم وبعض وهم يعرفون كيف اللقاء العربى العربى وكأنى برسول الله ﷺ قد أحس بقرب أجله فقد كان انتقاله إلى الرفيق الأعلى يوم الاثنين فى شهر ربيع سنة احدى عشر من

الهجرة واللقاء فى تبوك كان سنة تسع من الهجرة فأراد رسول الله ﷺ نقل العرب من لقاء بعضهم وبعض إلى بذر بذور الدعوة خارج الجزيرة العربية حتى لا يحدث أن يضرب بعضهم رقاب بعض خاصة وهو يعلم أنهم أهل شدة وجلاد وأنهم قريبو عهد بجاهلية.

فقال يوما للجدّ بن قيس: هل لك العام فى جلاد بنى الأصفر(٣)، فقال يارسول الله، أو تأذن لى ولا تفتنى؟ فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل بأشد عُجْباً بالنساء منى، وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: قد أذنت لك، وفى الجد بن قيس نزلت هذه الآية: **﴿ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾** التوبة: آية ٤٩، أى أنه ان كان يخشى الفتنة ففيها قد سقط بتخلفه عن رسول الله ﷺ والرغبة بنفسه عن نفسه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بعد أن علمهم الله سبحانه وتعالى أن «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم».

إن لقاء تبوك كان نداء من الحق بلغه رسول الله ﷺ لأصحابه الذين صدقوا الله وصدقهم، ولذلك استجابوا للنداء عندما انتدبهم الرسول للنفقة حيث كانت فى أيام عسرة وحر شديد.

قال ابن اسحق: ثم إن رسول الله ﷺ جد فى سفره وأمر الناس بالجهاز وحض أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا أجرهم على الله، وأنفق عثمان نفقة عظيمة وجاء بمال عجزت عنه يداه حتى قال رسول الله ﷺ **«ما ضر عثمان ما أنفق بعد اليوم»** حتى قيل أنه أنفق فى غزوة تبوك ألف دينار ذهبا، وقال رسول الله ﷺ: **«اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض»**.

استجاب عثمان «للداعى إلى الله» فأنفق هذه النفقة، كما استجاب قبله أبو بكر الصديق رضي الله عنه فجاء بكل ماله فقال له رسول الله ﷺ ماذا أبقيت لعيالك، قال أبو بكر: أبقيت لهم الله ورسوله. وكان عمر رضي الله عنه قد استجاب لنفس النداء لكنه جاء بنصف ماله، فقال له رسول الله ﷺ ماذا أبقيت لعيالك. قال جئتك بنصف المال يارسول الله، وأبقيت لهم النصف الآخر. ولما علم بصنيع أبى بكر رضي الله عنه الجميع قال عمر رضي الله عنه والله يأبا بكر لأنت سيدنا ما تسابقنا فى خير إلا كنت أسبقنا إليه.

وهكذا استجابت هذه الفئة الخيرة الأولى من أصحاب رسول الله ﷺ للنداء بالصورة التى رأيناها حبيبة إلى قلوبهم مستيقنين بما عند الله وأن ما عند الله أقرب إليهم حتى مما فى أيديهم، واستجاب قوم آخرون لنداء الحق سُمُّوا ـ بالبكائين ـ وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم. طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحملهم (أى يهب لهم ركائب يحملون عليها) فقال لهم الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ «لا أجد ما أحملكم عليه». قال القرآن الكريم يصف الحال التى كانوا عليها **﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون﴾** التوبة: آية ٩٢.

كانت استجابة أحدهم لنداء الحق أسرع ما تكون الاستجابة، إذ كانت نفسه تستجيب قبل جوارحه حُبًّا فيما عند الله وحدبا على إجابة أمر الله ورسوله.

وفى مؤتة: انتدب رسول الله ﷺ أصحابه للخروج وكانت فى جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة. واختار رسول الله ﷺ لها زيد بن حارثة، وجعفر بن أبى طالب، وعبدالله بن رواحه.

وقال ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يتولى زيد بن حارثة، فإن أصيب فجعفر بن أبى طالب فإن أصيب فعبدالله بن رواحة على الناس، وكان عدد الجيش ثلاثة آلاف رجل فيهم جِلّة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ روى ابن اسحاق أن عبدالله بن رواحة لما وُدع فيمن وُدّع من أمراء رسول الله ﷺ بكى، فقالوا ما يبكيك يابن رواحة، فقال: أما والله مابى حب الدنيا ولا صبابة بكم، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار **﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾** مريم: آية ٧١، فلست أدرى كيف لى بالصَّدر بعد الورود، فقال المسلمون صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين فقال عبدالله بن رواحه:

لكننى أسأل الرحمن مغفرة

وضربة ذات فرغ تقذف الزيدا(٤)

أو طعنة بيدى حرّان مجهزة

بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا(٥)

حتى يقال إذا مروا على جدثى

ياأرشد الله من غاز وقد رشدا(٦)

هؤلاء الأشاوس كانوا يحرصون على الموت فتوهب لهم الحياة لا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم لأن الموت عندهم يعنى لقاء من يحبون وهم يعلمون أن الشهادة والاستجابة لنداء الحق تجعلهم فى مخرفة الجنة، بل يكونون فى حواصل طير خضر أحياء عند ربهم يرزقون، ومعنى «يرزقون فى الآية يأكلون ويشربون ويتمتعون»، وهذا فى قول الحق تبارك وتعالى: **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** آل عمران: الآيتان ١٦٩، ١٧٠، ولما كانت الهيعة وجاء دور عبدالله بن رواحة قال ابن اسحاق: حدثنى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عبّاد قال: حدثنى أبى الذى أرضعنى. وكان أحد بنى مرة بن عوف قال: فلما قتل جعفر أخذ عبدالله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه

لتنزلن أو لتكرهنّه

إن أجلب الناس وشدوا الرّنه(٧)

مالى أراك تكرهين الجنة

قد طال ما قد كنت مطمئنّة

هل أنت إلا نطفة فى شنَّه(٨)

وقال أيضا:

يا نفس إن تقتلى تموتى

هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت

إن تفعلى فعلهما هديت

يريد صاحبيه: زيدا وجعفرا.

وهكذا كانت استجابة الأصحاب لنداء الحق، إذ كانت المبادرة الصادقة التى يختبر الله بها قلوب هؤلاء حتى صارت من المبادئ التى تربوا عليها، فكانوا إذا حزبهم أمر من الأمور الخطيرة يفزعون تلبية هذا النداء حتى فى نقدهم لأنفسهم وشفافية النفوس عندهم بالمكاشفة لا بالمزايدة.

جاء فى كتب السنة: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر مؤذنه أن ينادى بالأذان فوق المسجد فلما كانت «حى على الفلاح» أقبل الناس من كل صوب وحدب وهم أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم الكبار والمبشرون بالجنة وامتلأ المسجد عن آخره. فصعد عمر المنبر ثم حمد الله وأثنى عليه وقال:

«أما بعد: فلقد رأيتنى وأنا شاب أرعى غنما للخطاب (أبوه) فى وديان مكة، وكان فظا يضربنى إذا قصّرت، ويتعبنى إذا عملت، واليوم أمسيت وليس بينى وبين الله أحد. ثم نزل من فوق المنبر.

وكان فى الحاضرين على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ فقال: ياأمير المؤمنين مازدت أن حقّرت نفسك على رؤوس الأشهاد. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ياابن عم رسول الله ﷺ. إنى نظرت بينى وبين نفسى فأعجبتنى فأردت أن أعرفها قدرها».

إن هذه المكانة السامقة وهذا العلو الراقى من أصحاب رسول الله ﷺ لم يكن إلا بعد استجابتهم لنداء الحق حيث كان حرصهم على الحفاظ على كل أمر من أمور الإسلام مهما تكلفوا لذلك من أنفسهم لأن تربية رسول الله ﷺ لهؤلاء جرت مجرى الدماء فى عروقهم، بل سرت فيهم مسرى الماء فى العود الأجرد.

إذ كانت هذه الدعوة أو تلك الاستجابة فى أمة أمية خالية من الثقافات الواردة، أمة تقول الشعر

بالسليقة ويتعاملون بأخلاق توارثوها وعادات درجوا عليها، فلما جاء القانون الذى لامس الفطرة ومس شغاف القلوب تمثل فيهم قول الشاعر العربى:

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلبا خاليا فتمكنا

كان هذا التمكن لا رجعة فيه، إذ كانت بيعة مع النفس وبيعة لله عز وجل تعلموها من استجابتهم الأبية لنصرة المظلوم وإعانتهم بعضهم بعضا على نوائب الدهر، وهذا ما شهدت به ونطقت السيدة خديجة - رضى الله عنها - عندما جاءها رسول الله ﷺ من غار حراء الذى كان يتحنف فيه وفاجأه الوحى جاء وهو يرتجف قال ابن هشام فى كتاب السيرة: جاءها يرجف فؤاده وهو يقول زملونى زملونى. أى غطونى - فأخذته بحب الزوجة الوفية الصادقة ملتزمة إياه وهى تقول: **والله ياابن عم لايخزيك الله أبدا. إنك لتصل الرحم. وتحمل الكلّ - وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر.**

كانت هذه أخلاقهم وعاداتهم، وكل ذلك جعل من استجابتهم لكل نداء يساوق الفطرة أمرا مقررا لا محيد عنه.

ولذلك كانت تلك الاستجابة هى الشرارة التى أوقدت النار المضيئة فى قلوب هؤلاء حتى أنهم جعلوها عنوانا لهم يتعارفون عليه ويتنادون به فى حال سلمهم، وفى حال حربهم يعلنون لكل الدنيا أن الزمن قد توقف ليصبح زمنا آخر المراد فيه هو الله والمراد فيه هى مبادئ فطرة الإسلام التى فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله. حيث كانت الفطرة قد مسخت بما حولهم من عبادة غير الله وسجود الناس للأصنام والملوك ومظاهر الطبيعة حتى أن البعض كان يسجد ويعبد الملائكة فكان لابد من هذه الاستجابة للداعى إلى الله حتى يخلو الطريق إلى الله وتصبح مبادئ الفطرة ومبادئ الإسلام هى الحد والفيصل، أى أن تكون العبادة لرب العباد ولا تكون للطغام من العبيد.

جاء فى كتاب فتوح الشام - فتح مصر - أن عمرو ابن العاص رضي الله عنه عندما فتح مصر أرسل إليه المقوقس عظيم القبط بالإسكندرية رسولا يقول له، ما الذى أشخصكم، فلم يرد عليه عمرو (وجعله فى معية الجيش) إلا بعد ثلاثة أيام - أيام القرى عند العرب - امتثالا لأمر رسول الله ﷺ «من جاءه ضيف فليكرمه ثلاثة أيام فمن لم يفعل فليتبعه ضيفه بمثل قراه» الترمذى، وبعد الأيام الثلاثة أمر أمير الجيش عمرو بن العاص بإحضار رسول المقوقس وسأله عن رسالته فقال له: يقول المقوقس ما الذى أشخصكم»، فقال عمرو بن العاص أمير الجيش: قل لصاحبك لسنا على غارة نغيرها، ولكنا على قلوب نحولها، ونفوس نغيرها، ولم يزد، ثم رجع الرسول إلى المقوقس وبلغ الرسالة. لكن المقوقس قال لرسوله الذى رجع بإجابة عمرو: صف هؤلاء الناس. وكان قد مكث عندهم ثلاثة أيام بأمر أمير الجيش عمرو ابن العاص فقال أيها الملك لقد رأيت هؤلاء الناس. أميرهم كواحد منهم لا تعرفه إلا إذا أشاروا إليه، يجلس على الأرض كما يجلسون ويأكل بيده كما يأكلون. رهبان بالليل فرسان بالنهار، لكنهم إذا كان وقت صلاتهم اقتطعوا من الزمن جزءا ليسوا فيه».

فقال المقوقس لئن كان هؤلاء الناس كما تقول ليملكن ما تحت قدمى هاتين. وليسيرن هذا الدين فى العالم كما تسير العصارة الخضراء فى العود الأجرد.

وما ذلك إلا لاستجابة هؤلاء الناس للداعى إلى الله إذ أنه النداء الخالد الذى يحرك الفطرة ويرجع بالإنسان إلى الحق الذى فطره الله عليه حيث العبادة الخالصة لله الأحد بعيدا بعيدا عن عبادة العبيد والله عز وجل من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الهوامش:

١ - السيرة النبوية لابن هشام.

٢ - السيرة النبوية لابن هشام ص١١٨.

٣ - بنو الأصفر: يريد الروم.

٤ - الفرغ السمة - والزبد فى الأصل. الرغوة ويراد هنا شدة تدفق الدم.

٥ - المجهزة: التى تجهز عليه أي تسرع فى قتله.

٦ - الجدث: القبر.

٧ - الرنة: صوت يشبه البكاء.

٨ - الشنة: السقاء البالى ضرب بذلك مثلا بقصر العمر.

شبهات.. وإجابات

حول مكانة المرأة فى الإسلام

تأليف: أ. د. محمد عمارة — **عرض وتحليل: خضرة رشاد**

فى إطار الصراعات الفكرية الدائرة الآن بين قضايا تحرير المرأة والجمعيات النسوية والعولمة للفكر الغربى اللادينى والمنادى بمساواة المرأة والحفاظ على حقوقها، وجمعيات المجتمع الغربى بما فيها من دعاوى لتفسخ المرأة، وأن توجد المرأة على غلاف المجلات الخليعة، والدعوة للتحرر الجنسى للمرأة، وأن تباع المرأة وتشترى فى سوق المتعة، وبين الفكر الدينى المتحجر الذى تنبع أفكاره من العادات والتقاليد والتى لا تمت للإسلام بصلة، وقد جعلها أصحابها دينا وعبادات، وأن وظيفة المرأة الفراش وإنجاب الأطفال والجلوس فى المنزل.

بين هذين التيارين المتصارعين، يأخذ بيدنا الكاتب والمفكر الإسلامى الكبير الأستاذ الدكتور محمد عمارة، هذا الكتاب الرائع الذى يأخذ القارئ إلى سماحة الإسلام، مقدما نماذج للمرأة المسلمة الرائدة قبل أربعة عشر قرنا من الزمان قبل أن تتواجد على الساحة من تنادى بحقوق المرأة وقتها، وقد أبان أن الإسلام حرر المرأة فصارت راعية لزوجها وأولادها، وهن أصحاب الشورى والمشاركات فى الجهاد وفى الغزو بالرأى والمال والمشورة، يشاركن مشاركة فعالة فى المجتمع الإسلامى وفى الإطار المحدد لها الذى جعلها فى عهد عمر وزيرة ترعى حقوق الرجال والنساء، ومنهن من تعلم الفقهاء على يديها الكثير والكثير وبطريقة مبسطة ومشوقة لقراءة هذا الكتاب.

الكتيب الذى نستعرضه بالدراسة والتحليل يقع فى أكثر من ١٨٢ صفحة من القطع الصغير سلسلة دراسات إسلامية (تصدر فى منتصف كل شهر عربى) العدد (٧٣) إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - شعبان ١٤٢٢هـ - أكتوبر - نوفمبر ٢٠٠١م.

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى قسمين: الأول فند فيه أهلية المرأة للمشاركة فى العمل العام، ثم فى الجهاد النسائى، ثم فند قاعدة سد الذرائع الفقهية من منظور وسطى إسلامى، ثم قام فى القسم الثانى من الكتاب بالرد على الشبهات الخمس التى تعوق تحرير المرأة فى الإسلام مثل شبهة ميراث الأنثى

نصف ميراث الذكر، وشهادة المرأة نصف شهادة الرجل، وأن النساء ناقصات عقل ودين، وشبهة ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة، والشبهة الخامسة الرجال قوامون على النساء.

وقد قام المؤلف بعرض النموذج الأول اللادينى فى المجتمع الغربى والذى يجد صداه فى مجتمعاتنا الإسلامية، ومن ينادى بالفكر الغربى مدعما من جمعيات غربية بالمال، فهناك من يرى عولمة الفكر الغربى الذى لا يتواءم مع طبيعة مجتمعنا الشرقى الإسلامى، وقد فند المؤلف هذا النموذج الأول موضحا المساوئ التى يعانى منها المجتمع الغربى، ففى الوقت الذى تباح فيه المتع الجنسية فى المجتمع الغربى وأنه ليس هناك قيود على ممارسة الجنس، نجد أن أكبر نسبة اغتصاب للنساء فى المجتمعات الغربية، ناهيك عن نسب الانتحار والقلق والأمراض النفسية، وكأن المؤلف ينادى بأعلى صوته وبصورة أكثر عقلانية إلى الأمة الإسلامية: ياقومنا أجيبوا دعوة الله وبصورة رائعة مدافعا عن الدين الإسلامى بقوله: إن الدين الإسلامى هو دين تكريم للمرأة وسبب عزتها وكرامتها، ولكى يبرهن على ذلك سمى النموذج الغربى بالنموذج الأول، موضحا فيه أنه بالرغم من الدعوة إلى التحلل والتفسخ والشذوذ، فإن هذا المجتمع تنتشر فيه تجارة الدعارة حتى صارت ثالث تجارة بعد المخدرات والسلاح، وفيه تنتشر نسبة الاغتصاب على الرغم من الإباحية فيه، وترتفع نسبة الانتحار والقلق، وهنا يوضح الكاتب للمنادين بهذا النموذج الفاضح أن يتقوا الله هل ترضون لكم ولبناتكم مثل هذا النموذج الشائن؟!!

ثم يتعرض الكاتب للنموذج الثانى ألا وهو التيار الدينى المنشود فى بلادنا حول المرأة وقضاياها، فهو ذلك الذى يرى دعاته أنه ليست هناك مشكلة وأنه ليس بالإمكان أحسن مما كان، فكل عاداتنا وتقاليدنا الموروثة خير وبركة على كل النساء.

ومن هنا انطلق المؤلف لطرح الرؤية الإسلامية للنموذج الوسطى المعبر عن روح التحرير الإسلامى للمرأة، هذا النموذج المنطلق من منطق وفقه القرآن الكريم فى تحرير المرأة وإنصافها والمساواة بين النساء والرجال الذين سوى الله بينهم عندما خلقهم جميعا من نفس واحدة، هذا النموذج الذى جعل الرجل بعضا من المرأة، والمرأة بعضا من الرجل، ثم قسم المؤلف الكتاب إلى قسمين:

القسم الأول:

١ـ أهلية المرأة للمشاركة فى العمل العام

وقد ضرب المؤلف الأمثلة الكثيرة الرائعة التى تؤكد مشاركة المرأة فى العمل العام، فمن هذه الأمثلة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ نموذج من الثمرات الطيبة لتحرير الإسلام للمرأة، فكانت أسبق من الرجال بالإيمان، وكانت الدعامة بالعقل والحكمة والمال، والمثال الثانى: أسماء بنت أبى بكر التى حملت سر خطة الهجرة والتى شاركت فى تنفيذ هذا الحدث العظيم، ومع ذلك فكانت زوجة الزبير بن العوام، وكانت تزرع له حقله، وترعى فرس جهاده، وتقاتل معه فى بعض الغزوات، وتربى له ولده عبدالله على البطولة والفداء والاستشهاد، وقد ضرب المؤلف الأمثلة الكثيرة من هذا المنوال، موضحا دور المرأة الذى تغير من الجاهلية إلى رحابة الإسلام.

٢ـ فى الجهاد النسائى

ظلت تعاليم الإسلام فى تحرير المرأة وانصافها حتى عند الذين تجسدت فى ممارساتهم عدالة الإسلام، فكان عمر يقول: والله كنا فى الجاهلية ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم.

ولقد اتخذ الجهاد النسائى الشكل المنظم حتى إن إحداهن سميت بوافدة النساء، أى مندوبة عنهن للحوار مع الرسول ﷺ، فكانت النساء تحضرن مجالس العلم مع الرسول ﷺ، وقد جاهدت المرأة المسلمة حتى ترسخت مبادئ الإسلام، وشاركت الرجال فى الكثير من ميادين العمل العام قبل أن تعرف الدنيا شيئا عن هذه الحرية دونما اختلاط محرم أو خلوة نهى عنها الدين.

٣ ـ الضبط الوسطى لقاعدة سد الذرائع

هذه القضية التى تعالج فى إطارها قضية الاختلاط والاشتراك فى العمل العام بين النساء والرجال فلم يحرم الرسول ﷺ الاختلاط، وإنما أكد على تحريم الخلوة بالمرأة، وأباح الاختلاط مع دعوة النساء إلى الحشمة الإسلامية التى تميز الحرة وتعلن عن جديتها والتزامها بالسلوك الإسلامى.

القسم الثانى من الكتاب: الشبهات والرد عليها

١ ـ شبهة أن ميراث الأنثى نصف ميراث الذكر والرد عليها

نجد أن الفقه الإسلامى الحقيقى لفلسفة الإسلام فى الميراث يكشف عن الاختلاف فى الأنصبة للوارثين والوارثات، لا يرجع إلى معيار الذكورة والأنوثة، إنما لهذه الفلسفة الإسلامية فى التوريث حكم إلهية ومقاصد ربانية قد خفيت عن الذين جعلوا التفاوت بين الذكور والإناث فى بعض مسائل الميراث وحالاته، شبهة على كمال أهلية المرأة فى الإسلام، وأن فلسفة الإسلام فى توزيع الميراث تحكمه ثلاثة معايير:

أولا: درجة القرابة بين الوارث ذكرا كان أم أنثى وبين المورث المتوفى

فكلما اقتربت الصلة زاد النصيب فى الميراث دونما اعتبار لجنس الوارثين.

ثانيا: موقع الجيل الوارث من التتابع الزمنى للأجيال

بمعنى أن الأجيال التى تستقبل الحياة عادة يكون نصيبها أكبر من الأجيال التى تستدبر الحياة بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة، فمثلا بنت المتوفى ترث أكثر من أمه، وترث البنت أكثر من الأب حتى ولو كانت رضيعة.

ثالثا: العبء المالى الذى يوجب الشرع على الوارث تحمله والقيام به حيال الآخرين

هو المعيار الذى يثمر تفاوتا بين الذكر والأنثى، ولكنه تفاوت لا يؤدى إلى ظلم المرأة أو انتقاص من انصافها، بل ربما كان العكس هو الصحيح.

وقد استقرأ المؤلف حالات الميراث فوجد أن:

١ ـ هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف ميراث الرجل.

٢ ـ هناك حالات أضعاف هذه الحالات الأربع ترث فيها المرأة مثل الرجل تماما.

٣ ـ هناك حالات عشرة أو تزيد، فيها المرأة ترث أكثر من الرجل.

٤ ـ هناك حالات ترث فيها المرأة ولا يرث نظيرها من الرجال.

أى أن هناك أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل أو أكثر منه، أو ترث هى ولا يرث الرجل، فى مقابل أربع حالات محددة ترث فيها المرأة نصف الرجل. (نقلا عن كتاب د. صلاح الدين سلطان ـ ميراث المرأة وقضية المساواة).

الشبهة الثانية:

شهادة المرأة نصف شهادة الرجل

أوضح المؤلف أن هذه الشبهة أوردها أصحابها من نص القرآن الكريم فى سورة البقرة **﴿ياأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾** آية ٢٨٢، وأكد أن مصدر الشبهة هو أن الإسلام قد انتقص من شهادة المرأة، وأفاد المؤلف أن هناك خلطا بين الشهادة والإشهاد.

ولاريب أن هذه الحكمة فى التعدد هى فى التحمل، فأما إذا عقلت المرأة وحفظت وكانت ممن يوثق بدينها، فإن المقصود حاصل بخبرها كما يحصل بأخبار الديانات، ولهذا تقبل شهادتها وحدها فى مواضع كثيرة. إن المرأة العدل (بنص ابن القيم) كالرجل فى الصدق والأمانة والديانة، وذلك هو منطق الشريعة، ولدحض هذه الشبهة لابد وأن ندع نصوص الاجتهاد التى تبدد غيوم هذه الشبهة لا نصوصنا نحن وذلك حتى لا ندع سبيلا لشبهات جديدة فى هذا الموضوع.

الشبهة الثالثة:

النساء ناقصات عقل ودين

لقد جاء الإسلام ليضع عن الناس إصرهم والأغلال التى كانت عليهم، فكل العادات والتقاليد الجاهلية كانت فى احتقار المرأة والانتقاص من أهليتها وعزلها عن العمل العام، فبعد أن بلغ التحرير الإسلامى للمرأة إلى حيث أضحت به وفيه:

● طليعة الإيمان بالإسلام والطاقة الخلاقة الداعمة للدين ورسوله ﷺ كما كان حال أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، ولقد كان عام وفاتها عام حزن للرسول والمسلمين ودعوة الإسلام.

● طليعة شهداء الإسلام كما جسدتها شهادة سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر.

● طليعة المشاركات فى العمل العام السياسى منه والشورى والفقهى والأدبى والقتالى كما تجسدت فى كوكبة النخبة والصفوة النسائية التى تربت فى مدرسة النبوة.

● إن المرأة الكريمة لا يليق بها أن تخرج من مخدعها إلا مرتين:

أولاهما: إلى مخدع الزوجية.

ثانيتهما: إلى القبر الذى تدفن فيه، فهى عورة لا يسترها إلا القبر. وأخيرا: فهل يعقل عاقل، وهل يجوز وفى أى منطق أن يعهد الإسلام وتعهد الفطرة الإلهية بأهم الصناعات الإنسانية والاجتماعية - صناعة الإنسان ورعاية الأسرة وصياغة مستقبلها - إلى ناقصات العقل والدين؟ بهذا المعنى السلبى الذى ظلم به غلاة الإسلاميين، وغلاة العلمانيين، الإسلام ورسوله الكريم الذى حرر المرأة تحريره للرجل **﴿ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾** الأنفال: آية ٢٤.

إن المرأة العدل كالرجل فى الصدق والأمانة والديانة، واستشهد الكاتب بكلمات الإمام محمد عبده التى تقول: إن حقوق الرجل والمرأة متبادلة، وإنهما أكفاء.. وهما متماثلان فى الحقوق والأعمال، كما أنهما متماثلان فى الذات والإحساس والشعور والعقل، أى أن كلا منهما بشر تام له عقل يفكر فى مصالحه، وقلب يحب ما يلائمه ويسرِّه ويكره ما لا يلائمه وينفر منه(١).

الشبهة الرابعة:

ما أفلح قوم ولُّوا أمرهم امرأة:

الرد على الذين يمارون فى ولاية المرأة للعمل العام، فإذا كانت صحة الحديث من حيث الرواية هى حقيقة لا شبهة فيها، فإن إغفال مناسبة ورود هذا الحديث يجعل الولاية بمعناها الحقيقى مخالفة للاستدلال به على تحريم ولاية المرأة للعمل.

ثم إن هذه الملابسات تجعل معنى هذا الحديث خاصا بالولاية العامة، أى رئاسة الدولة وقيادة الأمة، فالمقام كان مقام الحديث عن امرأة تولت عرش الكسروية الفارسية، التى كانت تمثل إحدى القوتين العظميين فى ذلك التاريخ.

فالشبهة إنما جاءت من خلط مثل هذه الولايات الجزئية والخاصة بالإمامة العظمى، وأمر آخر لابد من الإشارة إليه، ونحن نزيل هذه الشبهة عن ولاية المرأة للعمل العام وهو تغير مفهوم الولاية العامة فى عصرنا الحديث وذلك بانتقاله من: سلطان الفرد إلى سلطان المؤسسة والتى يشترك فيها جمع من ذوى السلطان والاختصاص.

لقد تحول القضاء من قضاء القاضى الفرد إلى قضاء مؤسسى، يشترك فى الحكم فيه عدد من القضاة، فإذا شاركت المرأة فى «هيئة المحكمة»، فليس بوارد الحديث عن ولاية المرأة للقضاء بالمعنى الذى كان واردا فى فقه القدماء، لأن الولاية هنا - الآن - لمؤسسة وجمع، وليست لفرد من الأفراد، رجلا كان أو امرأة، بل لقد أصبحت مؤسسة التشريع والتقنين مشاركة فى ولاية القضاء بتشريعها القوانين التى ينفذها القضاة، فلم يعد قاضى اليوم ذلك الذى يجتهد فى استنباط الحكم واستخلاص القانون، وإنما أصبح «المنفذ» للقانون الذى صاغته وقننته مؤسسة تمثل الاجتهاد الجماعى والمؤسسى - لا الفردى - فى صياغة القانون.

وكذلك الحال مع تحول التشريع، فليس بوارد الحديث عن ولاية المرأة لسلطة التشريع بالمعنى التاريخى والقديم لولاية التشريع.

الشبهة الخامسة:

الرجال قوامون على النساء

لحكمة إلهية قرن القرآن الكريم - فى آيات القوامة - بين مساواة النساء بالرجال، وبين درجة

القوامة التى للرجال على النساء. وإن المساواة والقوامة صنوان مقترنان، يرتبط كل منهما بالآخر، وليسا بنقيضين، حتى يتوهم واهم أن القوامة نقيض ينتقص من المساواة، وجاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم**﴾ البقرة: آية ٢٢٨.

ومعنى القوامة عند المسلمين هى مسئولية وتكاليف للرجل، مصاحبة لمساواة النساء بالرجال وبعبارة الإمام محمد عبده أنها تفرض على المرأة شيئا وعلى الرجل أشياء، وكانت السنة النبوية - فى عصر البعثة - البيان النبوى للبلاغ القرآنى فى هذا الموضوع.. إن المعصوم ﷺ الذى حمله ربه الحمل الثقيل فى الدين والدولة، والأمة، والمجتمع ﴿**إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا**﴾ المزمل: آية ٥.

هو الذى كان فى خدمة أهله - أزواجه - وكانت شورى رسول الله ﷺ لزوجاته صفة من صفات بيت النبوة - فى الخاص والعام من الأمور والتدابير - ويكفى أن هذه السنة العملية قد تجسدت تحريرا للمرأة، شاركت فيه الرجال بكل ميادين الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية. وحتى فى القتال كان ﷺ دائم التأكيد على التوصية بالنساء خيرا، فحريتهن حديثة العهد، وهن قريبات من عبودية التقاليد الجاهلية واستضعافهن يحتاج إلى دوام التوصية بهن والرعاية لهن، وعنه ﷺ تروى أقرب زوجاته إليه عائشة - رضى الله عنها - «**إنما النساء شقائق الرجال**» رواه أبو داود والترمذى والدارمى والإمام أحمد.

وعندما سئلت: ما كان رسول الله ﷺ يعمل فى بيته؟

قالت: كان بشرا من البشر، يفلى ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه» رواه الإمام أحمد - يفعل ذلك، وهو القوام على الأمة كلها، فى الدين والدولة والدنيا جميعا.

وتحدث المؤلف عن القوامة فقال: إنها أيضا بمعنى الرياسة التى يتصرف فيه المرؤوس بإرادته واختياره، وليس معناه أن يكون المرؤوس مقهورا مسلوب الإرادة لا يعمل عملا إلا ما يوجهه إليه رئيسه.

إن المرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من بدن الشخص الواحد، فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن، أما الذين يحاولون ظلم النساء ليكونوا سادة فى بيوتهم، فإنما يلدون عبيدا لغيرهم(٢).

الخاتمة

اختتم الكاتب بنظرة ثاقبة إلى قضية المرأة وإنصافها وتحريرها فى إطار النظرة العامة التى نظر الإسلام بها إلى المرأة نظرة الإنصاف والمساواة للرجل فى الخلق من نفس واحدة، وفى الإنسانية وفى التكريم لكل بنى الإسلام، وفى حمل الأمانة التى عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان ذكرا أو أنثى - وفى الجاهلية - وفى الحساب، وفى الجزاء مع الحفاظ على نظرة تميز الأنوثة عن الذكورة، تميز التكامل لا الأنداد والأضداد، وكذلك نظر إليها من خلال تطبيقات مجتمع النبوة الذى مارست فيه المرأة فقه هذا التحرير الإسلامى لمكانتها وطاقاتها، وعلى النحو الذى شاركت فيه الرجال بإقامة الدين.. وبناء الدولة.. المجتمع والحضارة وكذلك نظر إليها من خلال الفكر الفقهى الإسلامى، الذى اختلف أئمته حول بعض القضايا الفرعية التى اتخذت من عصر التراجع الحضارى.. ومن قبل تيارات الجمود والتقليد منطلقات لشبهات ضد أهلية المرأة وإنصافها فنفذ إلى فقه النصوص التى يصورها البعض شبهات وعقبات على طريق تحرير المرأة وإنصافها، فإننا سنجد الآفاق واسعة وفسيحة وممتدة أمام إنهاض المرأة بالإسلام وليس بتجاوز الإسلام كما يريد المتقربون من غلاة العلمانيين.

الهوامش:

١ - الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، جـ٤ ص٦٠٦ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة - طبعة القاهرة ١٩٩٣م.

٢ - المصدر السابق جـ٤ ص٦٠٦ - ٦١١، وجـ٥ ص٢٠١، ٢٠٣.

ردا على افتراءات ومزاعم خصوم الإسلام

الدكتور سليم العوا فى ندوة: «الإسلام والأديان الأخرى»

الذين أساءوا فهم الدين اتخذوا منه مصدرا للهيمنة ووسيلة للظلم والعدوان

لا أظن أن دينا تعرض لسيل من الحملات المسعورة والدعاوى المشبوهة لأصحاب الأقلام المسمومة والصحف المأجورة مثلما تعرض الإسلام. ذلك البناء الشامخ والطود العظيم الذى تهاوت عليه كل معاول الهدم والتخريب وارتدت عنه السهام المسمومة إلى نحور أعدائه والكائدين له.. فهذا الدين الخاتم لكل الأديان قبله، لابد وأنه جاء لما يصلح حال البشر ويفك قيود العبودية التى كبلت الناس طويلا وسيبقى نور هذا الدين ساطعا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ التوبة: آية ٣٢.

وفى هذا الصدد نظمت جمعية خريجى الجامعات الأمريكية ندوة عن الإسلام والأديان الأخرى حضرها بعض رجال الفكر والإعلام وعدد من مندوبى السفارات الأجنبية.

متابعة: مصطفى إبراهيم خيان

استضافت الندوة أحد فرسان الفكر الإسلامى المستنير ليضع النقاط فوق الحروف ويدحض مزاعم وأباطيل خصوم الإسلام وهو الدكتور سليم العوا بما له من باع طويل فى الدفاع عن الإسلام ورد مزاعم خصومه.

أدار الندوة الدكتور وجيه محمد شندى رئيس الجمعية والذى أكد فى البداية على أن تلك الندوات - التى تعقدها الجمعية ويحضرها ممثلو السفارات الأوروبية والأمريكية ومراسلو الصحافة والإذاعات العالمية - تهدف إلى إبراز صورة الإسلام الناصعة والرد على محاولات التشويه المتعمدة التى يحاول البعض إلصاقها بالإسلام.

دار السلام

أكد الدكتور العوا أن هناك تزييفا لحقائق الإسلام الباهرة وتشويها متعمدا لصورته الناصعة فى أذهان الآخرين، بما ألصق به من تهم باطلة،

وأقاويل مغلوطة تبناها بعض أعدائه، ومنها وصمه بتهمة الإرهاب - وهو دين السلام - ساعدهم فى ذلك صورة الحياة اليومية لبعض المسلمين خلال أحقاب تاريخية مختلفة، وللأسف فقد عممت هذه الصورة على المسلمين جميعا وعلى الإسلام كدين.

ويضيف الدكتور العوا: إن دينا يتخذ من السلم اسما له لا يمكن أن يوصم بالإرهاب، والدين الذى يسمى الجنة دار السلام، والدين الذى تحيته السلام هو أبعد ما يكون عن الإرهاب، وإنما دين ينشد الحضارة وينشد الأمن والخير والرقى للبشرية جمعاء.

وعبر التاريخ الإنسانى تم فهم الدين بصورة خاطئة؛ إذ استغله البعض كمصدر للقوة والهيمنة على الصفوة والعامة على حد سواء، وكوسيلة للظلم والعدوان؛ فباسم الدين اندلعت حروب غير مبررة، وتم كبت حرية الفكر واضطهاد العلم ونكران حقوق الفرد.

الإسلام لا ينهى المسلمين عن إقامة علاقات طبيعية وطيبة مع أصحاب الديانات الأخرى

الدين الحق

وأشار الدكتور العوا إلى أن أصحاب كل دين من الأديان يرون أنه الدين الوحيد الحق، وكل دين من المفترض أنه جاء من عند الله لهداية الناس، ولو أن دينا واحدا ادعى أنه يملك جزءا من الحقيقة وبقية الحقيقة للأديان الأخرى لكان ذلك نقصا فى هذا الدين.

والدين الإسلامى يعترف بالأديان الأخرى ويقرها على عكس الديانات الأخرى.

الخضوع لمشيئة الله

والمفهوم الإسلامى للدين يقرر أن الدين ليس ضرورة روحية وفكرية فحسب، بل ضرورة اجتماعية وعالمية أيضا ليس لإرباك الناس وإنما لهدايتهم، وليس للتقليل من شأن الإنسان ولكن للسمو بأخلاقه وفتح آفاق رحبة من الخير والفكر والعمل الصالح أمامه، وكلمة إسلام تعنى الخضوع لمشيئة الله وطاعة قوانينه وأوامره، فبهذه الطاعة يتحقق السلام الحقيقى للإنسان وينعم بالصفاء والأمان.

منزلة الإنسان بين المخلوقات

وقال الدكتور العوا: إن من يجيل النظر فى الإسلام سوف يكشف عن صورته الناصعة المبهرة، وسيعرف أن على المسلم الحق أن يؤمن بأركان أساسية فى الإسلام لا يحيد عنها وهى الإيمان بالله جل جلاله والإيمان بالملائكة وبالكتب جميعا.. كتب إبراهيم وموسى وداود وعيسى ومحمد، والإيمان بالرسل جميعا دون تفرقة بين أحد منهم والإيمان بيوم القيامة ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**﴾ البقرة: آية ٢٨٥.

كذلك الإيمان بقدرة وعلم الله الذى لا حدود له، والإيمان بأنه خليفة الله فى أرضه وتلك الحقيقة ذات معنى عظيم تؤكد على أن للحياة غرضا جليلا يتجاوز حدود الاحتياجات اليومية للإنسان، فالغرض منها عبادة لله، ومعرفته وطاعة أوامره وإقرار قوانينه وسننه.

ومن صور الإيمان أيضا التى يجب أن يتحلى بها المسلم أن يؤمن بأن للإنسان منزلة رفيعة بين سائر المخلوقات ولابد أن يكون مكرما كما أراد الله له، والإيمان بأن على الإنسان أن يسعى فى هذه الحياة، ويؤمن بأن إيمانه لا يكون مكتملا إذا اتبعه بشكل أعمى دون إمعان للفكر أو إعمال للعقل.

وحدة الأصل

وحدد الدكتور العوا مفهوم الأخوة فى الإسلام مبينا أنه يقوم على أساس من الإيمان الراسخ بوحدانية الله وبوحدة البشر ووحدة الدين كوسيط للعبادة بين الله وبين البشر، ويؤمن المسلمون بوحدة البشر من ناحية الأبوة الأصلية والمصير النهائى؛ فمصدر الخلق هو الله تعالى، ومصدر الأبوة هو آدم عليه السلام، وكل كائن حى إلى زوال، ثم يحاسب كل إنسان على ما قدم فى حياته.

التسامح فى الإسلام

وشرح الدكتور سليم العوا طبيعة العلاقة بين الإسلام والأديان الأخرى مفندا لمزاعم البعض الباطلة عن الإسلام فقال: إن مسألة التسامح وقبول الديانات الأخرى هى ركن أساسى فى الإسلام والمجتمع الإسلامى بوصفه خاتم الديانات السماوية؛ فقد جاءت قبله اليهودية والمسيحية، وقد كان لهما تواجد فى الجزيرة العربية، وقد اعترف بهما الإسلام وفضل أصحابها على عبدة الأوثان، وقد شدد القرآن الكريم على أن الإيمان يشمل المساواة بين جميع الأنبياء، بل إن القرآن احتفى بهؤلاء الرسل ووضعهم فى المنزلة اللائقة بهم، ومن يتصفح القرآن الكريم سيرى أن ثلث ما جاء به تقريبا يتحدث عن تاريخ موسى واليهود، وأن المسيحية كديانة والمسيح كنبى والسيدة مريم العذراء قد ورد ذكرهم جميعا بصورة كلها تقدير واحترام.

ومسألة الإيمان بديانة دون أخرى ليست مسألة دنيوية أوتخضع لأحد من البشر وإنما هى شأن خاص بالله تعالى يعذب من يشاء ويعفو عمن يشاء.

مفهوم الأخوة فى الإسلام قائم على أساس من الإيمان بوحدانية الله ووحدة البشر والدين

يوم الفصل

وقال الدكتور العوا: إن القرآن الكريم قد أوضح أن من يرفضون الامتثال لتعليمات الله وقبول كتابه الخاتم سيكونون من الخاسرين فى الآخرة، ويجب أن نتعامل بوعى شديد مع هذا المفهوم حينما نتحدث عن الديانات المختلفة وأتباعها، وبعبارة أخرى فإن وقت حل التمايزات الدينية هو يوم القيامة حيث يرجع ذلك لله وحده ، وفى عالمنا الدنيوى لا يمكن تخصيص دول بعينها لديانة محددة مع إغلاق الباب أمام أتباع الديانات الأخرى؛ لذلك كان من الضرورى أن يخاطب القرآن نوعين من التفاعل الإنسانى..

الأول يتصل بتمثيل ديانة المرء، والآخر يعنى بالمعاملات والتعاملات مع متبعى الديانات الأخرى.

والقرآن الكريم ينص على أن الدعوة يجب أن تكون على أساس من الحكمة والموعظة الحسنة فيما يخص النوع الأول من المعاملات: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾** النحل: آية ١٢٥.

أما بالنسبة للنوع الثانى فإن القرآن الكريم يقرر أن الله لا ينهى المسلمين من إقامة علاقات طبيعية مع متبعى الديانات الأخرى الذين لم يحاربوا المسلمين فى دينهم **﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾** الممتحنة: آية ٨.

رثــاء

فى المرحوم الأستاذ أنور الجندى

شعر: حبيشى حسن حسين شعبان

أَفَلَتْ شمـوس العلم والأقـلام ... وبحـسـرة القـراء والعلمـاء
يأنْورَ الجِنْدِى عـشت مناضـلا ... بالعلم للأوطان بالأرجـاء
يأنور الجندى كنت مكافـحـا ... للذل للإقـلال للجـهـلاء
لله دَرُّك كـاتبـا ومـؤلفـا ... للعلم للأنوار للأحـيـاء
قرأ الصغير مع الكبير مآثرا ... ومـعـارفـا بالحكمـة الغـراء
موسوعة الإسلام يا ذخر الورى ... بالبـحث والتـأليف بالآلاء
من لى ببعـدك راحـة ورحـابة ... وقـراءة الأعـمـال كل مسـاء
يامـوت أنت حـرمـتنا فى نعيـه ... من شخصه من قمة العلماء
نلت الرضا من خالق من واهب ... بقناعـة فى العـيش دون رخـاء
وكتـبت للأحـيـاء ذخر هداية ... وَضَّاحـة للعـقل والفطنـاء
ونهضت بالأرواح يانور الفلا(1) ... بالبحث بالتنوير للقـراء
شَرُفت بك الأوطان يا رمز العُلا ... ببـراعـة التأليف بالسـراء
ومنحت مالك للفقير سخاوة ... بحلاوة الإيمان والرحـمـاء
ورفعت ديروط الشريف مكانة ... مرمـوقة الأمجاد والعظمـاء
ورضيت بالبنت الوحيدة حامدا ... بقناعة بالفطرة السمحـاء
فاهنأ بفيض الله فى ملكوته ... وبجنة الفردوس فى العليـاء
واهنأ بذكر فى النفوس جميعها ... وريادة العلمـاء والأدباء

---

١ ـ الفلا : الخلاء الواسع.

جهالة الإنسان والكون

يعشق الإنسان المجادلة بالحق أو بالباطل، وتستهويه ملامح العظمة والكبرياء، ويملؤه الغرور بالقوة، ويفتنه المال والجاه والسلطان، فينسى أنه ضعيف تقعده حشرة، وتقتله لدغة، وتودى به نزلة برد أو ضربة شمس، وإنه لولا العقل الذى منحه الله له للتدبر فى كونه العجيب لكان أقل المخلوقات شأنا وأضعفها قدرة، ومع ذلك فإنه أكثر المخلوقات لجاجة وعنادا، حتى مع خالقه الذى بيده كل أمره.

يبين لنا ذلك كله القرآن الكريم فى آيات متعددة تشرح كل موقف، وتحلل كل نفس، وتفحم كل معاند، أكتفى فى هذه العجالة بأن أسوق بعضها لتنبيه الغافلين حتى يستيقظوا.

د/ عبدالرشيد عبدالعزيز سالم

يقول الحق تبارك وتعالى **﴿أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾** النمل: آية ٦٤، وحول هذه الآية يقول «الزمخشرى»: إن الله أزاح علل المشركين بالأدلة والبراهين، ومكنهم من المعرفة حتى لا يبقى لهم عذر فى الإنكار، وقال أبو حيان التوحيدى، لما كان إيجاد بنى آدم إنعاما إليهم وإحسانا عليهم، ولا تتم النعمة إلا بالرزق، فإن الله تعالى قال: **﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾**، أى احضروا حجتكم ودليلكم على ما تزعمون إن كنتم صادقين فى أن مع الله إلها آخر، وفى «البحر المحيط» لمحة جميلة عن تناسب ختام كل آية من الآيات الخمس السابقة على هذه الآية مع ما بدأت به من استفهام، يقول: «ناسب ختم كل استفهام بما تقدمه كل آية، فلما ذكر الحق تبارك وتعالى خلق العالم العلوى والسفلى، وما امتن به من إنزال المطر ختمه بقوله: **﴿بل هم قوم يعدلون﴾** النمل: آية ٦٠، أى يعدلون به غيره مما هو مخلوق، ولما ذكر جعل الأرض مستقراً وتفجير الأنهار فيها وفيه التنبيه على الفكر والتعقل، ختمه بقوله: **﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾**، ولما ذكر اجابة المضطر وكشف السوء ختمه بقوله: **﴿قليلا ما تذكرون﴾**، لأن الإنسان يتوالى عليه النسيان عندما يزول عنه اضطراره. ولما ذكر الهداية فى الظلمات، وإرسال الرياح مبشرات ومعبودات المشركين لا تنفع ولا تسعف ختمه بقوله: **﴿تعالى الله عما يشركون﴾** النمل: آية ٦٣، ويقول الأستاذ سيد قطب فى الظلال: «إن بدء الخلق حقيقة واقعة لا يملك أحد إنكارها، ولا يمكن تعليلها بغير وجود لله ووحدانيته لأن وجود هذا الكون ملجئ للإقرار بوجوده، وقد باءت بالفشل المنطقى كل محاولة لتعليل وجود هذا الكون على هذا النحو الذى يظهر فيه التدبير والقصد بغير الإقرار بوجود الله ووحدانيته، لأن آثار صنعه ملجئة للإقرار بوحدانيته. فعليها آثار التقدير الواحد، والتدبير الواحد، وفيها من التناسق المطلق ما يجزم بالإرادة الواحدة المنشئة للناموس الواحد. فأما إعادة الخلق فهذه التى كانوا يجادلون فيها ويمارون، ولكن الإقرار ببدء الخلق على هذا النحو الذى يظهر فيه التقدير والتدبر والقصد والتنسيق ملجئ كذلك للتصديق بإعادة الخلق ليلقوا جزاءهم الحق على أعمالهم فى الدنيا التى لا يتم فيها الجزاء الحق على الأعمال، وإن كان يتم فيها أحيانا

بعض الجزاء، فهذا التنسيق الواضح فى خلقه الكون يقتضى أن يتم تمامه بالتنسيق المطلق بين العمل والجزاء، وهذا لا يتم فى الحياة الدنيا، فلابد إذاً من التصديق بحياة أخرى يتحقق فيها التناسق والكمال».

أما لماذا لم يتم فى هذه الأرض ذلك التنسيق المطلق بين العمل والجزاء، فذلك متروك لحكمة صاحب الخلق والتدبير، وهو سؤال لا يجوز توجيهه لأن الصانع أعلم بصنعته وسر الصنعة عند الصانع، وهو غيب من غيبه الذى لم يطلع عليه أحد.

ومن هذا التلازم بين الإقرار بمبدئ الحياة والإقرار بمعيدها يسألهم هذا السؤال **«أمن يبدأ الخلق ثم يعيده أءله مع الله»**؟.. والرزق من السماء والأرض متصل بالبدء والإعادة سواء.

ورزق العباد من الأرض يتمثل فى صور شتى أظهرها النبات والحيوان والماء والهواء والطعام والشراب والاستنشاق، ومنها كنوز الأرض من معادن وفلزات، وكنوز البحر من طعام وزينة، ومنها القوى العجيبة من مغناطيسية وكهرباء، وقوى أخرى لا يعلمها بعد إلا الله، يكشف عن شىء منها لعباده آنا بعد آن.

وأما رزقهم من السماء فلهم منه فى الحياة الدنيا: الضوء والحرارة والمطر وسائر ما ييسره الله لهم من القوى والطاقات، ولهم منه فى الآخرة عطاء الله الذى يقسمه لهم، وهو من السماء بمدلولها المعنوى، الذى يتردد كثيرا فى القرآن والسنة، وهو معنى الارتفاع والاستعلاء.

وقد ذكر رزقهم من السماء والأرض بعد ذكر البدء والإعادة، لأن رزق السماء والأرض له علاقة بالبدء والإعادة، فعلاقة رزق الأرض بالبدء معروفة فهو الذى يعيش عليه العباد، وعلاقته بالإعادة أن الناس يجزون فى الآخرة على عملهم وتصرفهم فى هذا الرزق الذى أعطوه فى الدنيا، وعلاقة رزق السماء بالبدء واضحة، فهو فى الدنيا للحياة وهو فى الآخرة للجزاء. وهكذا تبدو دقة التناسق فى السياق القرآنى العجيب. والبدء والإعادة حقيقة. والرزق من السماء والأرض حقيقة، ولكنهم يغفلون عن هذه الحقائق فيردهم القرآن إليها فى تحد وإقحام: **﴿أءله مع الله﴾**؟ **﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾**.

لقد عجزوا عن البرهان، كما سيعجز عنه من يحاوله عبر الزمان، وهذه طريقة القرآن فى الجدل عن العقيدة، يستخدم مشاهد الكون وحقائق النفس، فيجعل الكون كله إطارا للمنطق الذى يأخذ به القلوب، ويوقظ به الفطرة ويجلوها لتحكم منطقها الواضح البسيط ويستجيش به المشاعر والوجدانات بما هو مركوز فيه من الحقائق التى تغشِّيها الغفلة والنسيان، ويحجبها الجحود والكفران. ويصل بهذا المنطق إلى تقرير الحقائق العميقة الثابتة فى تصميم الكون وأغوار النفس، والتى لا تقبل المراء الذى يقود إليه المنطق الذهنى البارد، الذى انتقلت عدواه إلينا من المنطق الإغريقى، وفشا فيما فشى فيه من بعض العلوم والمعارف الإسلامية مثل علم التوحيد أو علم الكلام.

لقد منح الله الإنسان من المواهب والاستعدادات ما يجعله أهلا لخلافته فى الأرض وأخفى عنه أسرار الغيب ومكونات الوجود، حتى يظل يبحث وينقب عن سر وجوده، وفى الطريق إلى ذلك يكتشف كثيرا من المخبوء فى باطن الأرض وتراكيبها، ويعدل فى تكوينها وأشكالها، ويبدع فى أنماط الحياة ما يتفق وقدراته حتى يؤدى دوره كاملا فى عمارة هذه الأرض، ويحقق وعد الله فى خلافته فيها، وهذا أقصى ما يملكه على أرضه المتناهية الصغر بالنسبة لمكونات الكون الكبير.

وليس الإنسان فى مملكة الله وحده، فهناك مما نعلم الملائكة والجن وغيرهم مما لا يعلم عن وجودهم شيئا إلا الله، وكلهم فى طريق مرسومة لهم يعملون، والغيب مستور عنهم كما هو مستور عنا، لايصلون إلى كنهه ولا يدركون مداه، ويمتد سلطان الله عليهم فيسجدون له ويطلبون رضاه. **﴿ولله يسجد من فى السموات والأرض﴾** الرعد: آية ١٥، ونحن فى عالمنا الصغير لا نملك شيئا من عوالمهم، وليس فى مقدورنا الإحاطة بها، لهذا كان قول الحق تبارك وتعالى لرسوله الخاتم محمد ﷺ: **﴿قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله﴾**

النمل: آية ٦٥، وهذا منتهى التحدى الإلهى فمن يرده؟ ومن له دليل على غير ذلك **﴿ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب﴾** الحج: آية ١٨، **﴿ألم تعلم أن الله يعلم مافى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير﴾** الحج: آية ٧٠.

﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ البقرة: آية ١٠٧.

﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب﴾ التوبة: آية ٧٨.

﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾ الزخرف: آية ٨٠.

﴿أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض﴾ الأعراف: آية ١٨٥.

﴿أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت﴾ يونس: آية ٣١.

يقول ابن كثير: يسجد لعظمة الله كل شىء طوعا أو كرها، الملائكة فى أقطار السموات، والإنس والجن وسائر المخلوقات فى العالم الأرضى، والجبال والأشجار، والأنهار، والبحار، والحيوانات، بل وكل الأجرام تسجد لعظمته سجودا فى انقياد وخضوع. وقد خص الله الشمس والقمر والنجوم بالذكر لأنها قد عبدت من دون الله، فبين الحق سبحانه أنها تسجد لخالقها وأنها مسخرة بأمره، وهى فى اتساقها ونظامها ووحدتها منقادة لله وحده تجرى على وفق أمره وتدبيره لا يشذ منها شىء إلا ذلك الإنسان فهو وحده الذى يتفوق **﴿وكثير من الناس﴾** الحج: آية ١٨، يسجد لله خاشعا خاضعا مقرا بوحدانيته وعلمه وسلطانه **﴿وكثير حق عليه العذاب﴾**، بكفره وعصيانه وعناده واستكباره واستعلائه، فما أعجب ذلك الإنسان، وما أغرب خروجه على هذا الموكب المتناسق فى ملك الله.

إن علم الله كامل لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء، لا يدخل على علمه سهو أو نسيان أو غفلة، لأن هذه الأحوال تعترى البشر من مؤثرات هى من أسرار مكوناتهم وطبائعهم. أما علم الله سبحانه فهو يضم كل شىء ويحتويه من غير زيادة ولا نقص، وحين نتأمل بعض مافى السماء والأرض، ونقرن علمنا بشىء منها، يصيبنا الكلال والوهن، ويعترينا الذهول والحيرة، فلا نملك إلا التسليم والخضوع لما هو كائن. أما هو سبحانه فيمتد علمه إلى الأعمال والنيات والخواطر والحركات فى عالم المنظور وغير المنظور **﴿ألم تعلم أن الله يعلم مافى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب﴾** الحج: آية ٧٠، وكيف لمن خلق الشىء ألا يعلمه؟ إن ذلك على الله يسير. ولكن عناد المشركين ومنازعتهم لله فى منهجه المستقيم مستمر ودائم، لذلك فهم محرومون من عون الله ونصرته، **﴿وما للظالمين من نصير﴾**، وكيف ينصرون؟ والله وحده مالك السموات والأرض برحمته أفسح لهم دنيا يعيشون فيها، وأعطاهم من نعيمها مالا يقدرون على صنع مثله، وأخرج لهم من بطنها طعاما مختلفا ألوانه، ورزقهم من حيث لا يعلمون، ثم بعد ذلك يعاندون رسله ويقتلونهم من غير حجة أو دليل، يلجأون إلى العنف والبطش عندما تعوزهم الحجة ويخذلهم الدليل، وذلك شأن الجبابرة المغرورين فى كل زمان، تهيج فيهم روح البطش، ولا يستمعون إلى كلمة الحق، لأنهم يدركون أن ليس لهم ما يدفعون به هذه الكلمة إلا البطش، ويتصورون أنهم بذلك منتصرون، ولكن الله وإن أملى لهم يقرع آذانهم بقوله الحق **﴿وما للظالمين من نصير﴾**، **﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب﴾** التوبة: آية ٧٨، **﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور﴾** غافر: آية ١٩، ومع ذلك فهم يتصورون أنهم قادرون على إخفاء أعمالهم، والابتعاد بها عن رقابة الله والجزاء عليها، ويحاولون بدهاء ومكر أن يخادعوا الله وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون.

إن المتجبرين فى الأرض مهزومون وإن بدا على السطح أنهم منتصرون.

إنهم فى دائرة الوهم يعيشون وإن تسلحوا بكل مخترعات الشر التى أنتجوها.

وفى النهاية لن ينتصر إلا الحق وإن طال الزمن.

حسين أحمد أمين: هل هو أمين (٢) ؟!

فى تأملاته عن «حقيقة أمر السلف الصالح» قدم الأستاذ حسين أحمد أمين «هزلا» سماه «اجتهادا».. و«افتراء» سماه «تجديدا».. وذلك عندما سود الصفحات التى خلص منها إلى رأى قاطع قال فيه: «إن ماضينا هو ـ إلى حد كبير ـ من نسج خيالنا نحن وخيال مؤرخينا..»؟!(١) هكذا بكل «الثقة» وكامل «اليقين»!.

وإذا كان هذا الماضى ـ الذى هو من أمضى أسلحة الأمة فى الحروب الضروس القائمة ضدها اليوم ـ هو «خيال»، نسجه «خيالنا وخيال المؤرخين».. فماذا يكون نزع سلاح الأمة المحاربة التى فرض عليها القتال، إذا لم يكن هذا التقييم لماضى الأمة نزعا للسلاح، يتزامن مع نزع كل أنواع السلاح فى ديار العرب والمسلمين من دون الناس أجمعين؟!..

أ.د. محمد عمارة

إن الثقافة الغربية قد صنعت من أساطير اليونان علما، تعبدوا ويتعبدون ـ ومعهم «التنويريون ـ العلمانيون» من أبنائنا ـ فى محرابه ـ محراب هذه الأساطير؟!.. ومع ذلك يقال هذا عن تاريخنا الذى خضعت رواياته لقواعد علم «الحديث» فى «الجرح والتعديل» ـ وهو علم يمثل إحدى مفاخر حضارتنا، باعتراف الغربيين أنفسهم ـ فهل ينتسب هذا التقييم إلى «العدالة العلمية»؟.. أم إلى «فسق الرأى» ـ بتعبير «سلفنا الصالح»؟!..

وإذا كان تاريخنا خيالا.. فكيف «مسخ» «الأستاذ» حسين أمين «رمز» سعد بن أبى وقاص فى الخيال الإسلامى.. فحوله من مكانته كواحد من طليعة السابقين إلى الإسلام، والعُمُد التى أقامت الدين، وبنت الدولة، وأحد المبشرين بالجنة.. حوله من هذه المكانة إلى مكانة الرجل الذى لا يعدل إذا قضى.. ولا إذا قسم بين الناس؟!.. بل والذى لا يحسن حتى «الصلاة» ـ التى أسلم حتى قبل أن يفرضها الله على المسلمين؟!

وياليته قال إن هذا هو رأيى، الذى أخالف به دنيا المسلمين، من رسول الله ﷺ إلى آخر كتاب السيرة والتاريخ.. ليته صنع ذلك بحسبانه مذهبا يذهبه أو رأيا يراه.. بل الطامة الكبرى أنه يقدمه بحسبانه «حديثا» من «الأحاديث» التى ينقلها عن كتب السنة النبوية ـ برواياته وعنعناته ـ ليقول لنا إن «سعدا: الرمز» هو «خيال المؤرخين».. أما «سعد: الحقيقة» و«حقيقة السلف» فلا علاقة لها بهذا المقام العظيم؟!

يسوق «الأستاذ» حسين أحمد أمين هذه «الجناية» على رموز الأمة وأبطالها ـ والتى «نضبطه» الآن متلبسا بها.. و«نحرر» وقائع «الضبط» ونعرضها على الأمة، طالبين منها الرأى فى أهل «التنوير ـ الجديد» و«الاجتهاد الشاذ» ـ

لتبين الأمة أهل «العدالة» العلمية من أصحاب «الفسوق فى الرأى»!

لقد عرض «الأستاذ» حسين صورة سعد بن أبى وقاص فى صورة حديث يقول:

«عن جابر بن سمرة: شكا أهل الكوفة سعد بن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب، فقالوا: إنه لا يحسن أن يصلى فبعث عمر رجالا يسألون عنه بالكوفة، فقيل لهم: أما إذا نشدتمونا بالله، فإن سعدا لا يعدل فى القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسَّرِيَّة».

فهو قد قدم إلى القراء «حديثا» بسنده، وميزه بين الأقواس - («.....») - ليقول للقراء: هذا هو «سلفكم الصالح».. وتلك هى «حقيقته» التى لا علاقة لها «بالخيال» الذى صنعتموه أنتم وكتاب التاريخ!..

وأذكر أن «الأستاذ» حسين قد كتب هذا أول ما كتبه، «مقالا» فى مجلة «المصور» - القاهرية - عندما «وظفت» كتاباته لمواجهة التيار الإسلامى، بعد انتخاب سنة ١٩٨٤م، التى دخل فيها بعض ممثليه إلى مجلس الشعب للمرة الأولى متحالفين مع «حزب الوفد الجديد».. ولم أكن أتابع المجلة. حتى لقينى الأستاذ الدكتور جلال أمين - شقيق «الأستاذ» حسين - فحدثنى عن رغبة حسين فى أن يعرف رأيى فيما يكتب. فكان مقاله «تأملات فى حقيقة أمر السلف الصالح» هو أول ما قرأته من هذه المقالات.

ولفت نظرى، يومئذ، أن الكاتب لا يذكر مصدرا واحدا لأى اقتباس يقتبسه أو نص يستشهد به!.. الأمر الذى يُصَعِّب على الإنسان التحقق من صدق الاستشهاد ودقة الاستنتاج!.. وزادت حيرتى أمام «الحديث» الذى قلب به صورة سعد بن أبى وقاص إلى أن لقيته - فى دار الشروق - بمصر الجديدة - صدفة - عقب نشره لهذا المقال.. ودار بيننا حديث سألته فيه عن الحكمة فى تصوير تراثنا وأعلامنا ورموزنا على هذا النحو، فى زمن هم أسلحتنا فيه، ونحن «نحارب» .. سألته:

- لمصلحة من تنزع سلاح الأمة، فهى فى حالة حرب؟!..

ففاجأتنى إجابته:

- أنا أريد أن أشكك فى كل شىء!

ودار بيننا حوار حاولت فيه التمييز بين «الشك المنهجى» - الذى هو السبيل إلى اليقين - وبين «الشك العبثى» الذى يشكك من أجل الشك!.. ثم سألته:

- من أين أتيت بـ«الحديث» الذى صورت به سعد ابن أبى وقاص على هذا النحو؟!

فقال:

- من (طبقات ابن سعد).

فلما عدت إلى مكتبى، راجعت كل ما جاء عن سعد بن أبى وقاص فى (طبقات ابن سعد) فلم أجد أثرا لهذا «الحديث»؟!.. لكن الحمية لم تدع للنوم سبيلا إلىّ.. فظللت أبحث فى فهارس «الأحاديث» وكشافاتها حتى وصلت إلى «الحديث» فى صحيحى «البخارى» و«مسلم» وفى (الموطأ) للإمام مالك، وفى (مسند) الإمام أحمد.. وهنا كانت المفاجأة المذهلة.. بل الفجيعة فى أمانة وعدالة «الأستاذ» حسين أحمد أمين؟!

وحتى لا أطيل.. ولا أتدخل أنا فى الحكم والتقييم.. فسأنقل نص الحديث كاملا من البخارى ومسلم ثم أدع المقارنة والحكم والتقييم للقراء.. وللأمة التى يتقدم إليها «الأستاذ» حسين كرمز «للتنوير» الجديد و«الاجتهاد الإسلامى» الحديث!..

يقول النص الكامل للحديث:

«حدثنا موسى، حدثنا أبو عوانة قال: حدثنا عبدالملك بن عمير، عن جابر بن سمرة قال:

شكا أهل الكوفة سعدا إلى عمر رضي الله عنه فعزله، واستعمل عليهم عمارا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلى، فأرسل إليه، فقال:

- ياأبا إسحق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى.

- قال أبو إسحق: تُعَلِّمُنى الأعراب الصلاة؟! أما أنا والله، فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله

ﷺ ما أَخْرِمُ عنها، أصلى صلاة العشاء فأركد - (أطيل وأديم وأمد) - فى الأولين، وأُخِفّ - (أقصر) - فى الأخريين.

- فقال عمر: ذاك الظن بك يا أبا اسحق.

فأرسل معه رجلا - أو رجالا - إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه، ويثنون معروفا، حتى دخل مسجدا لبنى عبس، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة، يُكنى أبا سعدة، قال: أمَّا إذ نشدتنا، فإن سعدا كان لا يسير بالسّريَّة(٢)، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل فى القضية.

- قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا، قام رياء وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرِّضه بالفتن.

فكان، بعد، إذا سئل - (أى أسامة بن قتادة) - يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتنى دعوة سعد. قال عبدالملك - (بن عمير - راوى الحديث) -: فأنا رأيته، بعد، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجوارى فى الطرق يغمزهن»!.

هذا هو النص الكامل للحديث. يصف فيه عمر - حتى قبل سماع رد سعد بن أبى وقاص على الشكوى - يصف فيه اتهام سعد بأنه لا يحسن الصلاة، بأنه «زعم»؟!.. ويبين فيه سعد أنه إنما كان يصلى فى الناس بصلاة رسول الله ﷺ، وأن بعض «الأعراب» قد ظنوا أن الإطالة فى الركعتين الأوليين من العشاء، والتقصير فى الأخريين ليس من قواعد الصلاة، فكانت شكوى هذا النفر من «الأعراب».. وفيه تأمين عمر على قول سعد: «ذاك الظن - (أى اليقين) - بك، يا أبا اسحاق»!

وفى الحديث أيضا، أن «المحقق» الذى أرسله عمر إلى الكوفة ليتحقق من وقائع شكوى أهلها ضد سعد بن أبى وقاص، قد ذهب بصحبة سعد، **فسأل «أهل الكوفة، ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه» أهل هذا المسجد.. والجميع يثنون معروفا» على سعد.. إلا رجلا واحدا، من «أعراب» عبس، هو الذى انفرد باتهام سعد بهذه الاتهامات.. فدعا عليه سعد، إن كان كاذبا، أن يطيل الله عمره، وفقره، ويعرضه للفتن.. فاستجاب الله دعوة سعد ابن أبى وقاص، لأن اتهام هذا «الأعرابى» لسعد - وانفراده بهذه الاتهامات دون أهل الكوفة ورواد سائر مساجدها - إنما كان «رياء وسمعة»؟!..**

هذا هو الحديث الذى أخذ منه «المجتهد» حسين أحمد أمين «الاتهام».. وأغلق «القوس» دون «التحقيق» و«حكم البراءة»، وثناء عمر بن الخطاب وأهل الكوفة على سعد بن أبى وقاص.. صنع «المجتهد» حسين أمين هذا وقدمه إلى القراء فى صورة «حديث» مسند ومعنعن - ليهدم رموز الإسلام، وليهدم أبطال حضارته.. وليجرد الأمة من سلاحها وهى تخوض حربا ضروسا على العديد من الجبهات!

فهل هذا هو «الاجتهاد الإسلامى الجديد»؟!.. وهل هذا هو «البديل التنويرى» لـ«عدالة العلماء»؟! وهل بهذا «الفسوق الفكرى» نواجه «الغلو الإسلامى»؟!.. أم أن ذلك هو «الغلو العلمانى» الذى يستفز ضمير الحليم، ويفجر براكين «الغلو» فلا تبقى ولا تذر شيئا فى حياتنا إلا وحكمت عليه بالكفر والجاهلية ومعاداة الإسلام؟!

هذا مثال لغيبة «الأمانة».. والعدالة» فى الحديث عن الإسلام.. حديث «تلامذة التنوير - الغربى - العلمانى».. والذى يقدمونه باعتباره «الاجتهاد الإسلامى الجديد».. بل ويرونه «فرضا» عليهم، وليس مجرد «حق» من «الحقوق»!..

فهل «فرض» عليهم أن «يفرضوا» علينا هذا «الفسوق الفكرى»؟!

الهوامش:

١ - انظر كتابه (حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية) ص١١٢ طبعة بيروت سنة ١٩٨٥م وفى كتابه (الاجتهاد فى الإسلام: حق هو أم واجب؟) ص١٧٢ - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

٢ - أى لا يخرج قائدا للسرية فى الغزو. وقد تعنى أنه لا يسير فينا السيرة النفيسة.

طه أبو خليفة فى ذمة الله

حكم المهيمن فى الخلائق مبرم
من ذا يرد قضاءه إذ يحكم

حقا لا رد لقضاء الله، فقد شاءت إرادته سبحانه أن يرحل عن دنيانا ابن بار من أبناء هذه الأمة الذين قدموا عطاء بلا حدود خدمة لدين الله وتمكينا له فى الأرض هو الأستاذ الدكتور / طه إبراهيم أبوخليفة عميد كلية الصيدلة بجامعة الأزهر سابقا، ومقرر لجنة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.. والفقيد من مواليد ١٩٤١/٣/١١م، وعمل أستاذا للعقاقير الطبية وعميدا لكلية الصيدلة جامعة الأزهر، وله العديد من الكتب والبحوث فى مجال التداوى بالعقاقير الطبيعية ـ وربط العلم الحديث بما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولاشك أن وفاة عالم من العلماء خسارة للعلم وأهله كبيرة فإذا كان العالم من المرموقين المتضلعين بالعلم فالخسارة أجل من أن تقدر ، لذا كانت خسارتنا بوفاة د. طه أبو خليفة جسيمة جسيمة.

إن موت طه إبراهيم أبوخليفة فاجأنا وآلمنا وإنا على افتقاده لمحزونون، نرجو الله أن يتغمده برحمته ورضوانه وما عند الله خير وأبقى، (سائلين الله) عز وجل أن يعوضنا فيه خيرا إنه خير مسئول.

لقد جمع الفقيد ـ رحمه الله ـ بين العصامية والذكاء وطوى فى عمره القصير آثارا طويلة فى تحصيل العلم وعاش عف اليد والضمير مذكورا مشكورا بكل لسان، حسن الصحبة، مأمون السريرة فكل من يعرفون فيه ما كان من سماحة ونبل خلق ونفس طيبة تتجافى عن العنف إلا فى الحق وتستمسك بالاتزان والوقار الذى لا تشوبه شائبة من شوائب التكلف أو التصنع.

إن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية إذ يودع عضوا جليلا من أعضائه المخلصين ليستمطر شآبيب رحمة الله على جسده الطاهر، جعلنا الله وإياه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رئيس التحرير

أعمال النافى الميزان

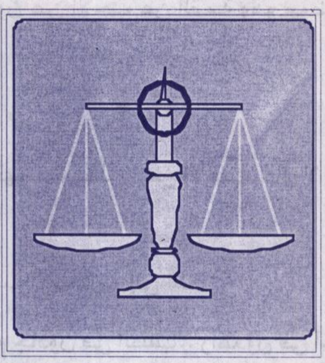

د / محمود محمد عمارة

عن عائشة - رضى الله عنها أنها قالت: سئل رسول الله ﷺ : أى الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أدومها.. وإن قلَّ. وقال: اكلفوا من الأعمال ما تطيقون. وفى رواية «كان عمله ديمة»(١).

تمهيد

كان القائد الرومانى عسكريا ناجحا.. حقق لبلاده انتصارات حاسمة.. ولما فُتن جنوده به قرروا أن يجعلوه ملكا..

وقَبل المنصب عل مضض قائلا لهم:

«لقد فقدتم قائدا ناجحا.. وصنعتم ملكا تعيسا»!

ويعنى ذلك:

أن الإنسان إذا قلّد عملا يناسبه.. ثم يطيقه.. ويحبه.. فذلك أجدى عليه وعلى أمته من عمل فوق طاقته.. غير منسجم مع قدراته الفردية..

والمهم دائما أن نسأل الإنسان:

كيف عملت.. لا كم عملت.

وإذا كان الكم مهما.. فإن الكيف أهم.

والحديث الشريف يرمى إلى أخذ المسلم بهذا المعنى:

لقد قام عبدالله الليل. فترك قيام الليل.!

أى أنه حمَّل نفسه فوق ما تطيق من الأعمال.. فكان ذلك المنبت:

لا أرضا قطع.. ولا ظهرا أبقى..

والمفروض أن يرفق المسلم بنفسه.. وكما يقولون:

لابد من الراحة.. فإن قاطع مرحلتين فى مرحلة واحدة.. لابد أن يقف.

والرواحل إذا تعبت.. نهض الحادى ينشدها:

وإذن.. فأخذ الراحة فى الجد.. جد..

وغـوص البـحـار فى طلب الدر.. صـعـود.. لا هبوط!

ومع أن السجود هُوِىّ.. إلا أن العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد!

وقفات.. بين يدى الحديث الشريف

١

راوية الحديث هى أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ :

إنها المثال النادر للزوجة الوفية الصالحة.: فهى تقف مع زوجها.. قناة من قنوات العلم.. تنقل عنه ﷺ خير ما يقول. وأفضل ما يعمل.

وصـحـيح أنها لم تنجب.. لكن ذلك لم يشكل قضية تستنزف طاقة البيت.. فى مراء وشقاق..

لم يكن لها أولاد.. نعم..لكنها استطاعت بما نقلت من علم.. أن تحيى أمما وأفرادا.. صاروا بالعلم لها أولادا!

٢

ومن السؤال.. بدت رغبة الرجال فى مزيد من العمل.. سبيلا إلى تحقق الأمل..

لقد كانوا يسألون:

أ ـ متى كان النبى ﷺ يقوم للصلاة؟

ب ـ وكيف؟

جـ ـ وكم كان يصلى؟

د ـ وهل كـان يخص بعض الأيام أو الأوقـات بشىء؟

هـ ـ ثم.. وأى الأعمال كانت أحب إليه وإلى الله تعالى؟ يسألون عن الأحب عن القمة وهو موضوع حديث اليوم.

٣

ولاحظ أنهم يسألون عن الأعمال لا عن الأقوال:

ثم عن أحب الأعمال.. إلى الله.

وإذن: فهم جادون فى الطلب.. زاهدون فى أحب الأعمال إلى الناس.. مما يتنافس فيه طلاب الدنيا.

ثم يسألون أهل الذكر.. وهو الرسول ﷺ.. ولئن كانوا فى أحاديثهم ينتقون أطايب الكلام.. كما ينتقون أطايب الثمر.. فإن لهم مع الأعمال شأنا آخر.. تلك الأعمال التى كانوا يفضلون منها النجائب.. والتى يستصحبونها فى سفر طويل.. وعلى كل ضامر.

٤

وكان الجواب النبوى مقنعا: (أدومها.. وإن قل).

ونتساءل عن فقه الجواب.. ونستمع إلى الرد من علمائنا الذين فصلوا الجواب تفصيلا:

أ ـ العامل المداوم: ملازم للخدمة. كثير الترداد.. أما غيره: كالمُعرض بعد الوصل فيذم ويجفى.. ومن ثم فمن كثر تردده إلى باب الطاعة.. جوزى بالبر.

ب ـ بالدوام تتمكن ملكة الطاعة فى القلب.. وتمتد فيه جذورها.

جـ ـ قد تفاجأ بالموت.. وإذن مادمت مستمرا فسوف تكون ملاقاته وأنت فى طاعة الله فى مساقط الغيث عكس أولئك المبالغين المنقطعين

والذين قد يفاجئهم الموت وهم فى حال الانقطاع.. فلا ينفعهم عندئذ: لا الإحْجام.. ولا الإقدام!

مغزى الجواب النبوى

إن فى المداومة على الطاعة معنى الإلحاح.. ودوام طرق الباب..

وفى الإلحاح معنى الرجاء والتذلل.. والشعور بالحاجة الملحة والمتجددة.. ورفض الركون إلى سعى الإنسان..

ولقد قال علماؤنا:

«إن المداومة على العمل المفضول أحب إلى الله تعالى من عمل يكون أفضل.. ثم ينقطع».

المهم أن تظل فى مربع الطاعة.. بعيدا عن عفن المعاصى.. أن تظل داخل البيت الآمن.. لا تتخذه مهجورا..

فالدوام هو حجر الزاوية..

وإذا كان إيمانك هو رصيدك فى بنك الحياة.. فإن هذا الرصيد لكى يتنامى. . لابد من «إيداعات» مستمرة.. وإلا تراجع الرصيد..

وهو المعنى الذى أشار إليه ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ فى قوله: «ماندمت على شىء ندمى على يوم غربت شمسه: نقص فيه أجلى.. ولم يزدد فيه عملى!

المهم أن تبقى داخل البستان.. بعيدا عن المستنقع الآسن: ومادمت داخل البستان.. فيستوى أن تكون أميره.. أو أجيره.. فصاحب البستان وأجيره سيان: كلاهما مستمتع بالظل.. والرائحة الطيبة.. والنسيم العليل.. فإذا تصورنا الإسلام بستانا ـ وإنه لكذلك ـ فمادمت فى حماه.. فأنت مشمول بنعمة الله تعالى.. فى مساقط رحمته.. وقد تكون فيه أعمال كبار.. وأعمال صغار.. ولكن:

قليل دائم.. خير من كثير منقطع.. قليل تظل به داخل سور الحديقة.. ودائما..

إن العاطفة الدينية قد تكون قوية غلابة.. ومن ثم يضبط الرسول ﷺ إيقاع السير.. بلا تفريط يقعد بالهمم. وتتحل به العزائم. ثم بلا إفراط.. يبدد الطاقة..

وإذا كان تقدم صاحب العمل القليل بطيئا.. فإنه على أى حال تقدم إلى أمام.. ينأى بك رويدا عن السيئات.. ليصل بك فى النهاية إلى الأعمال العظام التى قد تستعذبها يوما بعدما رضتها على العمل الدائب.. الدائم..

الرائد المربى

عندما سأله رجل أرهقه العمل.. عن عمل يتشبث به قال له: لايزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى..

وفى الذكر طاقة دافعة إلى العمل.. ويكفى أنك تذكر ربك.. فيذكرك ربك سبحانه «فاذكرونى أذكركم».

وهذا هو معنى الكلف بالعمل:

أن تحبه.. الإقبال عليه إقبال عاشق.. طوعا.. لا قدوم ضائق به ذرعا!

وإذا بدا الأمر تكليفا.. فحاول أن تتصوره تشريفا.. لتساعدك نفسك عليه.

وهكذا يوجه رسول الله ﷺ كثيرا من العاملين

فى حقل الدعوة أن يحاولوا الكلف بعملهم.. أن يحبوه.. وسوف يساعدهم الحب على النهوض به.. أما الذين لا يحبونه.. فهم لذلك لا يطيقونه!

وفى حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال(٢): «سألت النبى ﷺ: أى العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها. قال: ثم أى؟ قال: ثم بر الوالدين. قال: ثم أى؟ قال الجهاد فى سبيل الله.. حدثنى بهن ولو استزدته لزادنى».

وأنت واجد فى هذا الموقف أمورا تستلفت النظر: فلم يكتف الصحابى الجليل بالصلاة.. بل سأل عن البر.. ولم يكتف به حتى جاءه الجواب بالجهاد..

وهو تلميذ واع.. ذكى...

وفوق هذا فهو مؤدب يعرف للأستاذ حقه:

فقد كف عن السؤال.. لما رأى مخايل الإرهاق على أستاذه.. ولو سأله لأجابه.

والذى يتصل بحديثنا هو أنه ﷺ قدم الصلاة والبر على الجهاد. لما فى الأولين من توفر عنصر الدوام..

جاء فى فتح البارى: «الذى يقتضيه النظر: تقديم الجهاد على جميع أعمال البدن.. لأن فيه بذل النفس.. إلا أن الصبر على المحافظة على الصلوات وأدائها فى كل أوقاتها.. والمحافظة على بر الوالدين.. أمر لازم متكرر ودائم. لا يصبر على مراقبة أمر الله فيه.. إلا الصديقون».

الرائد القدوة

ولقد كان ﷺ قدوتنا فى هذا الباب «فكان عمله ديمة» أى دائما وكان عمله مفيدا.. يروى القلوب.. ويغذى الأرواح. والديمة تعنى أنه كان مطرا.. كان غيثا: يعنى أنه:

١ ـ مستمر.

٢ ـ مع سكون.. وبلا ضوضاء.

٣ ـ وبلا برق.

٤ ـ ولا رعد..

وكما أن الله تعالى يحيى الأرض بالمطر.. فإنه ـ بالطاعة ـ يحيى قلوب البشر!

واجب المسلم

أن يعمل للآخرة.. بقدر بقائه فيها..

وأن يعمل لله تعالى.. بقدر حاجته إليه..

وأن يعمل للنار.. بقدر خوفه منها.

فإن هو فعل.. كان من الأنس بالطاعة فى روضة من رياض الجنة.. بما نجاه الله تعالى من لجة الدنيا الصاخبة ـ والتى يعيشها من هم أقوى منه.. وأغنى.. وأشهر..

ولكنهم ـ دونه ـ يعانون من آفة العصر وهى: الإحساس بالوحدة..

وكان غريبا أن يحس إنسان العصر بالوحدة.. بالغربة.. وسط هذا الزحام.. وفى كل هذه الأضواء.

الهوامش

١ ـ فتح البارى جـ١١ ص٢٩٤.

٢ ـ أخرجه البخارى: فتح البارى ٢/ ١٠ ـ ١١ كتاب الصلاة. باب فضل الصلاة لوقتها.

من وراء الأخبار

منير بيومى

تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك

ينعقد المؤتمر العام الرابع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية حول

«الإسلام فى عالم متغير»

يعقد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مؤتمره العام الرابع عشر خلال المدة من ٢٠ إلى ٢٣ مايو المقبل تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك ويناقش موضوع «الإسلام فى عالم متغير».

وأكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن المؤتمر يبحث الظروف والمتغيرات التى يعيشها عالمنا المعاصر وبخاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر وما صاحب ذلك من محاولات إعلامية وغير إسلامية من ربط الإسلام بالإرهاب واتهام العرب والمسلمين بمعاداة الحضارة وتشجيع الإرهاب.

وكان من الضرورى مواجهة هذا الظلم الصارخ للإسلام والمسلمين بوقفة موضوعية تبين حقيقة الإسلام من واقع نصوصه الواضحة وتعاليمه الصريحة منذ أربعة عشر قرنا من الزمان للتذكير بما قدمت الحضارة الإسلامية بصفة خاصة للحضارة الأوروبية، ولابد من التذكير أيضا بما قدمته الحضارة الإسلامية من نموذج رائع للتعايش الإيجابى بين الأديان والحضارات.

وقال وزير الأوقاف: إن فى هذا المؤتمر بيان للحقائق وتحديد المفاهيم بإبراز حقيقة الإسلام الذى هو دين الرحمة والسلام، وتوضيح علاقة الإسلام والمسلمين بغيرهم من أتباع الأديان والحضارات، وهذا التوضيح يصب فى نهاية الأمر فى تحديد مستقبل العلاقة بين الحضارتين الإسلامية والغربية.

أضاف: إنه سيشارك فى المؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الإسلامية ـ حيث وجهت لهم الدعوة ـ فى العالم الإسلامى وعدد من المعنيين وكبار العلماء بالإضافة إلى ثلاثين عالما ومفكرا من غير المسلمين فى أوروبا وكندا وأمريكا واستراليا للمشاركة فى

حوار مثمر حول مستقبل العلاقة بين الحضارتين الإسلامية والغربية وإبراز القيم الإسلامية التى تحترم الإسلام فى كل زمان ومكان.

محاور المؤتمر:

وأضاف وزير الأوقاف أن المؤتمر سيناقش أربعة محاور رئيسية أولها خصوصية الإسلام كدين رحمة وسلام، وتكريم الإسلام للإنسان، وحقوق الإنسان فى الإسلام، وكيفية انتشار الإسلام، بينما يتناول المحور الثانى العلاقة بالآخر، ويشمل اعتراف الإسلام بالديانات السماوية السابقة وقضايا الأقليات الإسلامية فى الدول غير الإسلامية، والأقليات غير المسلمة فى الدول الإسلامية.

أما المحور الثالث فيتناول تحديد مفاهيم الجهاد والقتال والعنف والإرهاب والكفاح المشروع للشعوب، والإرهاب وصوره فى تاريخ الأديان والحضارات،

ويتناول المحور الرابع خصائص الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارات الأخرى، والسمات المشتركة بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات، ومستقبل العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارات المعاصرة.

وقال: نأمل أن يؤدى هذا المؤتمر إلى الإسهام فى توضيح الحقائق، ووضع الأمور فى نصابها الصحيح من أجل مستقبل مشرق للإنسانية تتعايش فيه كل الأديان والحضارات.

فى مسابقة وقف الدكتور الفنجرى: التحديات التى تواجه العالم الإسلامى والحل الإسلامى لمواجهة مشكلة البطالة

قررت اللجنة المشرفة على مسابقة وقف المستشار الدكتور محمد شوقى الفنجرى لصالح جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامى إجراء مسابقة عام ٢٠٠٢م فى موضوعين الأول: التحديات التى تواجه العالم الإسلامى، والثانى: الحل الإسلامى لمشكلة البطالة «دراسة مقارنة»، وقد تم تخصيص ثلاثين ألف جنيه جوائز أصلية لأحسن البحوث الفائزة بحد أدنى ألفى جنيه لكل فائز بالإضافة إلى تخصيص عشرين ألف جنيه جوائز تشجيعية للبحوث الجيدة غير الفائزة بالجوائز الأصلية.

ويقدم البحث فى موعد غايته ٣١ مارس ٢٠٠٢م إلى مكتب ناظر الوقف الأستاذ المستشار رئيس هيئة قضايا الدولة بالدور العاشر بمجمع التحرير بالقاهرة، من ثلاث نسخ بما لا يقل عن مائة صفحة ولا يتجاوز المائتين، مع ملخص له من ثلاث نسخ بما لا يقل عن عشر صفحات ولا يتجاوز العشرين.

ويشترط فى البحث المقدم للمسابقة أن يكون معدا خصيصا لها ولم يسبق نشره أو تقديمه لأية جهة أخرى وأن يكون متميزا ويتضمن إضافات جديدة تنفع الإسلام والمسلمين، وألا يكون صاحبه قد سبق له الحصول على جائزة أصلية فى المسابقة خلال ثلاث سنوات سابقة لإتاحة الفرصة لغيره، ويقام حفل توزيع الجوائز بالنادى النهرى لهيئة قضايا الدولة بشارع أبو الفدا بالزمالك يوم الخميس الأخير من شهر يونيو من كل عام.

الأصالة والمعاصرة فى افتتاح الموسم الثقافى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وزير الأوقاف: الصراع بين الأصالة والمعاصرة مصطنع وتقدم الأمة يرتبط بثوابت الدين ومسايرة واقع الحياة

أ. د. محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وعن يمينه أ. د. طه أبو كريشة نائب رئيس جامعة الأزهر

تصوير: سيد الزفزاف

فى إطار محاضرات الموسم الثقافى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمسجد النور بالعباسية والذى يستمر حتى نهاية أبريل المقبل نظم المجلس محاضرة حول «المسلم بين الأصالة والمعاصرة» ألقاها الدكتور طه مصطفى أبو كريشة - نائب رئيس جامعة الأزهر - وشهدها الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق أن الصراع الدائر حول الأصالة والمعاصرة هو صراع ونزاع مصطنع فلا معاصرة بدون أصالة، ولا أصالة دون أن ترتبط بالمعاصرة، مشيرا إلى ضرورة مراعاة متغيرات العصر.

وقال: إنه لا سبيل للأمة الإسلامية فى النهوض بالمجتمع إلا بالجمع بين ثوابت الدين وواقع الحياة، وقال: إن مسايرة واقع الحياة يدفع إلى التقدم والرقى، ولابد من التأكيد على أن الدين الإسلامى له ثوابت لا تتغير ترتكز عليها الأمة، وله متغيرات تلائم الحياة المتجددة وتتغير حسب كل عصر، ومن ثم فإن الأصل هو الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

مشيرا إلى أن الثوابت قد يطرأ عليها غبار وعندها نكون فى حاجة إلى إزالة هذا الغبار مع ضرورة تصحيح المفاهيم من وقت إلى آخر حتى لا تلتصق المفاهيم المغلوطة والأفكار المنحرفة بالإسلام زورا وبهتانا لنؤكد للعالم أن الإسلام دين سلام ورحمة لا يعرف التخويف أو الإرهاب. كما يصوره أعداؤه بأباطيل يحاولون إلصاقها به، ومن هنا فإن الإسلام فى حاجة إلى توضيح حقائقه وتصحيح مفاهيمه للناس بين وقت وآخر.

وأوضح الدكتور طه أبو كريشة - نائب رئيس جامعة الأزهر - أن المعاصرة ملازمة للأصالة على النحو الذى لا يتعارض مع ثوابت الدين فى العقيدة والعبادات والقيم والأخلاق، فالمعاصرة هى التسلح بالعلم ومعايشة الواقع، ولعل هذا يوضح سبب تخلفنالبعدنا عن العلم، وعدم التزامنا بواقع القرآن الكريم وثوابت الدين، لذلك لابد لنا أن نبحث ونستكشف فى آيات القرآن الكريم التى تشتمل على القوة المتجددة فى أى زمان وأى مكان موضحا أن هناك الكثير من الآيات القرآنية التى تؤكد تلازم ثوابت الدين ومتغيرات الحياة ومتطلباتها وفيها قول الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾** الجمعة: الآيتان ٩، ١٠، فالنداء فى الآية يؤكد الموازنة بين أداء العبادة والحفاظ عليها، والانتشار فى الأرض والتفاعل مع الحياة.

د. طه أبو كريشة:

الإسلام يأمرنا بالتفاعل مع متغيرات الحياة والالتزام بثوابت الدين

وقال: إن المعاصرة تعنى معايشة الواقع المتجدد وأن الإسلام أمر بها فى كثير من الآيات التى خاطب فيها المسلمين ومنها قوله تعالى: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾** الأنفال: آية ٦٠، فالقوة هنا متجددة المصادر والأساليب، والأخذ بها يتطلب مواكبة العصر فى كل جديد مع الالتزام بثوابت الدين.

وأضاف إن التمسك بالأصالة والمعاصرة يحتاج إلى ضبط النفس فيهما، وأن الانحراف الذى يحدث فى اتباع ثوابت يأتى بسبب الغلو وعدم الفهم الصحيح لها، والتنازع فى الفرعيات والبعد عن أساس الدين فيتحول الناس إلى الشكليات ويغفلون عن الجوهر مشيرا إلى أن الأصالة التى تعنى ثوابت الدين تتوزع بين العقيدة والعبادات والمعاملات والقيم ولا خلاف فيها، فمهما مرت العصور فهى ملائمة لكل عصر، والالتزام بالمسئولية وأداء الأمانة التى أمر بها الدين ينعكس على مرافق الحياة وما من ثغرة تحدث فى أمور الحياة إلا نتيجة حتمية لعدم التمسك بثوابت الدين، مؤكدا أن الاستمساك بجانب العقيدة يترتب عليه التمكين فى الأرض، لذلك فإن أى تخلف وعدم مواكبة المسلمين لغيرهم فى التقدم سببه خلل فى الالتزام بالثوابت.

وأوضح د. طه أبو كريشة أن الله استخلف الإنسان للعمل وعمارة الأرض، وفى تقدم ورقى الحياة، وعلى المسلم أن يتفكر ويبحث ويدرس وينقب حتى نكون على النحو الذى يضعنا فى مقدمة الأمم وليس فى المؤخرة، مشيرا إلى ضرورة التمسك بالجوهر والبعد عن الشكليات التى لا تقدم ولا تؤخر.

نافذة على الإنترنت

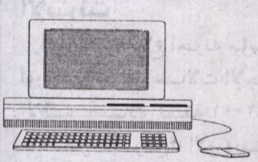

إعداد: منى القاضى

ماذا تعرف عن الحاسب الآلى؟

شهد العالم فى القرن التاسع عشر تطورا هائلا فى جميع المجالات من صعود الإنسان للقمر، إلى زرع الأعضاء البشرية، إلى التحكم فى الجينات الوراثية.. إلى الحاسب الآلى.

ولقد تعددت مسميات هذا الجهاز بالإنجليزية Computer، وبالفرنسية Ordinateur، وبالعربية الحاسب الآلى حيث إنه آلة تفكير وتجيب ما يطلب منها الكترونيا.

● نافذة على الإنترنت ● نافذة على الإنترنت ● نافذة على الإنترنت ● نافذة على

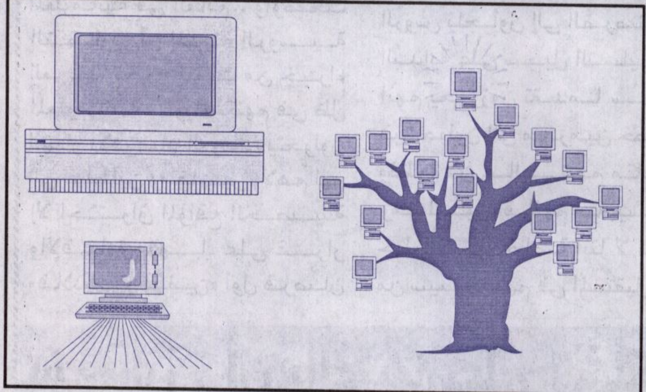

معنى كلمة الحاسب الآلى:

هو عبارة عن جهاز الكترونى يعمل طبقا لمعلومات محددة ويمكنه استقبال البيانات وتخزينها والقيام بمعالجتها بدون تدخل الإنسان ثم استخراج النتائج.

أولا: أنواع الحاسب الآلى:

يمكن تصنيف الحاسب الآلى وفقا لمقاييس معينة:

أ ـ من حيث الغاية:

١ ـ استخدام خاص: وهو مخصص لحل نوع معين من العمليات مثل المستعمل فى الأغراض العسكرية والطبية.

٢ ـ استخدام عام: وهو مخصص لحل جميع العمليات المتنوعة مثل بناء قاعدة المعلومات عن أفراد شركة وما إلى ذلك.

ب ـ من حيث النوع:

١ ـ رقمى Digital ويستخدم فى مسائل تتطلب إجراء عمليات حسابية.

٢ ـ تناظرى أو قياسى Analog وهو جهاز قياسات مثل كمبيوتر الأوزان وما إلى ذلك.

٣ ـ خليط وهو جهاز يحمل خواص النوعين السابقين.

ج ـ من حيث القدرة:

تقاس القدرة من حيث العمل الممكن إنتاجه مع مراعاة السرعة والدقة.

د ـ من حيث الحجم:

١ ـ الكمبيوتر الكبير Main-frame وهو جهاز له قدرات عالية ويمكنه التعامل مع كمية كبيرة من المعلومات والبيانات وغالبا ما يستخدم فى البنوك والشركات الكبرى.

٢ ـ الكمبيوتر الصغير Mini-computer ويستطيع أن يتعامل مع العديد من العمليات فى وقت واحد ولكنها أقل بالمقارنة مع سابقه.

٣ ـ الكمبيوتر المتناهى الصغر Micro-computer وينقسم إلى:

أ ـ الكمبيوتر المنزلى وهو الـ Home computer ويستخدم من خلال لوحة المفاتيح وهى Key-board للأعمال التجارية.

ب ـ الكمبيوتر الشخصى Personal com-puter.

ج ـ الكمبيوتر المحمول Portable com-puter.

د ـ كمبيوتر الألعاب Games com-puter وهو ما يعرف بجهاز الألعاب Atari.

هـ ـ كمبيوتر الجيب Pocket computer وهو أحد أنواع الميكرو ـ كمبيوتر ولكنه صغير الحجم ويوضع فى الجيب، والحاسب الآلى بأنواعه وإمكاناته المتعددة يمكن من خلاله الوصول إلى جميع الأهداف من جميع الوظائف مثل رجال البنوك، ورجال القضاء والقانون، ورجال التعليم وغيرهم.

الإنترنت على جولة

مدينة سان بطرسبورج الروسية عاصمة «الهاكرز» فى العالم

كشفت مجموعة من التقارير تم بثها على الإنترنت مؤخرا أن مدينة (سان بطرسبورج) الروسية تحولت إلى عاصمة لقراصنة المعلوماتية فى العالم.. وأوضحت التقارير أن المدينة الروسية العريقة تخرِّج المئات من خبراء المعلوماتية سنويا، لكنهم فى ظل انهيار الاقتصاد الروسى يتحولون إلى عاطلين ومفلسين، لاهمَّ لهم إلا اختراق المواقع الحصينة والإفادة منها، على غرار «فلاديمير ليفين» أول قرصان معلوماتية روسى، والذى تمكن من اختلاس عشرة ملايين دولار من مصرف سيتى بنك عام ١٩٩٤م.

ويبدو أن غالبية القراصنة الروس يلجأون إلى القرصنة فى البداية على سبيل التسلية، إلا أنهم يحرزون تقدما سريعا فيتحولون إلى مجرمين خطرين، ونظرا لأن غالبيتهم ماهرون ومفلسون، فإنهم قد يشكلون خطرا كبيرا خاصة أننا لا نعرف من سيستخدمهم فى المستقبل.

سى. إن. إن بالعربية على الشبكة

فى ٢٠٠٢/١/١٩م بدأت شبكة سى. إن. إن بثها باللغة العربية على الإنترنت لتصبح (اللغة العربية) هى السابعة بعد لغات: الإنجليزية.. الإيطالية.. الأسبانية.. الألمانية.. البرتغالية.. الدانماركية.

ويعتبر الموقع العربى خطوة للأمام على طريق استراتيجية الشبكة للوصول إلى المستخدمين العرب بلغتهم، وهذا يؤكد أن المنطقة العربية صارت تدرك أهمية تكنولوجيا المعلومات، والتعامل بشكل جاد وأساسى مع الإنترنت.

قبل ثلاث سنوات كانت اللغة مشكلة كبرى لمن يريد الدخول إلى الشبكة الدولية للمعلومات. كان عليه أن يجيد الإنجليزية والاستفادة من بنوك المعلومات التى كانت تحتاج إلى اللغة الإنجليزية؛ الآن المسألة اختلفت بشكل جذرى، حيث إن اللغة الإنجليزية رغم أهميتها لم تعد عقبة، فهناك ملايين المواقع باللغة العربية، وآلاف من بنوك المعلومات بالعربية، وأكثر من هذا، فإن هناك قواميس تظهر لك معنى كل كلمة إنجليزية بمجرد أن تضغط عليها، وقواميس أخرى تنطقها لك، وقامت كثير من المواقع الكبرى بترجمة محتواها.

هذا وستصبح اللغة العربية الجواد الرابع فى سوق الإنترنت قريبا.

معلومة غير معلومة

٣ مليارات دولار اختلاسات الإنترنت

أعلن استطلاع أجرته مؤسسة أوروبية حول حالات الإجرام الاقتصادى لسنة ٢٠٠١م، أن خسائر الشركات الأوروبية من جراء أعمال الاختلاس، التى تمت بواسطة الشبكات المعلوماتية، بلغت نحو ٣,١ مليار دولار خلال السنتين الماضيتين.

وقد اعتبرت ٤٣٪ من الشركات التى تم استطلاع رأيها أن الإجرام المعلوماتى سوف يشكل السبب الأول لتكبد الخسائر خلال السنوات المقبلة.

٥٠٥ ملايين مشترك فى الإنترنت.. على مستوى العالم

أشارت دراسة أعدتها مؤسسة «جلوبال ريتش» إلى أن عدد مستخدمى الإنترنت فى العالم بلغ ٥٠٥ ملايين مستخدم مشترك فى الخدمة مع نهاية شهر ديسمبر الماضى ٢٠٠١م.

وكشفت الدراسة التى نشرتها المؤسسة فى موقعها على الإنترنت أن عدد مستخدمى الإنترنت الناطقين بالإنجليزية يبلغ ٢٢٠,٤ مليون مستخدم مقابل ٢٩٢,٧ مليون باللغات غير الإنجليزية، ١٦٣ مليون مستخدم منهم يتكلمون لغات أوروبية غير الإنجليزية، بينما لم يتجاوز عدد مستخدمى الإنترنت الناطقين بالعربية ٤,١ مليون مستخدم ومليون إسرائيلى.

وطبقا للدراسة فإن عدد الناطقين بالفرنسية المشتركين فى الإنترنت يبلغ ١٦,٨ مليون مستخدم، بينما يبلغ عدد الناطقين بالألمانية ٣٤,٢ مليون مستخدم.

من التراث الإسلامي

مروج الذهب للمسعودى

المتوفى عام ٣٤٦هـ - ٩٥٧م

-١-

مروج الذهب فى التاريخ العربى الإسلامى من أجلّ كتب الفكر العربى التاريخى، وأهم مصادر المكتبة العربية التاريخية. وهو مرجع أساسى لكل الباحثين والمؤرخين والمؤلفين - يعتمدون عليه فى دراساتهم ومؤلفاتهم، ويعتمدون على رواياته وآرائه، والكثير من علماء التاريخ الطبيعى وعلماء علم الحيوان يرجعون إليه وإلى مشاهداته فى أسفاره البحرية، وأهمية الكتاب ملحوظة للجغرافيين المعنيين بالجغرافيا التاريخية، ولعلماء الأجناس البشرية وعلماء الجيولوجيا والباحثين عن طبقات الأرض، وآراء المسعودى فى كتابه تستند إلى التمحيص والتحقيق.

د. محمد عبدالمنعم خفاجى

ويروى لنا المسعودى فى الكتاب الكثير من غرائب الأخبار وعجائب الأحوال من قدماء المصريين والساميين وأهل الهند والسند وسكان بلاد الصين، مع اهتمامه بأخبار شبه جزيرة العرب. وذكر ملوك حمير وقحطان وحسم وجديس والقبائل البائدة، ويروى كذلك الكثير من أشعار العرب وحكمهم وأمثالهم، ويتحدث عن العدنانية وقبائلها وعشائرها، وعن قريش وحياتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من عام الفيل حتى البعثة النبوية، وعن أخبار الدول منذ عصر الرسالة إلى الثلث الأول من القرن الرابع الهجرى؛ وفى مقدمة ذلك يتحدث عن السيرة النبوية بالتفصيل، وعن الفتوحات الإسلامية فى المشرق والمغرب من نهر السند إلى جبال البرانس.

ويعرض المسعودى لبنى إسرائيل وأنهم كانوا عند الخروج ستمائة ألف، وابن خلدون فى المقدمة ينقد ذلك ويروى أنه خارج عن دائرة المعقول.

وقد وصف المؤرخ ابن خلكان (- ٦٨١هـ) المسعودى بأنه كان إمام المؤرخين، والمستشرقون يرفعون من منزلة كتاب المسعودى، قد عنُوا به وبتحقيقه تحقيقا علميا متميزا.

وقد طبع الكتاب طبعات عديدة، وحققه الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد، ونشر تحقيقه ذلك فى أربعة أجزاء.

ويقول المسعودى فى مقدمة كتابه: ليس من لزم جهة وطنه كمن قسم عمره على قطع الأقطار، ووزع أيامه بين تقاذف الأشعار، واستخراج كل دقيق من معدنه، وإثارة كل نفيس من مكمنه.

-٢-

والمسعودى هو أبو الحسن على المسعودى نسبة إلى جده الأعلى الصحابى الجليل عبدالله بن مسعود كما ذكره الذهبى فى كتابه «تاريخ الإسلام» وعده من أهل بغداد، أما ابن النديم فى كتابه «الفهرست» فيذكر أنه من المغرب، وأنه ولد فى بغداد، ومع أنه رحل إلى مصر وأقام فيها طويلا، إلا أنه لم ينسب إليها، وإنما نسب إلى بغداد.

وعاش المسعودى حياته مولعا بالأسفار فى البر والبحر، وطاف بالعديد من الأمم ومن الدول، إذ ارتحل إلى الهند والصين وخراسان وأذربيجان وأرمينيا، وانتقل من العراق إلى الشام، ومن مصر إلى بلاد المغرب، وله كتب عديدة من أشهرها: مقاتل الطالبيين، ومروج الذهب، ويقول المسعودى: قطعنا بلاد السند والزنج والصين والرانج فتارة بأقصى خراسان، وتارة بأواسط أرمينية وأذربيجان.

ويذكر مؤلف كتاب «الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى» الدكتور زكى حسن - الأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة - سابقا أن المسعودى ألف كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» عام ٣٣٦هـ - ٩٤٧م(١)، معتمدا على ما جاء فى آخر الكتاب للمسعودى: انتهى التصنيف إلى هذا الوقت وهو ٣٣٦هـ، ونحن بفسطاط مصر، ويذكر المسعودى فى كتابه محمد بن على العبرى الخراسانى وأنه كان علامة بأخبار بنى العباس وهو حى إلى هذه الغاية وهى سنة ٣٣٣هـ (٢)، كما يذكر مهلهل بن يموت المزرع (ابن أخت الجاحظ)، ويقول عنه: وهو شاعر مجيد من شعراء هذا الوقت وهو سنة ٣٣٢هـ(٣).

ومن الجدير بالذكر أن القرن الرابع الهجرى كان عصر الرحالة المسلمين الرواد.

فالخليفة الواثق بالله العباسى (٢٢٧ - ٢٣٢هـ - ٨٤٢ - ٨٤٧م) يرسل بعثة لاستكشاف سواحل بحر الخزر (البحر الأسود) وسد يأجوج ومأجوج (سد الصين)(٤).

والخليفة العباسى المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ - ٩٠٨ - ٩٣٢م) يرسل بعثة إلى بلاد الترك والخزر والروس الصقالبة برياسة ابن فضلان كما ذكر المسعودى(٥).

وابن خرداذبة (٢٧٢هـ - ٨٨٥م) يصف فى كتابه المسالك والممالك مدينة روما.

واليعقوبى (٢٨٤هـ - ٨٩٧م) فى كتابه «البلدان» يصف مدينة بغداد ومدينة سامرا وصفا دقيقا.

وابن رشتة (٢٩٠هـ) - ٩٠٣م) فى كتابه «الأعلاق النفيسة».

يصف الكعبة المشرفة والحرم وبئر زمزم،

وكذلك كنيسة أيا صوفيا فى القسطنطينية وأهرامات مصر.

وابن فضلان يرحل إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة.

وابن حوقل البغدادى فى كتابه المسالك والممالك يصف رحلته التى بدأت من بغداد سنة (٣٣١هـ - ٩٤٣م) وطاف فيها فى العالم الإسلامى مشرقا ومغربا.

-٣-

والمسعودى من أهم الرحالة العرب فى القرن الرابع وهو أول أثرى عربى حقيقى، وقد زار فارس والهند وسيلان ومدغشقر وماليزيا ومشارف الصين وبحر قزوين، وتنقل بين مصر والشام طول عشر سنوات. وقد وصف فى كتابه «مروج الذهب» الآثار الساسانية وبيوت النار. كما وصف آثار انطاكية وهياكل بعلبك والجامع الأموى بدمشق، ومدافن الفراعنة وأهراماتهم بالتفصيل، ويصف مكانا فى الاسكندرية يسمى قبر الاسكندر رآه بأم عينيه، ويعرض المسعودى لبعض الآثار الإسلامية فى سوريا، ومنها مدينة الرقة، كما يعرض كذلك العديد من التنقيبات التى حدثت فى عهد الأخشيد محمد بن طغج، قام بها جماعات من لصوص الآثار والحفارين المصريين، ويقول: إنهم حفروا حفرا عظيما فى عهد الأخشيد إلى أن انتهوا إلى كنز أثرى فيه تماثيل قائمة على أرجلها، وقد طليت بألوان وصور عجيبة منها صور شيوخ وشبان ونساء وأطفال، أعينهم من أنواع الجوهر كالياقوت والزمرد والفيروز والزبرجد، ومنها ما وجوهها ذهب وفضة وكسروا بعض هذه التماثيل فوجدوا فى جوفها أجساما، وبجانب كل تمثال أنواع من الأوانى من المرمر والرخام وفيه نوع من الطلاء الذى قد طلى منه ذلك الميت الموضوع فى تمثال الخشب وما بقى من الطلاء متروك فى الإناء، وبإزاء كل تمثال من هذه التماثيل تمثال من الحجر أو المرمر أو الرخام الأخضر، وعليها نوع من الكتابات لم يقف عليها أحد، وذلك المقام قد فقد من الدنيا منذ أربعة آلاف عام..

إن المسعودى يصف فى هذا النص مدفنا فرعونيا فيه مومياءات لأشخاص كبار وصغار ضمن توابيت خشبية ذات شكل إنسانى كما يذكر الأثاث الجنائزى الوفير والثمين.

-٤-

ولا ننسى أن نذكر أن المسعودى فى مروج الذهب يبدى اهتماما بالغا بأمور الثقافة والأدب، وبأخبار العلماء والأدباء والشعراء، ويترجم للعديد منهم ترجمات موجزة، ويصف كذلك مجالس الأدب والثقافة فى قصر الرشيد وقصر المأمون وغيرها من الخلفاء والملوك والأمراء.

وأخيرا نؤكد أن كتاب «مروج الذهب» للمؤرخ الكبير المسعودى يصعد إلى منزلة الريادة بين كتب التاريخ ومؤلفات المؤرخين المسلمين.

الهوامش

١ - ص٣٧ الرحالة المسلمون - دار المعارف - القاهرة ١٩٤٥م.

٢ - ٤/٢٤٦ مروج الذهب تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد.

٣ - ١٣٧/ ٤ المرجع نفسه.

٤ - المسالك والممالك لابن خرداذبة - نشر المستشرق دوخويه عام ١٨٨٩م.

٥ - مروج الذهب ٢٤٨ - ٢٤٩/ ١ ط دار القلم - بيروت.

مع أبى الحسن الشاذلى فى ملامح سيرته وطريقته فى التربية والتوجيه

ولد أبو الحسن الشاذلى سنة ٥٩٣هـ بغمارة وهى قرية قريبة من مدينة سبتة بالمغرب حيث حفظ القرآن وأتقن ترتيله وتجويده، وحصل المعارف الأولية على أيدى شيوخ غمارة ثم رحل إلى زرويلة بالمغرب ومنها إلى تونس التى تفقه على أيدى علمائها وشيوخها، وتفوق فى مختلف علوم الوسائل والمقاصد من نحو وصرف وأدب وتفسير وحديث وعقيدة. وبعد ذلك ساح أبو الحسن فى مختلف أرجاء بلاد المغرب والمشرق باحثا عن الطريق إلى الله الذى يقيه المهالك والزلات.

محمد صلاح الدين المستاوى

وقد لقى فى سياحاته كثيرا من العلماء والأولياء الصالحين الذين نذكر منهم بتونس أبا سعيد الباجى رضي الله عنه، وتشاء الأقدار الإلهية بعد وصول الشيخ أبى الحسن إلى بغداد ألا يتم الفتح عليه وبلوغه مبتغاه من الولاية والصلاح إلا على يدى أحد شيوخ المغرب ألا وهو أبو محمد عبدالسلام بن مشيش رضي الله عنه، والذى خط مسار أبى الحسن والذى فيه مروره بمدينة تونس وإقامته فيها، وفتح الله عليه وإقبال الناس على التلقى عنه مما سيثير حفيظة الحساد عليه فيتحركون للكيد له بكل الطرق والأساليب ويحاولون أن يوغروا صدر السلطان عليه ويتولى كبر ذلك قاضى الجماعة وعالمها أبو القاسم ابن البراء، ولكن الله سلم أبا الحسن وحفظه مما دبر له وعرف مقام الشيخ الرفيع.

ولكنه رغم ذلك ورغم رفعة قدر من أحاطوا به ولازموه وتلقوا عنه واستفادوا منه من أبناء تونس وبناتها وعلى رأس هؤلاء أصحابه الأربعون، فقد رحل بناء على وصية شيخه عبدالسلام بن مشيش إلى مصر حيث أقام بقية حياته، تزداد على مر الأيام شهرته ويعرف الخاص والعام صلاحه وولايته وتجتمع القلوب عليه، ولا تفلح مع ذلك مكائد ابن البراء التى حاولت أن تسبقه إلى مصر لتنغص هنالك مقامه ولكن هيهات، فإن أهل الله هم أهل عنايته ورعايته، ونصره وهم أهل تثبيته وتأييده أينما رحلوا وحلوا، وما تحقق لأبى الحسن من علو شأن ورفعة مكانة واجتماع على حبه والتعلق به إلا صدقه مع ربه وتعلقه الشديد به، وإيثاره لما هو أبقى فأكرمه الله جزاء ذلك بالحسنيين، وجعل من هديه وسيرته وما فتح به عليه أنوارا تنفذ إلى القلوب فتترسخ فيها وتشعر بأنه كلام قريب العهد من الله تتلقفه الألسن لتصبح به رطبة من ذكر الله، ويتخذه السالكون

لطريق الطاعة والتقرب إلى الله وردا يلازمونه فى الحل والترحال، وذلك والحمد لله هو حال أهل تونس على مر تاريخهم تتوارث أجيالهم المتعاقبة الأحزاب والأوراد الشاذلية ويحفظها الكثير منهم عن ظهر قلب لاسيما حزب البحر الذى شدد فى التوصية به الإمام الشاذلى بالخصوص عندما حضرته الوفاة عند الوصول إلى حميثرا بالصحراء المؤدية إلى عيذاب على البحر الأحمر وهو فى طريقه للحج وذلك سنة ٦٥٦هـ.

أحزاب وأوراد الإمام الشاذلى: الروعة والبلاغة والجمال

وحزب البحر إلى جانب أحزاب أخرى عديدة لأبى الحسن الشاذلى رضي الله عنه هى التى لاتزال تتعطر بها المغارة ليلة يوم السبت من كل أسبوع مثلما يتعطر بها المقام فى موسم الزيارات من كل عام، فضلا عن اتخاذها أدعية لأختام القرآن الكريم التى تقام فى البيوت فى الأفراح والأتراح نظرا لما تتركه من عظيم الأثر وواضح الخشوع والحضور مع الله بالنسبة لمن يقرأها أو يستمع إليها والله يؤتى فضله من يشاء.

وإذا كانت بعض الأحزاب الشاذلية قد أخذت ما تستحق من الاهتمام والعناية، فإن البعض الآخر لا يزال دفين مجاميع الرسائل المخطوطة والمنتشرة فى المكتبات الخاصة والعامة.

وقد عكف على الأحزاب الشاذلية بعض كبار العلماء فتناولوها بالشرح والتبيين مخرجين لأحاديثها وآثارها، مرجعين ما ورد فيها من آراء إلى أصولها، مبينين روعة وجمال ودقة ما اهتدى إليه أبو الحسن الشاذلى - رضى الله تعالى عنه - وهذه الثروة تستحق من باحثى الشاذلية بالخصوص أن يعكفوا عليها ويخرجوها للناس خدمة للحقيقة وإنارة للسبيل وتعريفا بما لأبى الحسن الشاذلى من منزلة رفيعة وعلم غزير ظل ولايزال معينا لا ينضب يشرب منه العطاش لهذا الصنف من الغذاء الروحى الذى تتحقق به التقوى وتطمئن به القلوب ويرضى به الله تبارك وتعالى على عباده فيسعدهم دنيا وآخرة.

أصحاب أبى الحسن الأربعون ومن سلك منهجهم من بعدهم

وقياما ببعض الواجب وأداء لحق أبى الحسن الشاذلى - رضى الله تعالى عنه - أورد للقراء الكرام نتفا قصيرة من مادة غزيرة لكلمات نورانية قريبة عهد من الله هى خير ما يعرِّف بأبى الحسن الشاذلى ويزيد التعلق به والحب له وهو ما يدفع ولاشك إلى الاقتداء به والسلوك لطريقه الموصلة للأحراز على رضا الله. وهى طريق أساسها الاخلاص لله تبارك وتعالى، والإيثار لما بين يديه سبحانه وتعالى، والتمسك بالكتاب والسنة، واللذين ركز عليهما أبو الحسن الشاذلى منهجه فى تربية مريديه وتلاميذه سواء أولئك الذين تلقوا عنه مباشرة وصاحبوه من أمثال رجال الأربعين الذين منهم أبو العزائم ماضى بن سلطان المسروقى، وعبدالمغيث الطنجى، وأبو عبدالله محمد الغمارى، وأبو عبدالله الجباس، وأبو عبدالله محمد الشريف، وأبو الحسن على القرجانى، وأبو الحسن على الحطاب وغير هؤلاء إلى تمام الأربعين والذين أحصت أسماءهم وعدت خصالهم ودعت الله بفضلهم قصيدة الأديب محمل الورغى - رحمه الله -.

أو أولئك الذين خلفوا أبا الحسن من بعده فى

مشيخة الطريقة الشاذلية من أمثال سيدى أبى العباس المرسى رضي الله عنه، وسيدى ابن عطاء الله السكندرى صاحب الحكم المشهورة، والتى اعتبرت أبلغ كلام بعد كلام الله وكلام رسول الله ﷺ.

أو أولئك الذين جاءوا من بعد هؤلاء على مر السنين وفى كل ديار الإسلام، بل وخارج ديار الإسلام حيثما وصلت الأحزاب والأوراد والأذكار الشاذلية التى لاتزال تعقد لها المجالس الخاشعة المليئة بالروحانية والصفاء.

طريقة أبى الحسن لا تزهد فى الدنيا

ومن جميل ما نفتتح به هذه الاقتباسات من الكلمات الشاذلية ذلك الرأى الذى لم يسبق إليه فى تعريف الزهد والتصوف بحيث ينأى به رحمه الله عن كل مظاهر الرهبانية والتضييق على النفس، وترك الأخذ بالأسباب مما التصق بالزهد قديما وحديثا، والزهد الحقيقى على حد تبيين أبى الحسن لحقيقته براء من ذلك.

يقول أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه:

ـ ليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشعير والنخالة، وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين فى الهداية.

ـ لا تسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها وتنحل أعضاؤك لها فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها بالهمة أو بالفكرة أو بالإرادة أو بالحركة.

ويقول:

ـ يابنى برِّد الماء إذا شربت الماء السخن فقلت الحمد لله تقولها بكزازة، وإذا شربت الماء البارد فقلت الحمد لله استجاب كل عضو فيك بالحمد لله.

ويقول:

ـ عليكم بالسبب ـ أى بالعمل وطلب الرزق ـ وليجعل أحدكم مكوكه سبحته، أو تحريك أصابعه فى الخياطة سبحته.

ولاشك أن فى هذه الآراء الشاذلية جدة وفيها واقعية، كما أن فيها انسجاما مع هدى الإسلام فى كتاب الله وسيرة سيد الأنام ـ عليه الصلاة والسلام ـ بحيث لا تنافر ولا تعارض بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب، كما أنه ليس من دين الإسلام التشديد على النفس، والتضييق بدعوى تحقيق مرضاة الله، فدين الإسلام مثلما تطابق معه كلام أبى الحسن الشاذلى، يريد من المسلم أن يكون قويا **«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»**. وأن تكون يده هى العليا، وأن يرى أثر نعمة الله عليه، وأن يأخذ زينته، وألا يحرم ما أحل الله له، وأن يجمع بين عمله لدنياه وعمله لآخرته شريطة أن يكون ذلك بإخلاص وصدق نية ومراقبة لله ورجاء للأجر والجزاء منه سبحانه وتعالى، ولا يتحقق للمسلم ذلك إلا بمجاهدة الهوى والنفس الأمارة بالسوء، ومخالفة الشيطان اللعين، وطريقة أبى الحسن الشاذلى لا تحيد قيد أنملة عن هذا المنهج القويم والصراط المستقيم.

المجاهدة وإخلاص النية أساس الطريقة الشاذلية

وتعبر كلمات أبى الحسن عن الدرجة العالية فى المراقبة لله والإخلاص له سبحانه وتعالى يقول:

ـ لا يعطى الكرامة من طلبها ولا من حدث بها نفسه.

ـ لا تركن إلى علم ولا عمل ولا مدد ولكن كن مع الله بالله.

ـ من أقبل على الخلق قبل خمود نار بشريته

سقط من عين رعاية الله واحذروا هذا الداء العضال الذى هلك به كثير.

- لا يصل عبد إلى حضرة الله تعالى ومعه شهوة من شهواته أو مشيئة من مشيئاته.

- لا تختر مع ربك شيئا واختر ألا تختار، وفر من المختار ومن فرارك ومن كل شىء إلى ربك **﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾** القصص: آية ٦٨.

وإنه لمن الصعب على الدارس والمتابع لكلمات أبى الحسن الشاذلى رضي الله عنه أن يفصل بينها، فهى تأخذ بأعناق بعضها البعض، وتكون مجتمعة رؤية متكاملة للحياة والسلوك والمعاملة وللعلاقة مع الخلق والخالق سبحانه وتعالى أساسها الإخلاص والمراقبة بحيث تكون ثمرة لها تلك الكلمات النورانية المختصرة والبليغة، فهى سهلة فى عباراتها، مشرقة فى مضامينها، نافذة إلى القلوب ومؤثرة فيها، وذلك لعمرى هو عين التوفيق الذى خص به الله تبارك وتعالى الخلص من عباده والذين فى طليعتهم ولاشك الإمام الشاذلى.

الذكر أساس الطريقة الشاذلية

وفى سبيل أن يظل المؤمن موصولا بربه، يوصى أبو الحسن الشاذلى بكثرة الذكر وبعدم الغفلة المؤدية إلى التهلكة يقول:

- إن أردت ألا يصدأ لك قلب ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب، فأكثر من الباقيات الصالحات.

- إذا كثرت الخواطر والوسوسة فتوجه بقلبك إلى ربك.

- إذا ثقل الذكر على اللسان أو اللغو فذلك لكثرة الوزر أو لكتمان نفاق، فتب واعتصم ليصلح حالك.

- إذا غفل المريد عن ذكر واحد صار الشيطان قرينه، فإنه بالمرصاد لمن أقبل على الله تعالى فيقف تجاه قلبه، فإذا دخلته الغفلة دخل، وإذا دخله الذكر خرج، وإذا كان الشيطان يدنس القلب بدخوله مرة بالنهار فكيف يغلب إذا باض فيه وفرخ.

أبو الحسن يحذر من الركون إلى الدنيا والافتتان بها

ويحذر أبو الحسن الشاذلى - رضى الله تعالى عنه - من مغبة الركون إلى الدنيا والتعلق بها تعلقا ينسى العبد حقيقتها الفانية، فيطمئن إليها وينشغل بها قلبه فتسكنه: يقول:

- حيث أطلق نعيم الدنيا فالمراد به المال والطعام والكلام والمنام: المال يطغى، والطعام يقسى، والكلام يلهى، والمنام ينسى.

- كل مريد أحب الدنيا كرهه الله تعالى بقدر حبه قلة وكثرة.

- لا كبيرة عندنا أكبر من حب الدنيا وإيثارها على الآخرة، والمقام على الجهل بأحكام الدين.

- أربع لا ينفع معهن علم ولا عمل، حب الدنيا، ونسيان الآخرة، وخوف الناس، وخوف الفقر.

- أدل الأعمال على حب الله تعالى لك بغضك الدنيا وأهلها مع موافقة الأوامر.

ولاشك أن ما يقصده أبو الحسن الشاذلى من حب الدنيا وما يحذر منه، إنما هو الافتتان بها عما ينتظر الإنسان من مصير ومآل، والانصراف إلى طلبها بكلية بحيث تصبح الدنيا أكبر الهم ومبلغ العلم وفى ذلك الهلاك.

الدكتور محمد أبو شهبة وجهوده فى خدمة القرآن والسنة

نبيل محمد رشاد

هذا عالم جليل، وقف حياته كلها على خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة دارسا لهما، ومدافعا عنهما، وباذلا جهده ووقته فى شرح مبادئ الإسلام وقيمه وتجليتها للناس.

إنه فضيلة الدكتور/ محمد بن محمد أبو شهبة الذى ولد فى الخامس عشر من شهر سبتمبر من عام ١٩١٤م بقرية منية جناج مركز دسوق بمحافظة كفر الشيخ (١).

ولقد أتم فضيلته حفظ القرآن الكريم وهو دون الثانية عشرة من عمره، ثم التحق بمعهد دسوق الدينى الأزهرى، وقضى به خمس سنوات من عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٣٠ حيث التحق بمعهد طنطا الدينى الثانوى، وفى عام ١٩٣٥ التحق بكلية أصول الدين التى حصل منها على الشهادة العالية عام ١٩٣٩م، وكان من أوائل الخريجين.

وشجعه تفوقه على مواصلة الدراسة فتقدم لشعبة التفسير والحديث (٢) بكلية أصول الدين طالبا بالدراسات العليا، وساعده جده فى طلب العلم، وسعيه الحثيث فى تحصيله، وذكاؤه الحاد، وغيرته المحمودة على القرآن والسنة، ساعده كل ذلك على النجاح فى الامتحان التمهيدى للعالمية، ثم توج هذا كله بحصوله على درجة الدكتوراه فى التفسير والحديث فى موضوع (الوضع وآثاره السيئة فى كتب العلوم) عام ١٩٤٦.

تدرجه فى المناصب الجامعية :

وتدرج الأستاذ فى المناصب الجامعية من مدرس إلى أستاذ مساعد إلى أستاذ، ثم تولى عمادة كلية أصول الدين بأسيوط فكان بذلك أول عميد لأول كلية فى أول فرع من فروع جامعة الأزهر خارج القاهرة فى مصرنا العزيزة.

آثاره العلمية :

إن القراءة الواعية لآثار أبى شهبة العلمية تدلنا على أن فضيلته قد وزع جهده على محاور ثلاثة:

المحور الأول : دراسة القرآن الكريم وعلومه دراسة متعمقة ومن كتبه فى هذا المحور:

١ - المدخل لدراسة القرآن الكريم. وقد تحدث فيه عن القرآن الكريم وتعريفه، ونزوله، وحكمة نزوله

منجما، وكتابته فى عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وجمعه فى عهد أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - ثم فى عهد عثمان بن عفان - رضى الله عنه -.

كما تناول الحديث فى هذا الكتاب أيضا موضوع الناسخ والمنسوخ، ومناهج المفسرين وطرائقهم فى تفسير القرآن الكريم.

٢ - الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير:
وهو كتاب حافل يقع فى خمسمائة صفحة من القطع المتوسط، وهو الكتاب الذى ألفه بتكليف من الإمام الأكبر الراحل الدكتور عبدالحليم محمود يوم أن كان أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية، وقد تحدث فيه الدكتور أبو شهبة عن معنى الإسرائيليات والموضوعات، وحكم الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والعلوم التى لابد منها للمفسر، وما يجوز الخوض فى تفسيره وما لايجوز، والتفسير بالمأثور، والتفسير بالرأى وغلبة الضعف على التفسير بالمأثور وأسبابه، ثم تحدث عن الإسرائيليات فى تفسير ابن عباس - رضى الله عنه - ثم فى تفسير ابن كثير.

ولقد أتى الأستاذ على إسرائيليات كثيرة فأبطلها بالعقل والنقل متأسيا فى ذلك بأقوال جهابذة العلماء من حفاظ الحديث وأئمة النقد الذين إليهم المرجع فى التصحيح والتضعيف، وذلك حتى يكون الأئمة والخطباء فى المساجد وسائر المسلمين كافة على بينة من أمر هذه الإسرائيليات والموضوعات إذا ما قرءوها فى كتب التفسير، وحتى يتحاشوها فى خطبهم ودروسهم ومواعظهم.

ومن هذه الإسرائيليات التى وجه إليها الدكتور أبو شهبة سهام النقد فأبطلها ودحضها ما ورد فى قصة هاروت وماروت، وما ورد فى بناء الكعبة المشرفة، وما ورد فى قصص الأنبياء والأمم السابقة، وما ورد فى قصة أصحاب الكهف، وفى قصة إرم ذات العماد، وفى تفسير (ن والقلم) الآية، وأخيرا ما ورد فى قصة الذبيح إسماعيل عليه السلام.

وكم أتمنى - مخلصا - أن يعيد مجمع البحوث الإسلامية طبع هذا الكتاب الحافل ونشره على أوسع نطاق حيث نفدت طبعاته - فيما أعلم - منذ أمد بعيد، لينتفع به طلاب العلم والمعرفة ولاسيما طلاب الدراسات الإسلامية العليا.

المحور الثانى : دراسة السنة النبوية الشريفة والسيرة المطهرة وعلوم الحديث دراسة متعمقة أيضا ومن كتبه التى قدمها فى هذا المحور:

١ - الوسيط فى علوم ومصطلح الحديث:

وهو كتاب نفيس يقع فى ثمانمائة صفحة من القطع المتوسط، وقد بدأه بالحديث عن بعض التعريفات، كالحديث لغة واصطلاحا، والسنة لغة واصطلاحا، والخبر، والأثر، والمسند - بكسر النون - والمسند - بفتح النون - ، والمتن، ثم تحدث عن ألقاب المشتغلين بالحديث، وعلم الحديث بالمعنى العام، وعلم الحديث رواية، وعلم الحديث دراية، وتدوين الحديث، ومناهج المحدثين فى التأليف، وشروط الراوى فى الإسلام، والرحلة فى طلب الحديث، وأنواع الحديث، والتعريف ببعض كتب الصحاح، وحركة الوضع فى الحديث والأسباب الحاملة عليه، وأمارات الوضع وعلاماته، والوضع وآثاره السيئة فى كتب العلوم المختلفة كالفقه والتوحيد والأدب.

كما تحدث عن علم الجرح والتعديل، وعلم مختلف الحديث، وناسخ الحديث ومنسوخه، وأشهر الكتب المؤلفة فيه، وعلم أسباب ورود الحديث ثم ختم كتابه بالحديث عن عدد الصحابة وطبقاتهم، والمؤلفين فيهم ومؤلفاتهم.

٢ ـ دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين:

وهو الكتاب الذى ألفه ليرد فيه على المزاعم والافتراءات التى وردت فى كتاب (أضواء على السنة المحمدية) لأبى ريه، وكان كتاب أبى شهبة فى أصله مقالات نشرها الأستاذ الجليل بمجلة الأزهر فى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات، ثم رأى الأستاذ أن هذه المزاعم التى يرويها ويؤيدها أبو رية هى تلك المزاعم التى رددها من قبله الأستاذ الكبير أحمد أمين فى كتابيه عن فجر الإسلام وضحاه، وهى ذاتها التى رددها المستشرقون من قبل، ومن ثم لم يجعل الدكتور أبو شهبة كتابه خاصا بالرد على أبى رية وحده، وإنما جعله كتابا عاما يتناول فيما يتناول، ويعالج فيما يعالج من بحوث وموضوعات الرد على شبهات المستشرقين ومن لف لفهم من الكتاب المصريين كالأستاذ أبى رية، والأستاذ البحاثة أحمد أمين.

٣ ـ السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة:

ولم يشأ الأستاذ أن يكتفى بنقد كتابات الآخرين فى السيرة النبوية، بل مضى بعد انتهائه من هذا النقد يقرأ القرآن الكريم كله، وكتب السنة النبوية من جديد قراءة متأنية جاعلا من هذه القراءة أساسا لكتابة سيرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتابة تخلو من أمثال تلك المآخذ التى أخذها على السابقين من قبله فكان هذا الكتاب الذى يقع فى مجلدين وتربو صفحاته على ألف صفحة.

المحور الثالث : الشريعة الإسلامية: ومن كتبه فى هذا المحور كتابه (الحدود فى الإسلام ومقارنتها بالقوانين الوضعية) ذلك الكتاب الذى نشره مجمع البحوث الإسلامية عام ١٩٧٤ وفيه بين الأستاذ الجليل أن ما جاء به الإسلام من أحكام من أدق وأوفى ما جاءت به شريعة سماوية أو قوانين وضعية فى القديم والحديث.

وقد بدأه بمقدمات تمهيدية تحدث فيها عن معنى الشريعة لغة واصطلاحا، ومعنى القانون لغة واصطلاحا، وبين مظاهر عالمية الإسلام، وصلاحه لكل زمان ومكان، ثم شرع يفصل الحديث فى موضوع الكتاب فتناول الحدود فى الإسلام بالبيان والتوضيح مقارنا بينها وبين القوانين الوضعية ما أمكنته المقارنة داحضا تلك الاتهامات التى روجها المستشرقون عن قسوة التشريعات الإسلامية وعنفها بالحجة القوية والبرهان الواضح.

وكما كان الأستاذ شعلة نشاط على مستوى البحث العلمى الأكاديمى كان ـ رحمه الله ـ يرعى حق العامة فى التثقيف والتعليم الدينى فكان ينشر بين الحين والحين من الرسائل الموجزة ما يشرح فيها بعض أحداث السيرة كما فعل فى رسالته عن الإسراء والمعراج تلك التى حرص أن يعتمد فى كتابتها على أصح الأخبار وأوثقها، كما كان يكتب للناس فى كثير من المجالات الدينية والصحف الكبرى ويحرص على إلقاء المحاضرات والخطب فى المساجد وفى محافل العلم المختلفة.

ثناء العلماء عليه :

لقد أثنى على فضيلته غير واحد من كبار علمائنا وشيوخنا وعلى رأسهم العارف بالله الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود - رضى الله عنه - حيث وصفه بقوله: «وهو من العلماء الأجلاء الذين نافحوا عن سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصدق وإخلاص»(٣).

وقال عنه الإمام الأكبر الدكتور محمد عبدالرحمن بيصار شيخ الأزهر الأسبق - رحمه الله تعالى - «لقد أمضى قرابة ربع قرن وهو يبحث فى ميدان الإسرائيليات والموضوعات وينشر أبحاثه فى الصحف والمجلات وعن طريق الدرس والندوات ولا يسعنا إلا أن نقدر فيه هذا الجهد المتواصل والعمل الدائب خدمة للقرآن وتفسيره»(٤).

ووصفه الدكتور الحسينى هاشم - رحمه الله تعالى - بأنه عالم أزهرى جليل «له قدره العلمى ودرايته بالحديث والتفسير وقواعد النقد» (٥).

أما الشيخ الغزالى - رحمه الله تعالى - فقد وصف كلام الشيخ أبى شهبة ومنطقه، وقوة تأثيره على مستمعيه فقال عنه «رحمه الله كان بيانه رائعا».

وكتب عنه الأستاذ أحمد عمر هاشم بحثا ضافيا فى كتابه عن أئمة الحديث النبوى فى مصر شرح فيه باستفاضة جهود الشيخ فى هذا المجال.

وبعد :

فيقول الشيخ أبو شهبة «ليعلم من لا يعلم تحدثا بنعمة الله - تعالى - على «وأما بنعمة ربك فحدث» لا افتخارا ولا تمننا - فالمنة لله ولرسوله - إننى وقفت حياتى لخدمة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والذب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعن صحابته الطيبين الطاهرين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأنى وجدت فى ذلك لذة دونها كل لذة، وشرفا دونه كل شرف، وجاها دونه أى جاه» (٦).

وأقول :

ألا ليت شبابنا وطلابنا فى مدارسنا وجامعاتنا المختلفة يقبلون على العلم بمثل تلك الهمة التى كان يقبل بها عليه الدكتور محمد محمد أبو شهبة وأمثاله من الرجال الأجلاء الذين ملأوا الحياة من حولنا نورا وهديا وعلما وحكمة، رحم الله الأستاذ الجليل رحمة واسعة وحشرنا وإياه فى زمرة الصالحين.

الهوامش :

١ - كانت دسوق وما جاورها - زمن ميلاد شيخنا تتبع إداريا محافظة الغربية.

٢ - كان التفسير والحديث شعبة واحدة فى تلك الأيام.

٣ - من تقديمه لكتاب الشيخ أبى شهبة: فى رحاب السنة ص٤.

٤ - من تقديمه لكتاب الشيخ أبى شهبة: الإسرائيليات والموضوعات ص٦.

٥ - من تقديمه لكتاب الشيخ أبى شهبة: الإسرائيليات والموضوعات ص٤.

٦ - الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص٤٧٤.

أنت تسأل و الفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

إخوة فى الرضاع

السؤال من القارئ، وحيد محمد الغيطى، البحيرة، يقول:
هل يجوز لشخص رضع مع أولاد عمه أن يتزوج من ابنة عمه من زوجة أخرى؟

الجواب: الشخص الذى يرضع من امرأة تصير أما له من الرضاع، ويصير زوجها أبا له من الرضاع، وعليه فكل أولاد هذا الزوج يعتبرون إخوة لهذا الرضيع، سواء أكانوا من زوجته التى أرضعت، أو من زوجة أخرى، وهو مايسمى بلبن الفحل، جاء عن الإمام أحمد فى تفسير لبن الفحل أن يكون للرجل امرأتان، فترضع هذه صبية وهذه صبيا، لا تزوج هذه من هذا. ومما احتج به الجمهور ما رواه البخارى عن ابن عباس، سئل عن رجل له امرأتان أرضعت هذه غلاما وهذه جارية، هل يصح للغلام أن يتزوج الجارية؟ قال: لا، اللقاح واحد.

وقد رأت اللجنة التى ألفت سنة ١٩٦٥م لمراجعة قانون الأحوال الشخصية فى مصر الأخذ بمذهب من يقول: إن الرضاعة لا تحرم إلا قرابة المرضع «المرأة» وحدها، فمن أرضعته امرأة وكان لزوجها ابنة من غيرها حلّ له أن يتزوجها «ص٢٠ من تقرير لجنة التنسيق العليا لأعمال اللجان القانونية التابعة لرياسة الجمهورية سنة ١٩٦٥»، ولولى الأمر تعديل القانون والأخذ بالرأى الذى يرى فيه المصلحة.

..والزواج بمن رضعت من الأخت

السؤال من ربيع سكر، محافظة الشرقية، يقول: خطبت فتاة لمدة عام تقريبا بدون عقد قران ثم أخبرتنى والدتها أن ابنتها (خطيبتى) قد رضعت من أختى التى توفيت أكثر من خمس رضعات، فهل يجوز إتمام الزواج منها، أم هى تعتبر أختى من الرضاع ويحرم على الزواج منها؟

الجواب: الفتاة التى رضعت من أختك خمس مرات فأكثر صارت بنتا لها من الرضاع، وبالتالى صارت بنت أختك أنت، ومعلوم أن بنت الأخت هى من المحارم اللاتى يحرم الزواج منهن. قال تعالى: **﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت﴾** النساء: آية ٢٣، وبناء على الحديث الصحيح «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»، صارت هذه الرضيعة بنت أختك، فلا يصح لك أن تتزوجها.

ملك اليمين

السؤال من القارئ ش. أ. س. يقول:

ما الفرق بين الخدم وملك اليمين؟

الجواب: الخدم فى عرف الناس هم العمال الذين يؤدون عملا للغير لقاء أجر، ويغلب أن يكون هذا العمل مستمرا لمدة طويلة، وفى البيوت ومافى حكمها، مع الإحساس بأن وضعهم الاجتماعى أقل وأدنى من وضع من يقومون بخدمتهم، ولذلك لا يلجأون لهذا الوضع إلا لعدم وجود عمل آخر يشعرهم بالكرامة والكمال. والذين يقومون بالخدمة قد يكونون أحرارا وقد يكونون عبيدا مملوكين لمن يخدمونهم أو لغيرهم.

وملك اليمين يكون فى أشخاص ضرب عليهم الرق إما فى حرب وإما فى تناسل من أرقاء، ويمكن الحصول عليهم بالغنائم فى الحروب المشروعة، أو بالشراء ممن يملكونهم أو بالهبة أو بغير ذلك.

والرقيق له أحكام شرعية، منها أنه لا يملك شيئا فالملك للسيد الذى يملكه، ولا يتزوج حرة، وإذا كان الرقيق امرأة يجوز للسيد المالك أن يتمتع بها تمتع الزوج بزوجته دون عقد للزواج، إلى غير ذلك من الأحكام. وبعد الاتفاقية الدولية فى أواخر القرن التاسع عشر لتحرير العبيد وإلغاء تجارة الرقيق لا يوجد الآن ما يطلق عليه ملك اليمين، إلا فى دول قليلة لم توقع على الاتفاقية المذكورة.

والذى نريد أن نلفت النظر إليه الآن هو أن بعض الناس فهموا خطأ معنى قوله تعالى عن المؤمنين **﴿والذين هم لفروجهم حافظون❁ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾** المؤمنون: الآيتان ٥، ٦، فقالوا: إن الخادمة الآن يجوز لمخدومها أن يعاشرها معاشرة الزوجات دون عقد أو مهر أو غير ذلك. وهذا خطأ كبير، فالخادمات الآن حرائر لا إماء، لا يجوز للمخدوم أن يعاشرها إلا بزواج صحيح مكتمل الأركان والشروط. ولا يجوز لها أن تكشف عن مفاتنها وهى كل جسمها ما عدا الوجه والكفين أمامه.

وكذلك قالوا خطأ إن الخادم الذكر فى البيت كالعبد المملوك يجوز للمرأة المخدومة أن تكشف رأسها بحضوره، ولا تستر من جسمها معه إلا ما بين السرة والركبة، فالحق أن جسمها كله عورة ما عدا الوجه والكفين، ولا يجوز لها أن تختلى به وحده، بمعنى أنه يحرم عليها أن توجد فى البيت وحدها معه دون شخص ثالث، فإن الشيطان يكون ثالثهما كما جاء فى الحديث.

ويكفى هذا القدر البسيط فى الإجابة على السؤال.

حساب المدين

السؤال من أ. ع. هـ. من القاهرة، يقول:

توفى رجل عن دين عليه فى صورة أقساط وسيقوم أولاده بالتسديد؟ ما حكم حساب المتوفى؟

الجواب: معلوم أن الدين لابد من الوفاء به، وإذامات المدين ولم يوف به وجب أن يؤخذ من تركته ـ إن كانت له تركة ـ قبل أن يقتسمها الورثة، لقوله تعالى فى آية المواريث **«من بعد وصية يوصى بها أو دين»**.

ومن المعروف أن رحمة الله ترفع عن الميت المدين حتى يوفَّى دينه، كما فى الحديث الحسن الذى رواه أحمد وابن ماجه والترمذى **«نفس الميت معلقة بدينه حتى يقضى عنه»**، قال العلماء: محل ذلك إذا كان الميت ناويا قبل الموت ألا يسد الدين، أما إذا كان ناويا السداد فنرجو ألا يحجب الله عنه رحمته لقوله ﷺ **«من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله»** رواه البخارى.

هذا، وإذا لم توجد للميت تركة تفى بسداد الدين فلا يجب على الورثة شىء، وإن كان من السنة أن يقوموا هم بذلك، بل يمكن لغير أهله أن يتصدقوا بسداد دينه.

صلاة الصبح

السؤال من القارئ، حاتم شوقى عبدالعال أحمد، قلفاو ـ سوهاج، يقول: ما رأى الدين فى تكرار سور معينة كل صلاة صبح؟

الجواب: لا مانع من تكرار سورة معينة فى كل صلاة صبح أو غيرها، كالحرص على قراءة سورة الإخلاص مثلا فى كل صلاة، سواء فى صلاة واحدة أو فى الصلوات الأخرى، لأن الرسول ﷺ أقر رجلا على التزامه فى صلاته أن يقرأ **«قل هو الله أحد»** والمأمومون كانوا يحبون أن يقرأ سورا أخرى، فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بـ**«قل هو الله أحد»** فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال: **«سَلُوهُ لأى شىء يصنع ذلك»**، فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبى ﷺ **«أخبروه أن الله يحبه»** رواه البخارى ومسلم، ورواه البخارى أيضا والترمذى عن أنس أطول منه، وقال فى آخره: فلما آتاهم النبى ﷺ أخبروه الخبر، فقال: **«يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما يحملك على لزوم هذه السورة فى كل ركعة»** فقال: إنى أحبها، فقال: **«حبك إياها أدخلك الجنة»**.

فالخلاصة أن الرسول ﷺ لم ينهه عن التزام سورة معينة فى الصلاة، فصلاته صحيحة.

إخراج الزكاة من مؤخر الصداق

السؤال من القارئة، رباب، من محافظة القاهرة، تقول: ما حكم إخراج الزكاة عن مؤخر الصداق؟ منذ استلام المؤخر أم منذ الزواج؟

الجواب: معلوم أن صداق الزوجة حق لها تملكه بمجرد العقد، وقد يدفع كله إليها حالا، وقد يؤجل كله، وقد يدفع البعض ويؤجل البعض، والذى يدفع إليها تجب فيه الزكاة، إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول، وكان فائضا عن حاجتها الضرورية وعن الديون الواجبة عليها، كما هو الشأن فى زكاة النقدين، وإذا قبض بعضه وأجِّل الباقى، فالمقبوض إذا بلغ النصاب وجبت فيه الزكاة إذا حال عليه الحول، وإذا أجل كله ولم يقبض يقول أبو حنيفة لا تجب فيه الزكاة، وكذلك لو أجل بعضه، أما الشافعى فيقول: تجب فيه الزكاة مادام الزوج مقرا وموسرا، وهى تجب كل عام بمقدار ربع العشر، وكذلك أحمد بن حنبل يوجب فيه الزكاة كل حول عندما تقبضه وعن السنوات الماضية، وعن مالك زكاة الدين على المقر الموسر تكون عند قبضه وتخرج عن سنة واحدة فقط عما مضى من السنوات، «انظر فقه المذاهب الأربعة نشر وزارة الأوقاف ففيه كلام طويل».

العمل فى إنشاء الفنادق

السؤال من نادية. م. أ. تقول: شاب يعمل فى فندق، وبالفندق بار، فهل يستمر فى العمل أم لا؟

مهندس يعمل فى مشروع إقامة فندق وهو يعلم بأنه سيكون هناك ملهى ليلى ما حكم راتبه؟

الجواب: إذا كان الشاب يشارك مباشرة فى نشاط البار فحرام عليه ذلك، أما إذا لم يكن مشاركا فيه مشاركة مباشرة ويأخذ أجره من إيراد الفندق، وهذا الإيراد بعضه من نشاط حلال وبعضه من نشاط حرام، فلا مانع من العمل فيه، وإن كان العمل فى غيره أفضل، فعليه أن يحاول البحث عن عمل لا حرمة فيه ولا شبهة.

أما المهندس الذى يعمل فى مشروع إقامة فندق، وهو يعلم أنه سيكون فيه ملهى ليلى، فإن إقامة أى مبنى يصلح للخير والشر لا حرمة فيه، وإنما الحرمة على من يباشر العمل الحلال أو الحرام فى هذا المبنى، وأجر المهندس سيأخذه من صاحب الفندق، وهو غير مسئول عن معرفة مصدر هذا الأجر، لأن الفندق لم يزاول نشاطه بعد، فى عمل حلال أو حرام لأن مزاولة النشاط تكون بعد تمام بنائه.

تطهير المال

السؤال من القارئ، أحمد محمود، من محافظة القاهرة، يقول:

من مقاصد الزكاة نماء المال وتطهيره؟ ما المقصود بتطهير المال؟

الجواب: يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾** التوبة: آية ١٠٣.

الحكمة من مشروعية الزكاة تطهير المزكِّى وتزكيته. ففيها تطهير وتخلية له من رذيلة الشح والبخل. وفكٌّ للنفس من أسر المادة وعبودية الشهوة، وحيلولة دون الكبر والبغى، قال الله تعالى: **﴿كلا إن الإنسان ليطغى❁ أن رآه استغنى﴾** العلق: الآيتان ٦، ٧، وقال ﷺ كما رواه البخارى: **«تعس عبد الدينار والدرهم»**، وفيها تزكية وتحلية بالتمرين على الحياة الاجتماعية، وعدم السلبية والانعزالية، وفيها حب متبادل بين الغنى والفقير، وفيها بركة ونماء للمال، قال الله تعالى: **﴿وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾** سبأ: آية ٣٩، وفى الحديث **«ما نقص مال من صدقة»** رواه مسلم، ذلك إلى جانب الثواب العظيم فى الآخرة **﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا﴾** المزمل: آية ٢٠.

بتر الإصبع الزائدة

السؤال من القارئ، س. أ. ع. من محافظة القاهرة، يقول:

يوجد لى أصبع زائدة بدون عضلة فى اليد اليسرى، فهل يجوز لى بترها بعملية جراحية؟

الجواب: لا مانع شرعا من قطع الإصبع الزائدة، وبخاصة إذا كانت تؤثر على نشاط الإنسان، أو يعيِّره بها الناس، وهو الرأى المختار من أقوال العلماء، وإليك صورة من الاختلاف فى هذا الموضوع:

قال جماعة من الفقهاء ـ وعلى رأسهم الطبرى ـ أنَّ قصَّ الإصبع الزائدة حرام، لأن فيه تغييرا لخلق الله، وطاعة للشيطان الذى قال الله فيه: **﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾** النساء: آية ١١٩، وقد طرد هؤلاء الحكم حتى حرَّموا إزالة اللحية التى تنبت للمرأة وإزالة السِّن الزائدة، نص على ذلك القرطبى فى تفسيره وابن حجر فى فتح البارى والنووى فى المجموع وشرح صحيح مسلم.

وقال جماعة بالجواز، لأن الإصبع الزائدة ـ وإن كانت من صنع الله ـ هى حالة من الحالات التى يسميها الأطباء شاذة أو استثنائية، ووجودها فيه تشويه، بل قالوا: تندب إزالتها إذا كان فى بقائها إيذاء، ولا يدخل ذلك فى تغيير خلق الله، فإن هذا التغيير لم يتفق على معناه، وتفصيل ذلك مذكور فى تفسير القرطبى لهذه الآية.

جاء فى فتح البارى لابن حجر «ج٢ ص٥٠٠» بعد حكاية قول الطبرى فى التحريم الشامل: ويستثنى من ذلك ما يحصل به الضرر والأذية، كمن يكون لها سِنٌّ زائدة، أو طويلة تعيقها عن الأكل، أو إصبع زائدة تؤذيها أو تؤلمها، فيجوز ذلك. الرجل فى هذا الأخير كالمرأة.

زكاة الذهب

السؤال من القارئة، س.ع.م، من محافظة القاهرة، تقول:

تمتلك ذهبا للتحلى به، هل عليه زكاة؟ وما مقدارها؟

الجواب: إذا تحلت المرأة بأى نوع من أنواع الحلى غير الذهب، والفضة فلا زكاة عليه مهما بلغ قدره مادام متخذا للحلى لا التجارة، وذلك كالماس واللؤلؤ، وهذا باتفاق الفقهاء،

أما حلية الذهب والفضة ففى حكم الزكاة فيها خلاف، فذهب أبو حنيفة إلى وجوب الزكاة فيما يبلغ نصابا وحال عليه الحول، وهو من الذهب حوالى خمسة وثمانين جراما (٢٠ دينارا) ومن الفضة حوالى ستمائة جرام (٢٠٠ درهم) وذلك لعموم الأدلة الواردة فى الذهب والفضة، والأحاديث خاصة بالحلى، منها: أن امرأتين جاءتا إلى رسول الله ﷺ وفى أيديهما سواران من ذهب فقال لهما: **«أتحبان أن يسوِّركما الله يوم القيامة أساور من نار»**؟ قالتا: لا، قال: **«فأدِّيا حق هذا الذى فى أيديكما»** رواه الترمذى والدارقطنى وأحمد وأبو داود بألفاظ متقاربة، وعن أسماء بنت يزيد قالت: دخلت أنا وخالتى على النبى ﷺ وعلينا أساور من ذهب فقال لنا: **«أتعطيان زكاته»**! قالت: فقلنا: لا، قال: **«أما تخافان أن يسوركما الله أسورة من نار؟ أدِّيا زكاته»** رواه أحمد باسناد حسن، وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: دخل علىّ رسول الله ﷺ فرأى فى يدى فَتَخَات من ورق ـ خواتم كبارا من فضة ـ فقال لى: **«ما هذا يا عائشة؟»** فقلت: صنعتهن أتزين لك يارسول الله، فقال: **«أتؤدين زكاتهن»**؟ قالت: لا، أو ما شاء الله، قال: **«هى حسبك من النار»** رواه أبو داود والدارقطنى، والمعنى: لو لم تعذبى فى النار إلا من أجل عدم زكاته لكفى.

وذهب الشافعى إلى عدم وجوب الزكاة فى حلى المرأة المعد للاستعمال إذا كان فى حد المعقول، أى لا إسراف فيه، وتحمل الأحاديث السابقة على ماكان فيه إسراف.

وذهب مالك إلى عدم الزكاة فيه مهما بلغ قدره، على شرط أن يكون مُعدًا لاستعماله، أى ليس معدا لنوائب الدهر، ولا لحلية بنتها عندما تتزوج ولا للتجارة، والدليل على ذلك ما رواه البيهقى أن جابر ابن عبدالله سئل عن الحلى: أفيه زكاة؟ قال: لا، فقيل: وإن كان يبلغ ألف دينار؟ فقال جابر: أكثر. وروى البيهقى أيضا أن أسماء بنت أبى بكر كانت تحلِّى بناتها بالذهب ولا تزكيه، نَحْوا من خمسين ألفا، وروى مالك فى الموطأ أن عائشة كانت تلى بنات أخيها اليتامى فى حجرها، لهن الحلى، فلا تخرج من حليهن الزكاة، وكذلك قال أحمد بن حنبل بعدم وجوب الزكاة فى حلى المرأة إذا كان معدا للاستعمال.

وأرى أن مذهب الشافعى وسط بين المذاهب، لأنه لا يمنع المرأة زينتها ويحد من الإسراف فيها، حتى لا تكون وسيلة لتعطيل المال عن السيولة والنشاط الاقتصادى، والزكاة هى ربع العشر، إما تدفع وزنا من الذهب، وإما قيمتها نقودا.

المصاحف والمكتبات

السؤال من القارئ/ محمد محمود العطار، من محافظة كفر الشيخ، يقول:

ماحكم شراء المصحف من مكتبات أصحابها مسيحيون؟

الجواب: لا مانع من شراء المصحف من مكتبات أصحابها مسيحيون، مادام تعاملهم مع المصحف لا يلحق به ضررا أو احتقارا أو أى شيء يتنافى مع احترامه.

دخول المرأة المسجد

السؤال من القارئة، غ. أ. من محافظة الجيزة، تقول:
ما حكم دخول المرأة الحائض إلى المسجد لحضور درس علم؟

الجواب: الحائض والنفساء ومن عليه جنابة، ولم يغتسل يحرم عليه المكث فى المسجد، أما العبور فلا حرج فيه بناء على قوله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا﴾** النساء: آية ٤٣، ولحديث عائشة - رضى الله عنها - الذى رواه أبو داود. قالت: جاء رسول الله ﷺ ووجوه بيوت أصحابه شارعة فى المسجد، فقال: **«وجهوا هذه البيوت عن المسجد»**، ثم دخل رسول الله ﷺ ولم يصنع القوم شيئا، رجاء أن ينزل فيهم رخصة، فخرج إليهم فقال: **«وجهوا هذه البيوت عن المسجد، فإنى لا أُحِلُّ المسجد لحائض ولا لجنب»**. ولحديث أم سلمة - رضى الله عنها - الذى رواه ابن ماجه والطبرانى، قالت: دخل رسول الله ﷺ صرحة هذا المسجد - أى فناءه - فنادى بأعلى صوته **«إن المسجد لا يحل لحائض ولا لجنب»**.

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان أحدنا يمر فى المسجد جنبا مجتازا، رواه ابن أبى شيبة وسعيد ابن منصور فى سننه، وجاءت روايات تدل على أن الذين كانت تصيبهم جنابة ولا يجدون طريقا إلى الماء إلا المسجد فكانوا يمرون منه.

ويؤكد أن المحرَّم هو المكث فقط وليس العبور ما رواه مسلم وغيره عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال لى رسول الله ﷺ **«ناولينى الخُمرة من المسجد»** فقلت: إنى حائض، فقال: **«إن حيضتك ليست فى يدك»** يعنى لن يتلوث المسجد، لأن يدك التى تتناولين بها الخمرة ليس بها دم، وما رواه أحمد والنسائى عن ميمونة - رضى الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ يدخل على إحدانا وهى حائض، فيضع رأسه فى حجرها فيقرأ القرآن وهى حائض، ثم تقوم إحدانا بخمرته فتضعها فى المسجد وهى حائض، والخمرة هى السجادة التى يضعها تحت جبهته عند السجود.

فهذه النصوص تدل على حرمة دخول الحائض والنفساء ومن به جنابة - المسجد، لسماع درس علم وغيره، فالمكث لذلك ممنوع، والعبور فقط لحاجة لا مانع منه، ولم يقل بجواز مكث الحائض فى المسجد، إلا زيد بن ثابت إذا أمن تلويثها للمسجد، يقول الشوكانى فى «نيل الأوطار ج١ ص٢٤٩»، وحكاه الخطابى عن مالك والشافعى وأحمد وأهل الظاهر، ومَنَعَ من دخولها سفيان وأصحاب الرأى، وهو المشهور من مذهب مالك.

الإنفاق على الأم ميسورة الحال

السؤال من القارئ، أ. أ. من محافظة القاهرة، يقول:
هل يلزم الأبناء الإنفاق على الوالدة بالرغم من أنها ذات مال؟

الجواب: إذا كانت الوالدة ذات مال يكفيها الضروريات والحاجات فلا يلزم الأبناء الإنفاق عليها، وإنما يستحب أن يعطوها شيئا من الهدايا والكماليات دلالة على أنهم لم يتركوها أو يهملوها، ولعلَّ دعوة طيبة منها على هذا الإحسان تفيد الأولاد فائدة كبيرة، وذلك من منطلق أن البر بالوالدين مرتبتان، مرتبة واجبة، ومرتبة مستحبة، فالواجبة هى توفير الضروريات المناسبة للوالدين، والمستحبة هى إعطاؤهما ما زاد على الضروريات، وكل له ثوابه عند الله تعالى.

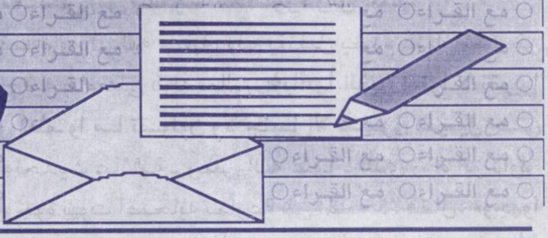

مع القراء

أ. حسين السكرى

الهجرة

للقارئ/ إبراهيم عبدالحميد إبراهيم - إمام وخطيب ومدرس بالأوقاف - أسيوط - القوصية - فزارة

لقدكان المسلمون يفتنون فى دينهم بالتعذيب؛ فهذا معذب وذاك منفى من بلده هارب فارا بدينه حفظا له، ولقد بلغت قريش من الطغيان والمعاندة كل مبلغ، فتفننوا فى طرق مختلفة لتعذيب المسلمين والتنكيل بهم، والمسلمون صابرون على أذى قومهم لا تضعف عزيمتهم ولا يتزعزع إيمانهم بل كانوا يزدادون بذلك تقربا إلى ربهم وإيمانا على إيمانهم، وكيف لا يكون ذلك وفيهم رسول الله ﷺ يأمرهم بالصبر ويبشرهم بالجنة ﷺ؟ فصبروا وتحملوا الأذى طامعين فى رحمة الله، وزاد طغيان قريش وطال تعذيبهم للمسلمين، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالهجرة، والله - تعالى يقول: **﴿ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة﴾** النساء: آية ١٠٠، فخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، تركوا موطنهم ومسقط رؤوسهم وهاجروا إلى ربهم، وتركوا الرسول ﷺ يترقب الإذن من الله بالهجرة، ولم يكن قد بقى من المسلمين بمكة غير أبى بكر الصديق وعلى بن أبى طالب - رضى الله عنهما - ومن فتن من أصحابه وحبسه المشركون، يقول الحبيب المصطفى ﷺ: **«إن الله قد أذن لنا بالهجرة يا أبا بكر»**، قال أبو بكر: الصحبة، الصحبة، لأنها صحبة الحبيب محمد ﷺ الذى قال فيه خالق الخلق - سبحانه - **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**، وهكذا بيت المشركون أمرا وبيت الله - سبحانه - أمرا، وأرادوا أن يكيدوا للنبى ﷺ، فرد كيدهم فى نحورهم حيث يقول تعالى: **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾** الأنفال: آية ٣٠.

❖❖❖

قصة الهجرة لها أبعاد كثيرة حيث بدأت بهجرة بعض المسلمين إلى الحبشة وكانت هناك مواقف بين حاكم الحبشة وبين من أرسلهم المشركون فى أعقابهم للتشويش عليهم والتغرير بهم، ولكن قوة الحجة عند رسل المسلمين كانت أقوى من أن تنطلى على عظيم الحبشة فعاد رسل المشركين يجرون أذيال الخيبة والهوان، ثم كانت هجرة بعض المسلمين إلى يثرب (المدينة المنورة) وقد استقبلهم الأنصار ورحبوا بهم، ثم جاءت الهجرة الخاتمة وهى هجرة الرسول ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وقد كانت هناك بعض المناوشات من اليهود ولكن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - أمكنه أن يخمد الفتنة ويؤآخى بين المهاجرين والأنصار وانطلق الاسلام حينئذ قويا صلبا ودخل فيه جمع كبير من المسلمين وأخذت الدعوة طريقها نحو الفلاح والنجاح والصلاح والإصلاح.

المتربصون بالشرفاء

للقارئ/ حاتم إبراهيم سلامة - ليسانس أصول الدين

لقد كان العقاب القرآنى صارما على هؤلاء الخبثاء الذين يتجسسون أخبار المؤمنين الآمنين؛ علهم أن يجدوا أو يقعوا على ما يشينهم من عوراتهم وأسرارهم فيذيعوها بالسوء بين الخلق، وقد ندد وهدد الحق - سبحانه وتعالى - بالعقاب المانع الجامع، الجامع فى الدنيا والآخرة، المانع من وقوعه بأحدهما، قال الله تعالى: ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾ النور: آية ١٩، ويقف القرآن بهذا المنطق البيانى العظيم معلنا سخطه على كل حاقد حاسد يهدم سمعة المسلمين وكرامتهم والتى تمثل كيانهم فى الحياة وعزتهم لأنه يحب أن ينتشر الفساد والفاحشة، ولعمرى أى إيمان يبقى بعد هذا القبح المشين؟ والذى هو من سمات المنافقين والمشركين، إن صاحبه يتملص من ذاته ومجتمعه رافضا شعوره بالانتماء لهذا المجتمع الذى فى ظله يقوى الجميع ويسود، فينفخ فى جسده كالداء الخبيث ليشيع الفواحش هنا وهناك هاتكا للأعراض مسفها للحرمات، هادما لتاريخ الشرفاء الأتقياء. أما من تاب الله عليهم فإنهم من أخلص الأتقياء.

لقد حذر الرسول ﷺ من هذا المسلك المعوج واضعا يده على كبد الحقيقة الظاهرة، فصعد المنبر خاطبا: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان لقلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله» أخرجه الترمذى.

❖❖❖

المتربصون بالشرفاء هم أناس فقدوا قدرتهم على ضبط النفس وأفلت منهم زمام عقولهم وخالفوا إيمانهم، ولم يعبأوا بتعاليم الإسلام، وسيطرت عليهم نفوسهم الخبيثة، فكانت لذة الانتقام عندهم أقوى من كل العوامل الإسلامية والإنسانية فخالفوا الشهامة والمروءة والحياء وانشغلوا بالتندر بعيوب الناس ومساوئهم وكأنهم مبرأون من كل عيب مع أن ما يرتكبونه من سيئات يأتى على رأس القبائح والعيوب.

لقمان الحكيم

للقارئ / محمد عباس - كاتب إسلامى واجتماعى

قال ابن لقمان الحكيم لأبيه: ياأبت: أى الخصال من الإنسان خير؟ قال: الدين، قال: فإذا كانتا اثنتين؟ قال: الدين والمال، قال: فإذا كانت ثلاثا؟ قال: الدين والمال والحياء، قال: فإذا كانت أربعا؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق، قال: فإذا كانت خمسا؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء، قال: فإذا كانت ستا؟ قال: يابنى إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو تقى نقى، لله - تعالى - ولى، ومن الشيطان برى، قال: ياأبت فأى الخصال شر؟ قال: الكفر، قال: فإذا كانتا اثنتين؟ قال: الكفر والكبر، قال: فإذا كانت ثلاثا؟ قال: الكفر والكبر وقلة الشكر، قال: فإذا كانت أربعا؟ قال: الكفر والكبر وقلة الشكر والبخل، قال: فإذا كانت خمسا: قال: الكفر والكبر وقلة الشكر والبخل وسوء الخلق، قال: فإذا كانت ستا؟ قال: يابنى إذا اجتمعت فيه هذه الخصال فهو شقى، وهو من الله - تعالى - برى.

معذرة أيها الدعاة

للقارئ / أحمد حلمى محمد أبو المجد ـ كلية الحقوق ـ جامعة القاهرة.

حينما تهب الرياح شديدة الوطأة قوية الدفع فإن العقل يقضى بضرورة التصدى لها ووقف آثارها المدمرة حتى لا تهلك الحرث والنسل، أما أن يقف المتوجهة صوبهم الرياح باكين لاطمى الخدود ذارفى الدموع مضيعين الوقت فى سرد ما عساه أن تصيبهم به الريح من وبال شديد وخسران عظيم دون اتخاذ أية خطوة لصد أخطارها أو حتى التخفيف من مضارها، فهذا هو مالا يقبله عقل أو يرضاه شرع، والمنطق السليم يقضى بإلقاء اللوم على من يؤازر هذا أو يناصره، والذين يقفون دعاة للإسلام وحراسا عليه لابد أن يفطنوا لذلك، فهم يرون فى أغلب التيارات الحالية والمستجدات الحديثة خروجها على الإسلام وقيمه ومبادئه، فلابد أن يتصدوا لهذه التيارات والمشكلات الحديثة ويلزم هذا أن يزودوا المجتمع بنصائحهم الغالية التى عساها أن تضىء السبيل للمسلمين حتى يخرجوا من بين فكى الأسد، وبهذا يمكنهم غلق النوافذ المسمومة التى يتسرب منها الشك والهواء الفاسد، فلابد من مقاطعة كل دخيل على الإسلام وشجبه والتعريض به، فنحن بديننا وعقيدتنا أقوياء أشداء نملك كل القوى الإيمانية وكل البراهين الإسلامية، فلنتدبر مشكلات مجتمعاتنا ونستخرج لها الحلول من إسلامنا ليعود له تفاعله فى حياة الناس وتعود لنا الثقة بالإسلام.

❖❖❖

هذه بطبيعة الحال رسالة الدعاة ومن يعنيهم هذا الأمر ولا أظن أنهم مقصرون فى هذا؛ فهم دائما يوضحون الأمور ويفرقون بين الغث والسمين، والصالح والطالح، ويقدمون الأحكام اللازمة والحلول المطلوبة ولا يخشون فى الحق لومة لائم، وهذا كل ما يملكون ويستطيعون، فإن سلطتهم سلطة التوضيح والتفهيم، وإن الله ـ سبحانه ـ ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن، فاللوم يقع عليهم إذا قصروا أو تقاعسوا أو ماطلوا أو نافقوا، وفى هذا يكون وزرهم عظيما وإثمهم شديدا، وأعتقد أن هذا لن يحدث ولن يكون.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة ـ المحرم ١٤٢٣هـ (٥)

السؤال : ولكن الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أمكنه أن يخمد الفتنة ويؤاخى بين المهاجرين والأنصار وانطلق الإسلام حينئذ قويا صلبا ودخل فيه جمع كبير.

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال : .... **اسم الكاتب :** ....

العنوان : ....

العمل : ....

اسم المتسابق : .... **رقم التليفون :** ....

رقم البطاقة : .... **جهة الصدور :** ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٢هـ حتى شعبان ١٤٢٣هـ

بريد التعارف

أهلاً

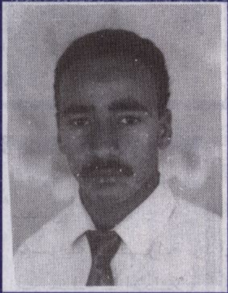

الاسم : فوزى سيد محمود إبراهيم

الهواية : الاطلاع الدينى

العنوان : قنا ـ نجع حمادى ـ بهجور ـ نجع الشيخ

الاسم : أحمد عبدالله سلامه

الهواية : القراءة ـ المراسلة

العنوان : كفر الشيخ ـ قلين ـ كفر المرازقة

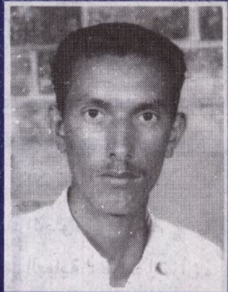

الاسم : عيدة فتح الله أحمد أبو سلامة

الهواية : الاطلاع الدينى والخطابة

العنوان : سندرينا ـ المحمودية ـ البحيرة

الاسم : طارق محمود عبده الشناوى

الهواية : الاطلاع الدينى

العنوان : ١١ ش القاضى ـ حارة السعدية ـ طنطا ـ غربية

الاسم : عبدالباقى معروف أحمد حسانين

الهواية : تجويد القرآن الكريم ـ المراسلة

العنوان : المنيا ـ سمالوط البلد ـ ش الجلاء

الاسم : سلمان عبدالعزيز عبدالجواد

الهواية : قراءة القرآن والخطابة

العنوان : بنى سويف ـ الشيخ على البلهول

الاسم : زكى كمال زكى الصاوى

الهواية : قراءة القرآن والخطابة

العنوان : قابيل ـ مركز دمنهور ـ بحيرة

الاسم : عماد حلمى محمد عيد

الهواية : الاطلاع الدينى وقراءة القرآن

العنوان: الهواير ـ ديرب نجم ـ شرقية

الاسم : شعبان عبدالله موسى
الهواية : القراءة فى علوم اللغة العربية
العنوان : مدرسة كرموز التجارية - الإسكندرية

الاسم : ثابت جابر حسين بخيت
الهواية : المراسلة - الشعر الصوفى
العنوان : أسيوط - صدفا - ش الجمهورية

الاسم : طلعت خلف بدوى
الهواية : الاطلاع الدينى والخطابة
العنوان : ٢٣ ش عبدالغنى السيد من ش البترول - المطرية

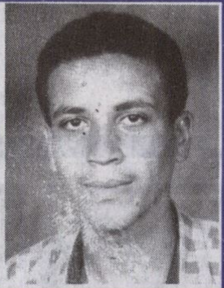

الاسم : هيثم معوض شعبان
الهواية : القراءة - المراسلة - الاطلاع الدينى
العنوان : ميت جراح. م المنصورة - الدقهلية

الاسم : رفعت إبراهيم فتح الله
الهواية: قراءة القرآن
العنوان : السخاينة - مطوبس - كفر الشيخ

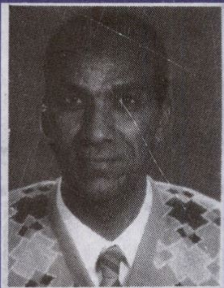

الاسم : محمد صالح الحلوانى كابوجا
الهواية : قراءة القرآن - الخطابة
العنوان : محافظة أسوان - مركز دراو

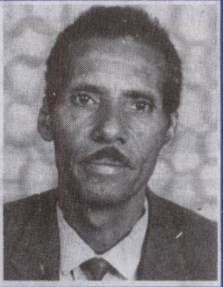

الاسم : محمد عبدالعزيز محمد مفتاح
الهواية : المراسلة والمعرفة فى الله
العنوان: أسوان - مديرية الزراعة

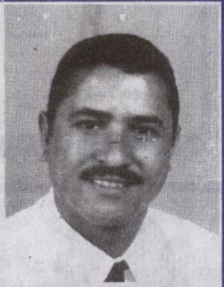

الاسم : مشهود حسن مصطفى غزال
الهواية : الاطلاع الدينى - المراسلة
العنوان : كفر اكياد - بلبيس - شرقية

تعارف منبر الإسلام

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

الاسم : ....
الهواية: ....
العنوان: ....

محتويات العدد

- كلمة التحرير ١
- حديث الشهر .... بقلم أ. د عبدالصبور مرزوق ٢
- عزم الأنبياء.. مثلُنا الأعلى (شعر) .... محمد التهامى ٦
- القرآن الكريم وعلومه ٧
- تفسير سورة الجمعة .... أ. د. محمد سيد طنطاوى ٨
- الأمانة (شعر) .... عمر موسى البرعى ١٢
- فى رحاب الهجرة النبوية المباركة ١٣
- العمق التاريخى للهجرة .... أ. د. محمد المسير ١٤
- من معالم التذكير فى هجرة النبى ﷺ .... أ. د. طه مصطفى أبو كريشة ١٨
- هجرة السلام والعدل والأمان .... أ. د. صبرى عبدالرؤوف ٢٢
- فى ظلال الهجرة النبوية المباركة .... محمد عبدالسميع شبانة ٢٥
- الهجرة عيد المبدأ والعقيدة .... الشيخ منصور الرفاعى عبيد ٢٩
- دراسات فى السنة المطهرة ٣٣
- الوضع فى السُنة ومقاومة العلماء له .... أ. د. أحمد عمر هاشم ٣٤
- من مدرسة النبوة للشباب .... الشيخ معوض عوض إبراهيم ٣٩
- الأبعاد الإيمانية للأحكام الشرعية للذبح .... د. عبدالحليم عويس ٤٢
- الحضارة والعلوم ٤٧
- فى الكون سر يحير العلماء .... أ. رجب البنا ٤٨
- الأكُل المحرمة بين الطب والقرآن الكريم .... أ. د. عبدالمعبود عمارة ٥٣
- من أسرار الإعجاز فى القرآن الكريم «جلد الإنسان» .... أ. د. كارم السيد غنيم ٥٦
- المنتجات الحيوية وعلوم الزراعة فى القرآن والسُنة .... د. إبراهيم سليمان عيسى ٦٢
- ما يقال عن الإسلام (حضارة العرب) .... أ. د. محمد رجب البيومى ٦٨
- نحن والحضارة الغربية .... أ. د. محمد جلاء إدريس ٧٦
- الدعوة والدعاة ٧٩
- الثقافة الدينية حماية للفرد وأمن للمجتمع .... أ. د. محمد شامة ٨٠
- ضرورة الإعجاز الكونى فى الدعوة الإسلامية .... د. حسنى حمدان ٨٦
- من فوق المنبر (لا دين لمن لا أمانة له) .... الشيخ فكرى حسن إسماعيل ٩١
- ياقومنا أجيبوا داعى الله .... محمد محمد أبوزيد ٩٣
- شبهات.. وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام .... عرض: خضرة رشاد ٩٧
- ردا على افتراءات ومزاعم خصوم الإسلام .... مصطفى إبراهيم خيان ١٠٢
- رثاء فى المرحوم الأستاذ أنور الجندى (شعر) .... حبيش حسن حسين ١٠٥
- جهالة الإنسان والكون .... د. عبدالرشيد سالم ١٠٦
- حسين أحمد أمين.. هل هو أمين؟! .... أ. د. محمد عمارة ١٠٩
- أعمالنا فى الميزان .... د. محمود محمد عمارة ١١٣
- وراء الأخبار واللقاءات .... إعداد: منير بيومى ١١٧
- نافذة على الإنترنت .... إعداد: منى القاضى ١٢١
- مروج الذهب للمسعودى .... د. محمد عبدالمنعم خفاجى ١٢٣
- مع أبى الحسن الشاذلى فى ملامح سيرته وطريقته فى التربية والتوجيه .... محمد صلاح الدين المستاوى ١٢٦
- الدكتور محمد أبو شهبة وجهوده فى خدمة القرآن والسُنة .... نبيل محمد رشاد ١٣٠
- أنت تسأل والفقيه يجيب .... فضيلة الشيخ عطية صقر ١٣٤
- مع القراء .... يحرره حسين السكرى ١٤٠
- بريد التعارف ١٤٣

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارئ المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد ـ مصطفى إسماعيل محمود على البنا ـ محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١: ٥

وتيسيرا على القارئ المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات ـ جاردن سيتى
مكتبة مسجد النور بالعباسية
٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير
٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)
الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر